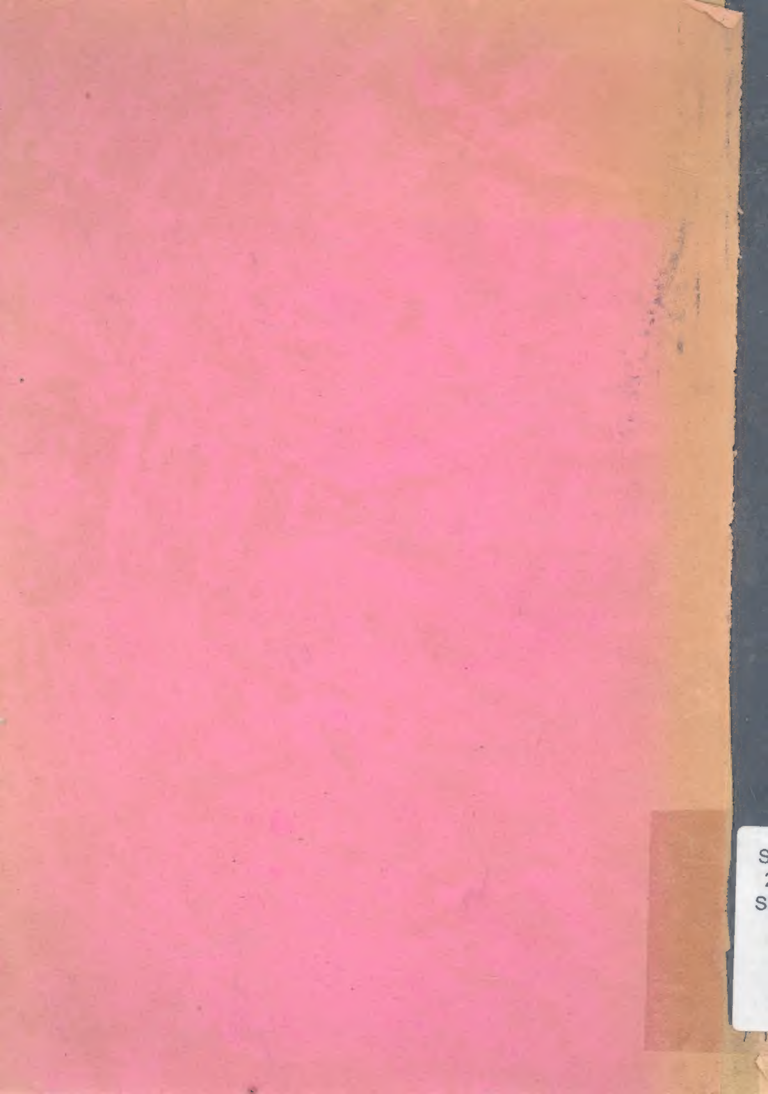


التنوير فى اسقاط التدبير

تأليف الشيخ الامام العلامة القدوة وحيد عصره
وفريد دهره القطب الربانى أبي الفضل أحمد
ابن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله
السكندري المالكي رضي الله
تعالي عنه واعاد علينا
من بركاته وعلومه
آمين

(وبهامشه تاج العروس الحاوى لتهذيب النفوس)
(تأليف الشيخ الامام تاج الدين بن عطاء الله السكندرى)
المذكور اعلاه رحمه الله تعالى

عنى بتصحيحه

الاديب الشيخ احمد حسنين القرنى

طبع بمطبعة محمد على صبيح
بميدان الازهر بمصر

(بسم الله الرحمن الرحيم)
الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين هذا كتاب تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس تأليف الشيخ الامام الجامع بين علمى الشريعة والحقيقة تاج الدين أبي العباس أحمد بن عطاء الله السكندري رحمه الله تعالى وأسكنه بحبوحة جنته وأفاض علينا وعلى المسلمين من بركته وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وصحابته آمين. أيها العبد أطلب التوبة من الله فى كل وقت فان الله تعالى قد ندبك اليها فقال تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وقال تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال رسول الله ﷺ انى ليغان على قلبي وانى لأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة فان أردت التوبة فينبغى لك أن لا تخلو من التفكر طول عمرك فتفكر فيما صنعت فى نهارك فان وجدت طاعة فاشكر الله عليها وان وجدت معصية فوبخ نفسك على ذلك



قال الشيخ الامام العارف القدوة المحقق تاج العارفين * لسان المتكلمين * امام وقته وأوحد عصره حجة السلف * وأمام الخلف * قدوة السالكين * وحجة المتقين * تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد ابن عبد الكريم بن عطاء الله السكندرى رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به ونفع به كافة المسلمين انه سميع قريب مجيب. الحمد لله المنفرد بالخلق والتدبير الواحد فى الحكم والتقدير. الملك الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير * ليس له فى ملكه وزير * المالك الذي لا يخرج عن مثله كبير ولا صغير * المتقدس فى كمال وصفه عن الشبيه والنظير * المنزه فى كمال ذاته عن التمثيل والتصوير * العليم الذى لا يخفى عليه ما فى الضمير * ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير * العالم الذي احاط علمه بمبادىء الامور ونهاياتها * السميع الذى لا فصل فى سمعه بين جهر الاصوات واخفاتها * الرزاق وهو المنعم على الخليقة بايصال أقواتها * القيوم وهو المتكفل بها فى جميع حالاتها * الواهب وهو الذي من على النفوس بوجود حياتها * القدير وهو المعيد لها بعد وجود وفاتها * الحسيب وهو المجازى لها يوم قدومها عليه بحسناتها وسيئاتها * فسبحانه من اله من على العباد بالجود قبل الوجود * وقام لهم بارزاقهم مع كلتا حالتيهم من اقرار وجحود * وأمد كل موجود بوجود عطائه وحفظ وجوده وجود العالم بامداد بقائه * وظهر بحكمته فى أرضه * وبقدرته فى سمائه * وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة عبد مفوض لقضائه * مستسلم له فى حكمه وأمضائه * وأشهد ان محمدا عبده ورسوله المفضل على جميع انبيائه المخصوص بجزيل فضله وعطائه * الفاتح الخاتم وليس ذلك لسوائه * الشافع فى كل العباد حين يجمعهم الحق لفصل قضائه * صلى الله عليه وعلى سائر أنبيائه * وعلى آله وصحبه المستمسكين بولائه * وسلم تسليما كثيرا ﴿ أما بعد ﴾ اعلم يا أخى جعلك الله من اهل حبه وأتحفك بوجود قربه * واذاقك من شراب أهل وده * وأمنك بدوام وصلته من اعراضه وصده * ووصلك بعباده الذين خصهم بمراسلاته * وجبر كسر قلوبهم لما علموا أنه لا تدركه الابصار بانوار تجلياته * وفتح رياض القرب نفحاته وأهب منها على قلوبهم واردات

نفحاته * وأشهدهم سابق تدبيره فيهم فسلموا اليه القياد * وكشف لهم عن خفي لطفه فى صنعه فخرجوا عن المنازعة والعناد * فهم مستسلمون اليه ومتوكلون فى كل الامور عليه * علما منهم انه لا يصل عبد الى الرضى الا بالرضا * ولا يبلغ الى صريح العبودية الا بالاستسلام الى القضاء * فلم تطرقهم الاغيار * ولم ترد عليهم الاكدار كما قال قائلهم

لا تهتدى نوب الزمان اليهم * ولهم على الخطب الشديد لجام

يجرى عليهم أحكامه وهم لجلاله حامدون * ولحكمه مستسلمون * كما قال

تجرى عليك صروفه * وهموم سرك مطرقه

وان من طلب الوصول الى الله تعالى فحقيق عليه أن يأتى الامر من بابه * وأن يتوصل اليه بوجود أسبابه * وأهم ماينبغى تركه والخروج عنه والتطهر منه وجود التدبير * ومنازعة المقادير* فصنفت هذا الكتاب مبينا لذلك * ومظهراً لما هنالك * وسميته التنوير * فى اسقاط التدبير * ليكون اسمه موافقا لمسماه* ولفظه مطابقا لمعناه * والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم *وأن يتقبله بفضله العميم *وأن ينفع به الخاص والعام بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام * انه على ما يشاء قدير * وبالاجابة جدير * قال الله سبحانه وتعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وقال تعالى أم للانسان ما تمنى فلله الآخرة والاولى وقال صلى الله عليه وسلم (ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا) وقال صلى الله عليه وسلم (اعبدالله بالرضا فان لم تستطع ففى الصبر على ماتكره خير كثير) الى غير ذلك من الآيات والاحاديث الدالة على ترك التدبير ومنازعة المقادير اما نصا صريحا واما إشارة وتلويحا وقد قال أهل المعرفة من لم يدبر دبر له وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه ان كان ولا بد من التدبير فدبروا ان لا تدبروا وقال أيضا لا تختر من أمرك شيئا واختر أن لا تختار وفر من ذلك المختار ومن فرارك من كل شيء الى الله تعالى وربك يخلق مايشاء ويختار * فقوله تعالى فى الآية الاولى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيه دلالة على ان الايمان الحقيقى لا يحصل الا لمن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على نفسه قولا وفعلا وأخذا وتركا وحبا وبغضا ويشمل ذلك حكم التكليف وحكم التصريف والتسليم والانقياد واجب على كل مؤمن فى كليهما * فاحكام التكليف الاوامر والنواهى المتعلقة باكتساب العباد وأحكام التصريف هو ما أورده عليك من قهر المراد فتبين من هذا انه لا يحصل لك حقيقة الايمان الا بامرين بالامتثال لامره والاستسلام لقهره ثم انه سبحانه وتعالى لم يكتف بنفى الايمان عمن لم يحكم أو حكم ووجد الحرج فى نفسه على ماقضى حتى أقسم على ذلك بالربوبية الخاصة برسوله صلى الله عليه وسلم رأفة وعناية وتخصيصا ورعاية لانه لم يقل فلا والرب وانما قال وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ففى ذلك تأكيد بالقسم وتأكيد فى المقسم عليه علما منه سبحانه بما النفوس منطوية عليه من حب الغلبة ووجود النصرة سواء كان الحق عليها أولها وفى ذلك اظهار لعنايته برسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جعل حكمه حكمه وقضاءه قضاءه فاوجب على العباد الاستسلام لحكمه والانقياد لامره ولم يقبل منهم الايمان بالوهيته حتى يذعنوا لاحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كما وصفه ربه وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى فحكمه حكم الله وقضاؤه قضاء الله كما قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وأكد ذلك بقوله يد الله فوق أيديهم وفى الآية اشارة أخرى لعظم قدره وتفخيم أمره صلى الله عليه وسلم وهى قوله تعالى فلا وربك فاضاف نفسه تعالى اليه كما قال فى الآية الاخرى كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا فاضاف الحق سبحانه اسمه

واستغفر الله وتب اليه فانه لا مجلس مع الله أنفع لك من مجلس توبخ فيه نفسك ولا توبخها وانت ضاحك فرح بل وبخها وأنت مجد صادق مظهر للعبوسة حزين القلب منكسر ذليل فان فعلت ذلك أبدلك الله بالحزن فرحا وبالذل عزاً وبالظلمة نوراً وبالحجاب كشفا (وعن الشيخ) مكين الدين الاسمر رحمه الله تعالى وكان من السبعة الابدال قال كنت فى ابتداء أمرى أخيط وأتقوت من ذلك وكنت أعد كلامى بالنهار فاذا جاء المساء حاسبت نفسى فاجد كلامى قليلا فما وجدت فيه من خير حمدت الله وشكرته عليه وما وجدت فيه من غير ذلك تبت الى الله واستغفرته الى أن صار بدلا رضي الله عنه * واعلم انه اذا كان لك وكيل يحاسب نفسه ويحققها فانت لا تحاسبه لمحاسبته نفسه وان كان وكيلا غير حاذق لنفسه فانت تحاسبه وتحققه وتبالغ فى محاسبته فعلى هذا ينبغى لك أن يكون عملك كله لله تعالى ولا ترى انك تفعل فعلا والله تعالى لا يحاسبك ولا يحاققك واذا وقع من العبد ذنب وقع منه ظلمة فمثال المعصية كالنار والظلمة دخانها كمن أوقد فى بيت سبعين سنة ألا تراه يسود كذلك القلب يسود بالمعصية فلا يطهر الا بالتوبة الى الله فصار الذل

والظلمة والحجاب مقارنة للمعصية فاذ ثبت الى الله زالت آثار الذنوب ولا يدخل عليك الاهمال الا باهمالك عن متابعة النبي ﷺ ولا تحصل لك الرفعة عند الله تعالى الا بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم والمتابعة له عليه الصلاة والسلام على قسمين جلية وخفية فالجلية كالصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد وغير ذلك والخفية ان تعتقد الجمع فى صلاتك والتدبر فى قراءتك فاذا فعلت الطاعة كالصلاة والقراءة ولم تجد فيها جمعا ولا تدبرا فاعلم ان بك مرضاً باطنا من كبر أو عجب أو غير ذلك قال الله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق فيكون مثالك كالمحموم الذى يجد فى فمه السكر مرا فالمعصية مع الذل والافتقار خير من الطاعة مع العز والاستكبار قال الله تعالى حكاية عن ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأتم السلام فمن تبعني فانه مني فمفهوم هذا ان من لم يتبعه ليس منه وقال تعالى حكاية عن نوح عليه وعلى نبينا المصطفى أزكى الصلاة والسلام ان ابني من اهلي فاجابه سبحانه بقوله تعالى قال يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فالمتابعة بجعل التابع كانه جزء من المتبوع وان كان اجنبيا كسلمان الفارسي رضي الله عنه لقوله ﷺ سلمان منا أهل البيت ومعلوم ان سلمان من أهل فارس ولكن بالمتابعة قال عنه صلى الله عليه وسلم تعليا فكما ان المتابعة تثبت الاتصال كذلك عدمها يثبت الانفصال وقد جمع الله

الى محمد صلى الله عليه وسلم وأضاف زكريا اليه ليعلم العباد فرق ما بين المنزلتين وتفاوت ما بين الرتبتين ثم انه تعالى لم يكتف بالتحكيم الظاهر فيكونوا به مؤمنين بل اشترط فقدان الحرج وهو الضيق من نفوسهم فى احكامه صلى الله عليه وسلم سواء كان الحكم بما يوافق أهواءهم أو يخالفها وانما تضيق النفوس لفقدان الانوار ووجود الاغيار فمنه يكون الحرج وهو الضيق والمؤمنون ليسوا كذلك اذ نور الايمان ملأ قلوبهم فاتسعت وانشرحت وكانت واسعة بنور الواسع العليم ممدودة بوجود فضله العظيم مهيأة لواردات أحكامه مفوضة اليه فى نقضه وابرامه ﴿ فائدة ﴾ اعلم ان الحق سبحانه اذا أراد ان يقوى عبدا على ما يريد أن يورده عليه من وجود حكمه ألبسه من أنوار وصفه وكساه من وجود نعته فتنزلت الاقدار وقد سبقت اليه الانوار فكان بربه لا بنفسه فقوي لاعبائها وصبر للأوائها وانما يعينهم على حمل الاقدار ورود الانوار * وان شئت قلت وانما يعينهم على حمل الاحكام فتح باب الافهام * وان شئت قلت وانما يعينهم على حمل البلايا واردات العطايا * وان شئت قلت وانما يقويهم على حمل اقداره شهود حسن اختياره * وان شئت قلت وانما يصبرهم على وجود حكمه علمهم بوجود علمه وان شئت قلت وانما صبرهم على ماجري علمهم بانه يرى * وان شئت قلت وانما يصبرهم على أفعاله ظهوره عليهم بوجود جماله * وان شئت قلت وانما صبرهم على القضا علمهم بان الصبر يورث الرضا * وان شئت قلت وانما صبرهم على الاقدار كشف الحجب والاستار * وان شئت قلت وانما قواهم على حمل أثقال التكليف ورود أسرار التصريف * وان شئت قلت انما صبرهم على اقداره علمهم بما أودع فيها من لطفه وابراره * فهذه عشرة أسباب توجب صبر العبد وثبوته لاحكام سيده وقوته عند ورودها وهو المعطى لكل ذلك بفضله والمان بذلك على ذوي العناية من أهله * ولنتكلم الآن على كل قسم منها لتكمل الفائدة * وتحصل الجدوي والعائدة ﴿ فاما الاول ﴾ وهو انما يعينهم على حمل الاقدار ورود الانوار وذلك ان الانوار اذا وردت كشفت للعبد عن قرب الحق سبحانه وتعالى منه وان هذه الاحكام لم تكن الا عنه فكأن علمه بان الاحكام انما هى من سيده سلوة له وسببا لوجود صبره ألم تسمع لما قال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم واصبر لحكم ربك فانك باعيننا أي ليس هو حكم غيره فيشق عليك بل هو حكم سيدك القائم باحسانه اليك ولنا فى هذا المعنى

وخفف عنى ما ألقي من العنا * بانك أنت المبتلي والمقدر
وما لامريء عما قضى الله معدل * وليس له منه الذى يتخير

ومثال ذلك لو ان انسانا فى بيت مظلم فضرب بشيء ولا يدرى من الضارب له فلما أدخل عليه مصباح نظر فاذا هو شيخه أو أبوه أو أميره فان علمه بذلك مما يوجب صبره على ماهنالك *(الثاني)* وهو قوله انما يعينهم على حمل الاحكام فتح باب الافهام * اعلم انه اذا أورد الله تعالى على عبده حكما وفتح له باب الفهم عنه فى ذلك الحكم فاعلم انه أراد سبحانه ان يحمله عنه وذلك أن الفهم يرجعك الى الله ويحثك اليه ويجعلك متوكلا عليه وقد قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه أى كافيه ووافيه وناصره على الاغيار وراعيه لان الفهم عن الله تعالى يكشف لك عن سر العبودية فيك وقد قال سبحانه وتعالى أليس الله بكاف عبده وكل هذه الوجوه العشرة ترجع الى الفهم عنه وانما هي أنواع فيه ﴿ الثالث ﴾ وهو قوله انما يعينهم على حمل البلايا واردات العطايا وذلك أن واردات العطايا السابقة من الله اليك تذكرك لها مما يعينك على حمل أحكام الله اذ كما قضي لك بما تحب اصبر له على ما يحب فيك ألم تسمع قوله تعالى أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها

الخير كله في بيت وجعل مفتاحه متابعة النبي صلى الله عليه وسلم فتابعه بالقناعة بما رزقك الله تعالى والزهد والتقلل من الدنيا وترك ما لا يعني من قول وفعل فمن فتح له باب المتابعة فذلك دليل على محبة الله له قال تعالى قل ان كنتم (٥) تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية واذا طلبت الخير كله فقل اللهم اني أسألك المتابعة لرسولك ﷺ في الاقوال والافعال ومن أراد ذلك فعليه بعدم الظلم لعباد الله في أعراضهم وأنسابهم فلو سلموا من ظلم بعضهم بعضا لا نطلقوا الى الله ولكنهم معوقون كالمدى تصيب من يطلبها واعلم أنك لو كنت مخصصا عند الملك مقربا منه وجاء من يطلبك بدين ضيق عليك ولو كان قدراً يسيرا فكيف بك اذا جئت يوم القيامة ومائة الف انسان أو أكثر يطلبونك بديون مختلفة من أخذ مال وقذف عرض وغير ذلك فكيف يكون حالك المصاب حقا من محقته الذنوب والشهوات حتي جعلته كالشن البالي هذا هو المنكوب المعزي ذهبت مآ كله وشهواته ملأ بها المرحاض وأرضي بها زوجته ويا ليتها كانت من حلال فاول المقامات التوبة ولا يقبل ما بعدها الا بها مثال العبد اذا فعل المعصية كالقدر الجديد توقد تحتها النار ساعة فتسود فان بادرت الى غسلها انغسلت من ذلك السواد وان تركتها وطبخت فيها مرة بعد مرة ثبت السواد فيها حتى تكسر ولا يفيد غسلها شيأ فالتوبة هي التي تغسل سواد القلب فتبرز الاعمال وعليها رائحة القبول فاطلب من الله تعالى التوبة دائما فان

فسلاهم الحق فيما أصيبوا انما أصابوا هذا في العطايا السابقة وقد يقترن بالبلايا في حين ورودها ما يخففها على العباد المقربين من ذلك أن يكشف لهم عن عظيم الاجر الذي ادخره لهم في تلك البلية ومنها ما ينزل على قلوبهم من التثبيت والسكينة ومنه ما يورده عليهم من دقائق اللطف وتنزلات المنن حتى كان بعض الصحابة رضي الله عنهم يقول في بعض مرضه أشدد حنقك وحتي قال بعض العارفين لقد مرضت مرضة فأحببت أن لا تزول لما ورد علي فيها من امداد الله تعالي وانكشف فيها من وجود غيبه وللكلام في سبب ذلك موضع غير هذا * (الرابع) * وهو انما يقويهم على حمل أقداره شهود حسن اختياره وذلك ان العبد اذا شهد حسن اختيار الله تعالي له علم أن الحق سبحانه لا يقصد ألم عبده لانه به رحيم وكان بالمؤمنين رحيما وقد رأي رسول الله ﷺ امرأة معها ولدها فقال أترون هذه طارحة ولدها في النار قالوا لا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم الله أرحم بعبده المؤمن من هذه بولدها غير أنه سبحانه وتعالى يقضي عليك بالآلام لما يترتب عليها من الفضل والانعام ألم تسمع قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ولو وكل الحق سبحانه العباد الي اختيارهم لحرموا وجود منته ومنعوا الدخول الى منته فله الحمد على حسن الاختيار ألم تسمع قوله تعالي وعسي أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسي أن تحبوا شيأ وهو شر لكم وان الاب المشفق هو يسوق لابنه الحجام لا لقصد الايلام وكالطبيب الناصح يعانيك بالمراهم الحادة وان كانت مؤلمة لك ولو طاوع اختيارك لبعد الشفاء عليك ومن منع وعلم ان المنع انما هو اشفاق عليه فهذا المنع في حقه عطاء وكالام المشفقة تمنع ولدها كثرة المأكل خشية التخمة ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى اعلم أن الحق سبحانه وتعالى اذا منعك لم يمنعك من بخل وانما يمنعك رحمة لك فمنع الله تعالى عطاء ولكن لا يفهم العطاء في المنع الا صديق وفي كلام أثبتناه في غير هذا الكتاب أنه ليخفف عنك ألم البلايا علمك بانه سبحانه وتعالى هو المبتلي لك فالذي واجهتك منه الاقدار هو الذي لم يزل يدفع عنك ويحسن لك في الاختيار ﴿الخامس﴾ وهو أنه انما صبرهم على وجود حكمه علمهم بوجود علمه وذلك أن علم العبد بان الحق سبحانه مطلع عليه فيما أبلاه يخفف عنه أعباء البلايا ألم تسمع قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا أي ما تلقاه يا محمد من كفار قريش من المعاندة والتكذيب ليس يخاف علينا والحكاية المشهورة أن انسانا ضرب تسعة وتسعين سوطا ولم يتأوه فلما ضرب السوط الذي هو تمام المائة تأوه فقيل له في ذلك فقال كان الذي ضربت من أجله في الحقيقة في التسعة والتسعين فلما ولي عني أحسست بالالم ﴿السادس﴾ وهو انما صبرهم على أفعاله ظهوره عليهم بوجود جماله وذلك ان الحق سبحانه وتعالى اذا تجلى على عبده في حين ملاقاته لمر غلبة البلايا حمل حرارتها عنه لما أذاقه من حلاوة التجلي فربما غيبهم ذلك عن الاحساس بالالم ويكفيك في ذلك قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن ﴿السابع﴾ وهو انما صبرهم على القضاء علمهم بان الصبر يورث الرضا وذلك أن من صبر على أحكام الله أورثه ذلك الرضا من الله فتحملوا حرارتها طلبا لرضاه كما يحتسي الدواء المر لما يرجى فيه من عاقبة الشفاء ﴿الثامن﴾ وهو انما صبرهم على الاقدار كشف الحجب والاستار وذلك أن الحق سبحانه وتعالى اذا أراد أن يحمل عن عبد ما يورده عليه كشف الحجاب عن بصيرة قلبه فاراه قربه منه فغيبه أنس القرب عن ادراك المؤلمات ولو ان الحق سبحانه وتعالى تجلى لاهل النار بجماله وكماله لغيبهم ذلك عن ادراك العذاب كما أنه لو احتجب عن أهل الجنة لما طاب لهم النعيم فالعذاب انما من وجود الحجاب وأنواع العذاب مظاهره والنعيم انما هو بالظهور والتجلي وأنواع النعيم مظاهره ﴿التاسع﴾ وهو انما قواهم على حمل أثقال التكليف وورود أسرار التصريف وذلك لان

ظفرت بها فقد طاب وقتك لانها موهبة من الله يضعها حيث شاء من عباده وقد يظفر بها العبد المشقق الاكعاب دون سيده وقد تظفر بها المرأة دون زوجها والشاب دون الشيخ (٦) فان ظفرت بها فقد أحبك الله لقوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين

وانما يغتبط بالشيء من يعرف قدره ولو بدرت الياقوت بين الدواب لكان الشعير أحب اليها فانظر من أى الفريقين أنت ان تبت فانت من المحبوبين وان لم تتب فانت من الظالمين قال الله تعالى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون من تاب ظفر ومن لم يتب خسر ولا تقطع يأسك وتقول كم أتوب وأنقض فالمريض يرجو الحياة مادامت فيه الروح واذا تاب العبد فرحت به داره من الجنة وتفرح به السماء والارض والرسول ﷺ فالحق سبحانه لم يرض ان تكون محبا بل محبوبا وأين المحبوب من المحب أف لعبد يعلم احسان المحسن فيجترىء على معصيته | ولكن ما عرف احسانه من آثر عصيانه وماعرف قدره من لم يراقبه وما ربح من اشتغل بغيره فعلم ان النفس تدعوه الي الهلكة فتبعها وعلم ان القلب يدعوه الى الرشد فعصاه وعلم قدر المعصي فواجهه بالمعصية ولو علم اتصافه بعظمته لما قابله بوجود معصيته وعلم وقرب مولاه وانه يراه فسارع لما عنده نهاه وعلم أثر الذنب المرتب عليه دنيا وأخرى وغيبا وشهادة فما استحيا من ربه ولو علم انه في قبضته لما قابله بمخالفته واعلم ان المعصية تتضمن نقض العهد وتحليل عقد الود والايثار على المولى والطاعة للهوى وخلع جلباب الحياء

التكاليف شاقة على العباد ويدخل فى ذلك امتثال الاوامر والانكفاف عن الزواجر والصبر على الاحكام والشكر عند وجود الانعام فهى اذا أربعة طاعة ومعصية ونعمة وبلية وهى أربع لاخامس لها ولله عليك فى كل واحدة من هذه الاربع عبودية يقتضيها منك بحكم الربوبية فحقه عليك فى الطاعة شهود المنة منه عليك فيها وحقه عليك فى المعصية الاستغفار مما ضيعت فيها وحقه عليك فى البلية الصبر معه عليها وحقه عليك فى النعمة وجود الشكر منك فيها ويحمل عنك اعباء ذلك كله الفهم واذا فهمت أن الطاعة راجعة اليك وعائدة بالجدوى عليك صبرك ذلك على القيام بها واذا علمت أن الاصرار على المعصية والدخول فيها يوجب العقوبة من الله آجلا وانكشاف نور الايمان عاجلا كان ذلك سببا للترك منك لها واذا علمت أن الصبر تعود عليك ثمرته وتنعطف عليك بركته سارعت اليه وعولت عليه واذا علمت أن الشكر يتضمن المزيد من الله لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم كان ذلك سببا لمثابرتك عليه ونهوضك اليه وسنبسط الكلام على هذه الاربع فى آخر الكتاب ونفرد لها فصلا ان شاء الله تعالى *(العاشر)* وهو انما صبرهم على أقداره علمهم بما أودع فيها من لطفه وابراره وذلك أن المكاره أودع الحق تعالى فيها وجود الالطاف ألم تسمع قوله تعالى وعسي أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وقوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وفى البلايا والاسقام والفاقات من أسرار الالطاف مالا يفهمه الا أولو البصائر ألم تر أن البلايا تخمد النفس وتذلها وتدهشها عن طلب حظوظها ويقع مع البلايا وجود الذلة ومع الذلة تكون النصرة ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وبسط القول فى ذلك يخرجنا عن قصد الكتاب *(انعطاف)* لنرجع الآن الى الآية وهى قوله سبحانه وتعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما *اعلم ان الاحوال ثلاثة قبل التحكيم وفيه وبعده فاما قبل التحكيم فعبوديتهم التحكيم وأما فى الحكم وبعده فعبوديتهم عدم وجدان الحرج فى أمورهم *فان قلت ان ذلك لازم من قوله تعالى حتى يحكموك قيل ليس كل من حكم فقد الحرج عنه اذ قد يحكم ظاهرا والكراهة عنده موجودة فلابد أن ينضم الي التحكيم فقدان الحرج ووجود التسليم فان قال القائل اذا لم يجدوا الحرج فقد سلموا تسليما فما فائدة الاتيان بقوله ويسلموا تسليما بعد نفي الحرج المستلزم لقبول التسليم الذى من صفته وجود التأكيد فالجواب عنه أن قوله تعالى ويسلموا تسليما أى فى جميع أمورهم *فان قلت ان ذلك لازم من قوله حتى يحكموك فالجواب أن التحكيم ما أطلقه بل قيده بقوله تعالى فيما شجر بينهم فصارت الآية تتضمن ثلاثة أمور أحدها التحكيم فيما اختلفوا فيه والثاني عدم وجدان الحرج فى التحكيم والثالث وجود التسليم المطلق فيما شجر بينهم وفيما نزل بينهم فى أنفسهم فهو عام بعد خاص فافهم* الآية الثانية وهى قوله تعالى وربك يخلق مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالي عما يشركون تتضمن فوائد* الفائدة الاولى قوله تعالى وربك يخلق مايشاء ويختار* يتضمن ذلك الالزام للعبد بترك التدبير مع الله لانه اذا كان يخلق مايشاء فهو يدبر مايشاء فمن لا خلق له لا تدبير له أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ويتضمن قوله ويختار انفراده بالاختيار وأن أفعاله ليست على الالجاء والاضرار بل هو على نعت الارادة والاختيار وفى ذلك الزام للعبد باسقاط التدبير والاختيار مع الله تعالى اذ ما هو له لا ينبغى أن يكون لك وقوله ما كان لهم الخيرة يحتمل وجهين أحدهما لا ينبغى أن تكون الخيرة لهم وأن يكونوا أولى بها منه سبحانه وتعالى وثانيهما ما كان لهم الخيرة أى ما أعطيناهم ذلك ولا جعلناهم أولي بما هنالك وقوله

والمبادرة لله بما لا يرضي مع ما في ذلك من الآثار الظاهرة من ظهور الكدورة في الاعضاء والجمود في العين والكسل في الخدمة وترك الحفظ للحرمة وظهور كسب الشهوات وذهاب بهجة الطاعات واما الآثار الباطنة فكالقساوة (٧) في القلب ومعاندة النفس وضيق الصدر بالشهوات وفقدان حلاوة الطاعات وترادف الاغيار المانعة من بروق شوارق الانوار واستيلاء دولة الهوى الى غير ذلك من ترادف الارتياب ونسيان المآب وطول الحساب ولو لم يكن في المعصية الا تبدل الاسم لكان ذلك كافيا فانك اذا كنت طائعا تسمي بالمحسن واذا كنت عاصيا انتقل اسمك الي المسيء المعرض هذا في انتقال الاسم فكيف بانتقال الاثر من تبدل حلاوة الطاعة بحلاوة المعصية ولذاذة الخدمة بلذاذة الشهوة وهذا في تبدل الاثر فكيف بتبدل الوصف بعد ان كنت موصوفا عند الله بمحاسن الصفات فينعكس الامر فتتصف بمساوىء الحالات هذا في تبدل الوصف فكيف تبدل المرتبة فبعد ان كنت عند الله من الصالحين صرت عنده من المفسدين وبعد ان كنت عنده من المتقين صرت عنده من الخائنين فان كانت الذنوب منفتحة في وجهك فاستغث بالله والجأ اليه واحث التراب على رأسك وقل اللهم انقلني من ذل المعصية الى عز الطاعة وزر ضرائح الاولياء والصالحين وقل يا أرحم الراحمين أتريد ان تجاهد نفسك وأنت تقويها بالشهوات حتى تغلبك والا فقد جهلت فالقلب شجرة تسقى

سبحان الله وتعالى عما يشركون أي تنزيها لله أن يكون لهم الخيرة معه وبينت الآية ان من ادعى الاختيار مع الله فهو مشرك مدع الربوبية بلسان حاله وان تبرأ من ذلك بمقاله * الآية الثانية وهي قوله تعالى أم للانسان ما تمنى فلله الآخرة والاولى فيها دلالة على اسقاط التدبير مع الله بقوله أم للانسان ما تمنى اي لا يكون ولا ينبغي له لا ناما جعلناه له أكد ذلك بقوله فلله الآخرة والاولى ففي ذلك أيضا الزام العبد ترك التدبير مع الله تعالى أي اذا كان لله الآخرة والاولى فليس فيهما للانسان شيء فلا ينبغي له التدبير في ملك غيره وانما ينبغي أن يدبر في الدارين من هو مالكهما وهو الله سبحانه وتعالى * وقوله ﷺ ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا فيه دليل على ان من لم يكن كذلك لا يجد حلاوة الايمان ولا يدرك مذاقه وانما يكون ايمانه صورة لا روح فيها وظاهر لا باطن له ورسما لا حقيقة تحته وفيه اشارة الى ان القلوب السليمة من امراض الغفلة والهوى تتنعم بملذات المعاني كما تتنعم النفوس بملذوذات الاطعمة وانما ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا لانه لما رضي بالله ربا استسلم له وانقاد لحكمه وألقى قياده اليه خارجا عن تدبيره واختياره الي حسن تدبير الله واختياره فوجد لذاذة العيش وراحة التفويض ولما رضي بالله ربا كان له الرضا من الله كما قال الله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه واذا كان له الرضا من الله اوجده الله حلاوة ذلك ليعلم ما من به عليه وليعلم احسان الله اليه ولا يكون الرضا بالله الا مع الفهم ولا يكون الفهم الا مع النور ولا يكون الدنو الا مع العناية فلما سبقت لهذا العبد العناية خرجت له العطايا من خزائن المنن فلما واصلته أمداد الله وأنواره عوفي قلبه من الامراض والاسقام فكان سليم الادراك فادرك لذاذة الايمان وحلاوته لصحة ادراكه ولسلامة ذوقه ولو سقم قلبه بالغفلة عن الله لم يدرك ذلك لان المحموم ربما وجد طعم السكر مرا وليس هو في نفس الامر كذلك فاذا زالت اسقام القلوب أدركت الاشياء على ما هي عليه فتدرك حلاوة الايمان ولذاذة الطاعة ومرارة القطيعة والمخالفة فيوجب ادراكها لحلاوة الايمان اغتباطها به وشهود المنة من الله عليها فيه وتطلب الاسباب الحافظة للايمان والجالبة له ويوجب ادراك لذاذة الطاعة المداومة عليها وشهود المنة من الله فيها ويوجب ادراكها لمرارة الكفران والمخالفة الترك لهما والنفور عنهما وعدم الميل اليهما فيحمل على الترك للذنب وعدم التطلع اليه وليس كل متطلع تاركا ولا كل تارك غير متطلع وانما كان كذلك لان نور البصيرة دال على ان المخالفة لله والغفلة عنه سم للقلوب مهلك لنفرة قلوب المؤمنين عن مخالفة الله تعالى كنفرتك عن الطعام المسموم وقوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام دينا لانه اذا رضي بالاسلام دينا فقد رضي بما رضي به المولى واختاره لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام ولقوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ولقوله ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون واذا رضي بالاسلام دينا فمن لازم ذلك امتثال الاوامر والانكفاف عن وجود الزاجر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والغيرة اذا رأى ملحدا يجادل ان يدخل فيه ما ليس منه فيدمغه ببرهانه ويقمعه ببيانه وقوله صلى الله عليه وسلم وبمحمد نبيا فلازم من رضي بمحمد نبيا أن يكون له وليا وأن يتأدب بآدابه وان يتخلق باخلاقه زهدا في الدنيا وخروجا عنها وصفحا عن الجناية وعفوا عمن أساء اليه الى غير ذلك من تحقق المتابعة قولا وفعلا وأخذا وتركا وحبا وبغضا وظاهرا وباطنا فمن رضي بالله استسلم له ومن رضي بالاسلام عمل له ومن رضي بمحمد صلى الله عليه وسلم تابعه ولا تكون واحدة منها الا بكلها اذ محال أن يرضى بالله ربا ولا يرضى بالاسلام دينا او يرضى بالاسلام دينا ولا يرضى بمحمد نبيا وتلازم ذلك بين لا خفاء فيها واذ قد تبين هذا فاعلم ان مقامات اليقين

تسعة وهي التوبة والزهد والصبر والشكر والخوف والرضاء والرجاء والتوكل والمحبة ولا تصح كل واحدة من هذه المقامات الا باسقاط التدبير مع الله والاختيار وذلك ان التائب كما يجب عليه ان يتوب من ذنبه كذا يجب عليه ان يتوب من التدبير مع ربه لان التدبير والاختيار من كبائر القلوب والاسرار والتوبة هي الرجوع الى الله تعالى من كل ما لا يرضاه لك والتدبير لا يرضاه لك لانه شرك بالربوبية وكفر لنعمة العقل ولا يرضي لعباده الكفر وكيف يصح توبة عبد مهموم بتدبير دنياه غافل عن حسن رعاية مولاه وكذلك لا يصح الزهد الا بالخروج عن التدبير لان مما انت مخاطب بالخروج عنه والزهد فيه تدبيرك اذ الزهد زهدان زهد ظاهر جلي وزهد باطن خفي فالظاهر الجلي الزهد في فضول الحلال من المأكولات والملبوسات وغير ذلك والزهد الخفي الزهد في الرياسة وحب الظهور ومنه الزهد في التدبير مع الله وكذلك لا يصح صبر ولا شكر الا باسقاط التدبير وذلك لان الصابر من صبر على ما لا يحبه الله ومما لا يحبه الله تعالى التدبير معه والاختيار لان الصبر على أقسام صبر عن المحرمات وصبر عن الواجبات وصبر عن التدبيرات والاختيارات وان شئت قلت صبر عن الحظوظ البشرية وصبر على لوازم العبودية ومن لوازم العبودية اسقاط التدبير مع الله تعالى وكذلك لا يصح الشكر الا لعبد ترك التدبير مع الله لان الشكر كما قال الجنيد رحمه الله تعالى هو ان لا تعصي الله بنعمه ولو العقل الذي ميزك الله به على اشكالك وجعله سبباً لكمالك لم تكن من المدبرين معه اذ الجمادات والحيوانات لا تدبير لها مع الله لفقدان العقل الذي من شأنه النظر الى العواقب والاهتمام بها ويناقض ايضا مقام الخوف والرجاء اذ الخوف اذا توجهت سطواته الى القلوب منعها ان تستروح الى وجود التدبير والرجاء أيضا كذلك اذ الراجي قد امتلأ قلبه فرحا بالله ووقته مشغول بمعاملة الله تعالى فاي وقت يسعه التدبير مع الله تعالى ويناقض أيضا مقام التوكل وذلك ان المتوكل على الله من التي قياده اليه واعتمد في كل أموره عليه فمن لازم ذلك عدم التدبير والاستسلام لجريان المقادير وتعلق اسقاط التدبير بمقام التوكل والرضا أبين من تعلقه بسائر المقامات ويناقض أيضا مقام المحبة اذ المحب مستغرق في حب محبوبه وترك الارادة معه هي عين مطلوبه وليس يتسع وقت المحب للتدبير مع الله لانه قد شغله عن ذلك حبه لله ولذلك قال بعضهم من ذاق شيئاً من خالص محبة الله ألهاه ذلك عما سواه ويناقض ايضا مقام الرضا وهو بين لا اشكال فيه وذلك ان الراضي قد اكتفي بسابق تدبير الله فيه فكيف يكون مدبرا معه وقد رضى بتدبيره ألم تعلم ان نور الرضا يغسل من القلوب غثاء التدبير فالراضي عن الله بسطه نور الرضا لاحكامه فليس له تدبير مع الله وكفى بالعبد حسن اختيار سيده له فافهم

﴿فصل﴾ اعلم أن الذي يحملك على اسقاط التدبير مع الله والاختيار أمور * الاول علمك بسابق تدبير الله فيك وذلك أن تعلم ان الله كان لك قبل ان تكون لنفسك فكما كان لك مدبرا قبل ان تكون ولا شيء من تدبيرك معه كذلك هو سبحانه وتعالى مدبر لك بعد وجودك فكن له كما كنت له يكن لك كما كان لك ولذلك قال الحسين الحلاج كن لي كما كنت لى فى حين لم أكن فسأل من الله أن يكون له بالتدبير بعد وجوده كما كان له بالتدبير قبل وجوده لانه قبل وجود العبد كان العبد مدبرا بعلم الله وليس هناك للعبد وجود فتقع الدعوى منه لتدبير نفسه فيقع الخذلان لاجل ذلك فان قلت فانه فى حين لم يكن عدم فكيف يتعلق التدبير به فاعلم ان للاشياء وجودا فى علم الله وان لم يكن لها وجود فى أعيانها فالحق سبحانه وتعالى يتولى تدبيرها من حيث انها موجودة فى علمه وفى هذه المسئلة غور عظيم ليس هذا الموضع محلا لبسطه ﴿بيان واعلام﴾ اعلم ان الحق سبحانه وتعالى تولاك بتدبيره على جميع أطوارك وقام لك فى كل ذلك بوجود ابرازك فقام لك بحسن

التدبير

بماء الطاعة وثمراتها مواجيدها فالعين ثمرتها الاعتبار والاذن ثمرتها الاستماع للقرآن واللسان ثمرته الذكر واليدان والرجلان ثمرتهما السعى فى الخيرات فاذا جف القلب سقطت (٨) ثمراته فان أجدب فاكثر من الاذكار ولا تكن كالعليل يقول لا أتداوى حتى أجد الشفاء فيقال له لا تجد الشفاء حتى تتداوي فالجهاد ليس معه حلاوة وما معه الا رءوس الاسنة فجاهد نفسك هذا هو الجهاد الاكبر واعلم ان الثكلى لاعيد لها بل العيد لمن قهر نفسه ولا عيد الا لمن جمع شمله * جاز بعضهم على دير راهب فقال له ياراهب متي عيد هؤلاء القوم قال يوم يغفر لهم مامثالك مع نفسك الا كمن وجد زوجته فى حانة خمار فاتاها بالملابس الحسنة والمآكل الطيبة واذا تركت الصلاة أصبحت تطعمها الهرائس والالوان (بقى بعضهم) أربعين سنة لا يحضر الجماعة لما يشم من نتن قلوب الغافلين فما أعرفك بمصالح الدنيا وما أجهلك بمصالح آخرتك مثال الدنيا عندك كمن خرج الى الضيعة واجتهد فى خزن الاقوات فقد أوتيت بما يعود نفعه عليك فى وقته وأنت خزنت حيات الشهوات وعقارب المعصية فهلكت كفى بك جهلا ان الناس يخزنون الاقوات وقت حاجتهم اليها وأنت تخزن ما يضرك وهي المعاصي هل رأيت من يأتي بحيات فيربيها فى داره فها أنت تفعل ذلك وأضر ما يخاف عليك محقرات الذنوب لان الكبائر ربما استعظمتها فتبت منها واستحقرت الصغائر فلم تتب منها فمثالك كمن وجد أسدا فخلصه الله منه فوجد بعده

خمسين ذنبا فغلبوه فقال الله تعالى وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم والكبيرة حقيرة فى كرم الله فاذا اصررت على الصغيرة صارت كبيرة لان السم يقتل مع صغره والصغيرة كالشرارة من النار والشرارة قد تحرق بلدة من اتفق عافيته (٩) وصحته فى معصية الله فمثاله

التدبير يوم المقادير يوم ألست بربكم قالوا بلى ومن حسن تدبيره لك حينئذ أن عرفك به فعرفته وتجلى لك فشهدته واستنطقك وألهمك الاقرار بربوبيته فوحدته ثم أنه جعلك نطفة مستودعة فى الاصلاب وتولاك بتدبيره هنالك حافظاً لك وحافظاً لما أنت فيه وواصلا لك المدد بواسطة من أنت فيه من الآباء الى أبيك آدم ثم قذفك فى رحم الام فتولاك بحسن التدبير حينئذ وجعل الرحم قابلة لك أرضا يكون فيها نباتك ومستودعا تعطى فيها حياتك ثم جمع بين النطفتين وألف بينهما فكنت منهما لما بنيت عليه الحكمة الالهية من أن الوجود كله مبنى على سر الازدواج ثم جعلك بعد النطفة علقة مهيأة لما يريد سبحانه وتعالى أن ينقلها اليه ثم بعد العلقة مضغة ثم فتق سبحانه وتعالى فى المضغة صورتك وأقام بنيتك ثم نفخ فيك الروح بعد ذلك ثم غذاك بدم الحيض فى رحم الام فاجري عليك رزقه من قبل أن يخرجك الي الوجود ثم أبقاك فى رحم الام حتى قويت اعضاؤك واشتدت أركانك ليهيئك الى البروز الى ماقسم لك أو عليك وليبرزك الى دار يتعرف فيها بفضله وعدله اليك ثم لما أنزلك الى الارض علم سبحانه وتعالى أنك لا تستطيع تناول خشن المطاعم وليس لك أسنان ولا أرحاء تستعين بها على ما أنت طاعم فاجري الثديين بغذاء لطيف ووكل بهما مستحث الرحمة فى قلب الام كلما وقف اللبن عن البروز استحثته الرحمة التي جعلها لك فى الام مستحثا لا يفتر ومستنهضا لا يقصر ثم انه شغل الاب والام بتحصيل مصالحك والرأفة عليك والنظر بعين المودة منهما اليك وما هى الا رأفة ساقها اليك والى العباد فى مظاهر الآباء والامهات تعريفا بالوداد وفى حقيقة الامر ما كلاك الا ربوبيته وما حضنك الا الاهيته ثم ألزم الاب القيام بك الي حين البلوغ وأوجب عليه ذلك رأفة منه بك ثم رفع قلم التكاليف عنك الي أوان تكمل الافهام وذلك عند الاحتلام ثم الى أن صرت كهلا لم يقطع عنك نوالا ولا فضلا ثم اذا انتهيت الى الشيخوخة ثم اذا قدمت عليه ثم اذا حشرت اليه ثم اذا أقامك بين يديه ثم اذا سلمك من عقابه ثم اذا أدخلك دار ثوابه ثم اذا كشف عنك وجود حجابه وأجلسك مجلس أوليائه وأحبابه قال سبحانه وتعالى ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فلاى احسانه تشكر وأى آلائه وأياديه تذكر واستمع قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله تعلم أنك لم تخرج ولن تخرج عن احسانه ولن يعدوك وجود فضله وامتنانه وان أردت البيان فى تقلبات أطوارك فاسمع ما قاله سبحانه وتعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون تبدو لك بوارقها وتبسط عليك شوارقها وفى ذلك ما يلزمك أيها العبد الاستسلام اليه والتوكل عليه ويضطرك الي اسقاط التدبير وعدم منازعة المقادير والله الموفق (الثاني) أن تعلم أن التدبير منك لنفسك جهل منك بحسن النظر لها فان المؤمن قد علم أنه اذا ترك التدبير مع الله كان له بحسن التدبير منه لقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فسار التدبير فى اسقاط التدبير والنظر للنفس ترك النظر لها فافهم ههنا قوله تعالي وأتوا البيوت من أبوابها فباب التدبير من الله لك هو اسقاط التدبير منك لنفسك (الثالث) علمك بان القدر لا يجرى على حسب تدبيرك بل أكثر ما يكون ما لا تدبر واقل ما يكون ما أنت مدبر والعاقل لا يبنى بناء على غير قرار فمتى تتم مبانيك والاقدار تهدمها وعن التمام تصدها * شعر

متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدمه

واذا كان التدبير منك والقدر يجري على خلاف ما تدبر فما فائدة تدبير لا تنصره الاقدار وانما ينبغى أن

كمن خلف له أبوه ألف دينار فاشتري بها حيات وعقارب وجعلها حوله تلدغه هذه مرة وتلسعه هذه اخرى الى ان تقتله وأنت تمحق الساعات فى مخالفته فما مثالك الا كالحدأة تطوف على الجيفة حيث ماوجدتها اعطت عليها فكن كالنحلة صغيراً جرمها عظيمة همتها تجنى طيباً وتضع طيبا طالما تمرغت فى مواطن المحن فتمرغ فى عتاب الله عز وجل فهذه الحقيقة تبين طريقك ولكن من اماتته الغفلة لم ترده النكبات لان المرأة الناقصة العقل يموت ولدها وهى تضحك فكذلك أنت تنكب عن قيام الليل وعن صيام النهار وفى جميع جوارحك ولم تتألم وما ذلك الا لان الغفلة قد أماتت قلبك لان الحى يؤلمه وخز الابر ولو قطع الميت بالسيف لم يتألم فانت حينئذ ميت القلب فاجلس مجلس الحكمة فان فيه نفحة من نفحات الجنة تجدها فى طريقك وفى دارك وفى بيتك فلا يفتك المجلس

(٢ تنوير) ولو كنت على معصية فلا تقل ما الفائدة فى حضور المجلس وأنا أعصي ولا أقدر على ترك المعصية بل على الرامى ان يرمى فان لم يأخذ اليوم فسيأخذ غدا اعلم يا هذا اياك والمعصية فقد تكون سببا لتوقف الرزق فاطلب من الله التوبة فان قبلت والا فاستغث

بالله وقل ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ولا تكن كمن اتي عليه أربعون سنة ولم يقرع باب الله قط وا كثر ما يخاف عليك سوء الخاتمة (١٠) والعياذ بالله تعالى بسبب اطفاء جمرة الايمان بسواد العصيان وهى الذنب على الذنب حتى يسود القلب من غير توبة اياك ان تتهاون فى أعمالك وتختار الطيبات لمرحاضك واحذر نفسك التى بين جنبيك فهى التى تحطب عليك ثم لاتفارق صاحبها الى الممات والشيطان يفارق فى رمضان لانه يغل فيه الشياطين وربما تجد من يقتل فيه ويسرق فهذا من النفس فاذا مالت الى المعصية فذكرها بعذاب الله والقطيعة عن الله بسببه والعسل المسموم يترك مع العلم بحلاوته لما فيه من وجود الاذى لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم الدنيا حلوة خضرة وروى أيضا جيفة قذرة حلوة خضرة عند أهل الغفلة وجيفة قذرة عند العقلاء حلوة خضرة عند النفوس جيفة قذرة مرائي القلوب حلوة خضرة للتحذير وجيفة قذرة للتنفير فلا تخدعنكم بحلاوتها فان عاقبتها مرة اذا قيل لك من المؤمن فقل الذى أطلع على عيب نفسه ولم ينسب أحدا من العباد الى عيب واذا قيل لك من المخذول فقل الذي ينسب العباد الي العيب ويبرىء نفسه منه ومما تمادي عليه أهل الزمان مباسطتهم ومؤانستهم للعاصين ولوانهم عبسوا فى وجوههم لكان ذلك زاجرا لهم عن المعصية لوفتح لك باب

يكون التدبير لمن بيده أزمة المقادير ولذلك قيل شعر

ولما رأيت القضا جاريا * بلا شك فيه ولا مرية
توكلت حقا على خالقي * وألقيت نفسى مع الجرية

(الرابع) علمك بان الله تعالى هو المتولى لتدبير مملكته علوها وسفلها غيبها وشهادتها وكما سلمت له تدبيره فى عرشه وكرسيه وسمواته وأرضه فسلم له تدبيره فى وجودك الى هذه العوالم فان نسبة وجودك الى هذه العوالم نسبة توجب تلاشيك كما أن نسبة السموات السبع والارضين السبع بالنسبة الي الكرسي كحلقة ملقاة فى فلاة من الارض فماذا عسي أن تكون أنت فى مملكته فاهتمامك بامر نفسك وتدبيرك لما جهل منك بالله بل الامر كما قال سبحانه وماقدروا الله حق قدره فلو ان العبد عرف ربه لاستحى أن يدبر معه ولا قذف بك فى بحر التدبير الا حجبتك عن الله لان الموقنين لما كشف عن بصائر قلوبهم شهدوا أنفسهم مدبرين لا مدبرين ومصرفين لا متصرفين ومحركين لا متحركين وكذلك عمار الصفيح الاعلى مشاهدون لظهور القدرة ونفوذ الارادة وتعلق القدرة بمقدورها والارادة بمرادها والاسباب معزولة فى مشهدهم فلذلك طهروا من الدعوى لما هم عليه من وجود المعاينة وثبوت المواجهة فلذلك قال سبحانه انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون ففى هذا تزكية للملائكة واشارة الى أنهم لم يكونوا مع الله مدعين لما خولهم ولا متنسبين لما نسب اليهم اذ لو كان كذلك لقال انا نحن نرث الارض والسماء بل نسبتهم اليه وهيبتهم له وولههم من عظمته منعهم ان يركنوا لشيء دونه فكما سلمت لله تدبيره فى سمائه وأرضه فسلم له تدبيره فى وجودك لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس (الخامس) علمك بانك ملك لله وليس لك تدبير ما هو لغيرك فما ليس لك ملكه ليس لك تدبيره واذا كنت أيها العبد لاتنازع فيما تملك ولا ملك لك الا بتمليكه اياك وليس لك ملك حقيقي وانما هى نسبة شرعية اوجبت الملك لك من غير شيء قائم بوصفك تستوجب به أن تكون مالكا فان لا تنازع لله فيما يملكه أولي وأحري لاسيما وقد قال سبحانه وتعالى ان الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة فلا ينبغى لعبد بعد المبايعة تدبير ولا منازعة لان ما بعته وجب عليك تسليمه وعدم المنازعة فيه فالتدبير فيه نقض لعقد المبايعة * ودخلت على الشيخ ابي العباس المرسي رحمه الله يوما فشكوت اليه بعض أمرى فقال ان كانت نفسك لك فاصنع بها ما شئت ولن تستطيع ذلك أبدا وان كانت لبارئها فسلمها له يصنع بها ما شاء ثم قال الراحة فى الاستسلام الى الله وترك التدبير معه وهو العبودية * قال ابراهيم بن أدهم رحمه الله نمت ليلة عن وردي فاستيقظت فندمت فنمت بعد ذلك ثلاثة ايام عن الفرائض فلما استيقظت سمعت هاتفا يقول شعرا

كل شيء لك مغفو * ر سوي الاعراض عنا * قد غفرنا لك ما فا * ت بقى مافات منا

ثم قيل لى يا ابراهيم كن عبدا فكنت عبدا فاسترحت (السادس) علمك بانك فى ضيافة الله لان الدنيا دار الله وأنت نازل فيها عليه ومن حق الضيف أن لا يعول هما مع رب المنزل * قيل للشيخ أبى مدين رحمه الله ياسيدي مالنا نري المشايخ يدخلون فى الاسباب وأنت لا تدخل فيها فقال ياأخى أنصفونا الدنيا دار الله ونحن فيها ضيوفه وقد قال عليه السلام الضيافة ثلاثة أيام فلنا عند الله ثلاثة أيام ضيافة وقد قال تعالى وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون فلنا عند الله ثلاثة آلاف سنة ضيافة مدة اقامتنا فى الدنيا منها وهو مكمل ذلك بفضله فى الدار الآخرة وزائد على ذلك الخلود الدائم (السابع) نظر العبد الى قيومية

الله تعالى في كل شيء الم تسمع قوله تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم فهو سبحانه وتعالى قيوم الدنيا والآخرة قيوم الدنيا بالرزق والعطاء والآخرة بالاجر والجزاء فاذا علم العبد قيومية ربه به وقيامه عليه ألقى قياده اليه وانطرح بالاستسلام بين يديه فالقى نفسه بين يدي ربه مسلما ناظرا لما يرد عليه من الله حكما (الثامن) هو اشتغال العبد بوظائف العبودية التي هي مغياة بالعمر لقوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فاذا توجهت همته الى رعاية عبوديته شغله ذلك عن التدبير لنفسه والاهتمام لها * قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى اعلم أن لله تعالى عليك في كل وقت سهما في العبودية يقتضيه الحق سبحانه وتعالى منك بحكم الربوبية والعبد مطالب بذلك كله ومسؤول عنه وعن أنفاسه التي هي امانة الحق عنده فاين الفراغ لاولي البصائر عن حقوق الله حتى يمكنهم التدبير لانفسهم والنظر في مصالحها باعتبار حظوظها ومآربها ولا يصل احد الى منة الله الا بغيبته عن نفسه وزهده فيها مصروفة همته الى محاب الله تعالى متوفرة دواعيه على موافقته دائبا على خدمته ومعاملته فبحسب غيبتك عن نفسك فناء عنها يبقيك الله به لذلك قال الشيخ ابو الحسن أيها السابق الى سبيل نجاته الشائق الى حضرة جنابه اقلل النظر الى ظاهرك ان أردت فتح باطنك لاسرار ملكوت ربك (التاسع) هو انك عبد مربوب وحق العبد أن لا يعول هما مع سيده مع اتصافه بالافضال وعدم الاهمال فان روح مقام العبودية الثقة بالله والاستسلام الى الله تعالى وكل واحد منهما يناقض التدبير مع الله تعالى والاختيار معه بل على العبد ان يقوم بخدمته والسيد يقوم له بمنته وعلى العبد القيام بالخدمة والسيد يقوم له بوجود القسمة فافهم قوله تعالى وأمر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك أي قم بخدمتنا ونحن نقوم لك بايصال قسمتنا (العاشر) عدم علمك بعواقب الامور فربما دبرت امرا ظننت انه لك فكان عليك وربما اتت الفوائد من وجوه الشدائد والشدائد من وجوه الفوائد والاضرار من وجوه المسار والمسار من وجوه الاضرار وربما كمنت المنن في المحن والمحن في المنن وربما انتفعت على أيدي الاعداء وأرديت على ايدي الاحباب فاذا كان الامر كذلك فكيف يمكن عاقلا ان يدبر مع الله ولا يدري المسار فياتيها ولا المضار فيتقيها ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله اللهم انا قد عجزنا عن دفع الضر عن أنفسنا من حيث نعلم بما نعلم فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم بما لا نعلم ويكفيك قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون وكم مرة أردت أيها العبد أمرا فصرفه عنك فوجدت لذلك غما في قلبك وحرجا في نفسك حتى اذا كشف لك عن عاقبة ذلك علمت أنه سبحانه نظر لك بحسن النظر من حيث لا تدرى وحاولك من حيث لا تعلم وما أقبح مريدا لا فهم له وعبيدا لا استسلام له فكن كما قيل

وكم رمت أمرا خرت لي في انصرافه * فلازلت بي منى أبر وأرحما
عزمت على ان لا أحس بخاطر * على القلب الا كنت أنت المقدما
وان لا تراني عند ماقد نهيتني * لكونك في قلبي كبيرا معظما

(ويحكى) أن بعضهم كان اذا اصيب بشيء او ابتلى به يقول خيرة فاتفق ليلة ان جاء ذئب فاكل ديكا له فقيل له به فقال خيرة ثم ضرب في تلك الليلة كلبه فمات فقيل له فقال خيرة ثم نهق حماره فمات فقال خيرة فضاق أهله بكلامه هذا ذرعا فاتفق ان نزل بهم في تلك الليلة عرب أغاروا عليهم فقتلوا كل من بالمحلة ولم يسلم غيره وأهل بيته استدل العرب النازلون على الناس بصياح الديك ونباح الكلب ونهيق الحمير وهو قدمات له كل ذلك فكان هلاك هذه الاشياء سببا لنجاته فسبحان المدبر الحكيم وان العبد لا يشهد

الكمال لما رجعت الى الرذائل أرأيت من فتح له باب القصور هل يرجع الي المزابل لو فتح لك باب الانس بينك وبينه ماطلبت من تأنس به لو اختارك لربو بيته ماقطعك عنه لو كرمت عليه مارماك لغيره اذا عزل عنك (١١) محبة مخلوق فافرح فهذا من عنايته بك ولا يكون معصية الا والذل معها أفتعصيه ويعزك كلا فقد ربط العز مع الطاعة والذل مع المعصية فصار في طاعته نور وعز وكشف حجاب وضدها معصية وظلمة وذل وحجاب بينك وبينه ولكن ما منعك من الشهود الاعدم وقوفك مع الحدود واشتغالك بهذا الوجود اذا عصي ولدك فادبه بالشرع ولا تقطعه بل قابله بالعبوسة ليكف عن المعصية وأكثر ما يدخل على المؤمن الدخل اذا كان عاصيا فاما ان يفضحوه واما ان يستهزئوا به فاذا فعلوا ذلك فقد اخطؤا الطريق اذا عصي المؤمن فقد وقع في ورطة عظيمة وطريقه ان تفعل معه كما فعلت مع ولدك عند عصيانه تعرض عنه في الظاهر وتكون له راحما في الباطن وتطلب له الدعاء بالتيب كفى بك جهلا أن تحسد أهل الدنيا على ما أعطوا وتشغل قلبك بما عندهم فتكون اجهل منهم لانهم اشتغلوا بما أعطوا واشتغلت انت بما لم تعط ترمد عينك فتعالجها وما سبب ذلك الا انك ذقت بها لذة الدنيا فتعالجها حتى لا يفوتك النظر الى المستحسنات وترمد بصيرتك أربعين سنة فلا تعالجها واعلم ان عمرا ضيع أوله حري ان تحفظ آخره

كامرأة كان لها عشرة أولاد مات منهم تسعة وبقي واحد أليست ترد وجدها على ذلك الواحد وأنت قد ضيعت أكثر عمرك فاحفظ
بقيته وهي صبابة يسيرة والله ما عمرك من أول يوم ولدت بل عمرك من أول يوم عرفت الله

تعالى شتان بين أهل السعادة وأهل الشقاوة فأهل السعادة اذا رأوا انسانا على معصيته أنكروا عليه في الظاهر ودعوا له في الباطن وأهل الشقاوة ينكرون عليه تشفيا فيه وربما ثلموا عليه عرضه فالمؤمن من كان ناصحا لاخيه في الخلوة ساترا له في الجلوة وأهل الشقاوة بالعكس اذا رأوا انسانا على معصية أغلقوا عليه الباب وفضحوه فيها فهؤلاء لا تنور بصائرهم وهم عند الله مبعدون واذا أردت أن تختبر عقل الرجل فانظر اليه اذا ذكرت له شخصا فان وجدته يطوف على محل سوء حتى يقول لك خلنا منه ذلك فعل كذا وكذا فاعلم ان باطنه خراب وليس له معرفة واذا رأيته يذكره بخير ويذكر له ما يوصف بالذم ويحمله على محمل حسن ويقول لعله سها أوله عذر أو ما أشبه ذلك فاعلم ان باطنه معمور فان المؤمن
يعمل على سلامة عرض أخيه المسلم من قارب فراغ عمره ويريد أن يستدرك ما فاته فليذكر بالاذكار الجامعة من
فانه اذا فعل ذلك صار العمر القصير طويلا كقوله سبحان الله العظيم وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته وكذلك

حسن تدبير الله الا اذا انكشفت له العواقب وليس هذا من مقام أهل الخصوص في شيء لان أهل الفهم عن الله شهدوا حسن تدبير الله قبل أن تنكشف لهم العواقب وهم في ذلك على أقسام ومراتب فمنهم من حسن ظنه بالله فاستسلم له لما عوده من جميل صنعه ووجود لطفه * ومنهم من حسن ظنه بالله علما منه ان الاهتمام والتدبير والمنازعة لا تدفع عنه ما قدر عليه ولا تجلب له ما لم يقسم له *ومنهم من حسن الظن بالله تعالى لقوله عليه السلام حاكيا عن ربه انا عند ظن عبدي بي فكان متعاطيا بحسن الظن بالله وأسبابه رجاء ان يعامل بمثل ذلك فيكون الله له عند ظنه ولقد يسر الله للمؤمنين سبيل الظن اذ كان عند ظنونهم يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر * وأرفع من هذه المراتب كلها الاستسلام الى الله تعالى والتفويض له بما يستحقه الحق من ذلك لا لامر يعود على العبد فان المراتب الاول لم تخرج العبد عن رق العلل اذ من استسلم له بحسن عوائده فاستسلامه معلول بعوائد الالطاف السابقة فلو لم تكن لم يكن استسلامه والثاني ايضا كذلك لان ترك التدبير مع الله لكونه لا يجدي شيئا ليس هو تركا لاجل الله لان هذا العبد لو علم ان تدبيره يجدي شيئا فلعله كان غير تارك للتدبير وأما الذي استسلم الى الله تعالى وحسن ظنه به ليكون له عند ظنه فهو انما يسعى في حظ نفسه مشفقا عليها أن يفوتها الفضل بعدوله عن الاستسلام وحسن الظن بالله ومن استسلم الى الله وحسن ظنه به لما هو عليه من عظمة الالاهية ونعوت الربوبية فهذا هو العبد الذي دل على حقيقة الامر وحرى ان يكون هذا من الذين قال رسول الله ﷺ فيهم ان لله عبادا التسبيحة الواحدة منهم مثل جبل أحد ولقد عاهد الله سبحانه وتعالى العباد أجمع على اسقاط التدبير معه بقوله تعالى واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى لان اقرارهم بانه ربهم يستلزم ذلك اسقاط التدبير معه فهذه معاقدة كانت قبل أن تكون النفس التي هي محل الاضطراب المدبرة مع الله تعالى ولو بقي العبد على تلك الحالة الاولى التي هي كشف الغطاء ووجود الحضرة لما أمكنه ان يدبر مع الله فلما أسدل الحجاب وقع التدبير والاضطراب فلاجل ذلك أهل المعرفة بالله المشاهدون لاسرار الملكوت لا تدبير لهم مع الله اذ وجود المواجهة أبي لهم ذلك وفسخ عزائم تدبيرهم وكيف يدبر مع الله عبد هو في حضرته ومشاهد لكبرياء عظمته (فائدة) اعلم ان التدبير والاختيار وباله عظيم وخطره جسيم وذلك انا نظرنا فوجدنا ان آدم عليه السلام انما حمله على أكل الشجرة تدبيره لنفسه وذلك ان الشيطان قال لآدم وحواء عليهما السلام كما قال الله تعالى وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ففكر آدم عليه السلام في نفسه فعلم ان الخلود في جوار الحبيب هو المطلوب الاسنى وانتقاله من الآدمية الى وصف الملكية اما أن يكون لان وصف الملكية أفضل أوظن آدم عليه السلام ان ذلك افضل فلما دبر عليه السلام في نفسه هذا التدبير أكل من الشجرة فأتي الامن عين وجود التدبير وكان مراد الحق منه ذلك لينزله الى الارض ويستخلفه فيها فكان هبوطا في الصورة وترقيا في المعنى ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله والله ما أنزل الله آدم الى الارض لينقصه وانما أنزله الى الارض ليكمله فلم يزل آدم عليه السلام راقيا الى الله تعالى تارة على معراج التقريب والتخصيص وتارة على معراج الذلة والمسكنة وهو في التحقيق أتم *ويجب على كل مؤمن ان يعتقد ان النبي والرسول لا ينتقلان من حالة الا الى حالة اكمل منها وافهم ههنا قوله سبحانه وتعالى وللآخرة خير لك من الاولى قال ابن عطية وللحالة الثانية خير لك من الاولى واذ قد عرفت هذا فاعلم ان الحق سبحانه وتعالى له التدبير والمشيئة وكان قد سبق

من فاته كثرة الصيام والقيام أن يشغل نفسه بالصلاة على رسول الله ﷺ فانك لو فعلت فى جميع عمرك كل طاعة ثم صلى الله عليك صلاة واحدة رجحت تلك الصلاة الواحدة على كل ما عملته فى عمرك كله من جميع الطاعات لانك تصلى على قدر وسعك وهو يصلى على حسب ربوبيته هذا اذا كانت صلاة واحدة فكيف اذا صلى عليك عشرا بكل صلاة كما جاء فى الحديث الصحيح فما أحسن العيش اذا أطعت الله فيه بذكر الله تعالى أو الصلاة على رسول الله ﷺ يروى انه ما من صيد يصاد ولا شجرة تقطع الا بغفلتها عن ذكر الله تعالى لان السارق لا يسرق بيتا وأهله ايقاظ بل على غفلة أو نوم من علم قرب رحيله أسرع فى تحصيل الزاد ومن علم ان احسان غيره لا ينفعه جد فى الاحسان ومن أخرج ولم يحسب خسر ولم يدر ومن وكل وكيلا واطلع على خيانته عزله كذلك نفسك قد اطلعت على خيانتها فاعزلها أو ضيق عليها المسالك اذا رأيت فيك الاعراض والشهوة والغفلة فهذا وصفك واذا رأيت فيك الانابة والخشية والزهد فهذا من صنائع الله مثال ذلك اذا رأيت ببلدك الحلفاء والشوك والعوسج فهذا نبات أرض بلدك واذا رأيت بها العود الرطب والمسك والعنبر فاعلم انه مجلوب من صنائع الله ليس من نبات أرضك فالمسك من غزلان عراقها والعنبر من بحر هندها مثل الايمان منك اذا عصيت الله فانى كالشمس المكسوفة أو كالسراج اذا

من تدبير مشيئته انه لا بد ان يعمر الارض ببنى آدم وأن يكون منهم كما شاء منهم محسن وظالم لنفسه مبين وكان من تدبير حكمته ان لا بد من تمام ذلك وظهوره الى عالم الشهادة فاراد الحق سبحانه ان يكون تناول آدم للشجرة سببا لنزوله الى الارض ونزوله الى الارض سببا لظهور مرتبة الخلافة التى من عليه بها ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه أكرم بها معصية أورثت الخلافة وسنت التوبة لمن بعده الى يوم القيامة وكان نزوله الى الارض بحكم قضاء الله تعالى قبل أن يخلق السموات والارض قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه والله لقد أنزل الله آدم الى الارض قبل أن يخلقه كما قال سبحانه انى جاعل فى الارض خليفة فمن حسن تدبير الله تعالى لآدم أكله من الشجرة ونزوله الى الارض واكرام الله تعالى اياه بالخلافة والامامة واذ قد انتهى بنا المقال الى ههنا فلنتتبع الفوائد والخصائص التى منحها آدم عليه السلام فى هذه الواقعة لتعلم ان لاهل الخصوص مع الله حالا ليست لمن سواهم ولله فيهم تدبير لا يتوجه به لاعداهم ففى أكل آدم من الشجرة ونزوله الى الارض فوائد * منها ان آدم وحواء عليهما السلام كانا فى الجنة متعرفا اليهما بالرزق والعطاء والاحسان والنعماء فاراد الحق سبحانه وتعالى من خفى لطفه فى تدبيره ان يأكلا من الشجرة ليتعرف لهما بالحلم والستر والمغفرة والتوبة والاجتبائية اما الحلم فلانه لم يعاجلهما بالعقوبة حين فعلا والحليم هو الذى لا يعاجل بالعقوبة على ما صنعت بل يمهلك اما الى عفوه وانعامه واما الى سطوته وانتقامه (الثانى) هو ان الله سبحانه وتعالى تعرف لهما بالستر وذلك انهما لما أكلا منها وبدت لهما سوآتهما زوال ملابس الجنة سترهما بورقها كما قال الله تعالى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة فكان ذلك من وجود ستره (الثالث) هو انه أراد الحق سبحانه وتعالى ان يعلمه باجتبائه له وينشأ عن اجتبائه مقامان التوبة اليه والهداية من عنده فاراد الحق سبحانه أن يعرف آدم عليه السلام باجتبائه له وسابق عنايته فيه فقضى عليه بأكل الشجرة ثم لم يجعل أكله اياها سبيلا لاعراضه عنه ولا لقطع مدده منه بل كان فى ذلك اظهار لوده سبحانه وتعالى فيه وعنايته به كما قالوا من سبقت له العناية لم تضره الجناية ورب ود تقطعه المخالفة والود الحقيقى هو الذى يدوم لك من الواد لك موافقا كنت أو مخالفا وليس فى قوله تعالى ثم اجتباه ربه دليل على حدوث اجتبائية الحق فيه بل كان قبل وجوده وانما الذى حدث بعد الذنب ظهور اثر الاجتبائية من الله له فهو الذى قال فيه الحق سبحانه وتعالى ثم اجتباه ربه أى أظهر له اثر الاجتبائية فيه والعناية به بتيسره للتوبة اليه والهداية من عنده فسار فى قوله تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى تعريفات ثلاث الاجتبائية والتوبة التى هى نتيجتها والهدى الذى هو نتيجة التوبة فافهم ثم أنزله الى الارض فتعرف له بحكمته كما تعرف له فى الجنة ببواهر قدرته وذلك لان الدنيا محل الوسائط والاسباب فلما نزل آدم عليه السلام الى الارض علم الحراثة والزراعة وما يحتاج اليه من أسباب عيشته ليحققه الله تعالى بما أعلمه به من قبل ان ينزله بقوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى والمراد بقوله تعالى فتشقى تعب الظواهر لا الشقاوة التى هى ضد السعادة والدليل على ذلك قوله تعالى فتشقى ولم يقل فتشقيا لان المتاعب والكلف انما هى على الرجال دون النساء كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله ولو كان المراد شقاء بالقطيعة او وجود الحجبة لقال فتشقيا فدل الافراد على انه ليس الشقاء هنا بقطيعته ولا ابعاده مع أنه لو ورد كذلك لحملناه على الظن الجميل وارجعناه الى المتاعب الظاهرة على التأويل ﴿فائدة جليلة﴾ اعلم ان أكله عليه السلام للشجرة لم يكن عنادا ولا خلافا فاما أن يكون نسى الامر فتعاطى الاكل وهو له غير ذاكر وهو قول بعضهم ويحمل عليه قوله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما او ان كان تناوله ذاكرا للامر فهو انما هو تناوله لانه قيل له ما نهاكما

غطيته بصفحة هو موجود ولكن يمنع نوره الغطاء ثم انك تحضر المجلس فى المجلس فى الجامع ليتوفر عقلك وان كان عمرك قليلا يصير كثير الحصول الايمان والخشوع والخضوع والخشية والتدبر والتذكر ونحوها فلو عرفت الايمان ماقربت العصيان فلا غريم أمطل من النفس ولا عدو أعظم من الشيطان ولا معارض أقوي من الهوي ولا يدفع المدد الهابط مثل الكبر لان الغيث لايقر إلا على الارض المنخفضة لا فرق رؤس الجبال فكذلك قلوب المتكبرين تنتقل عنها الرحمة وتنزل الى قلوب المتواضعين والمراد بالمتكبرين من يرد الحق لامن يكون ثوبه حسنا ولكن الكبر بطر الحق يعني دفعه واحتقار الناس ولا تعتقد ان الكبر لايكون الا فى وزير او صاحب دنيا بل قد يكون فيمن لايملك عشاء ليلة وهو يفسد ولا يصلح لانه تكبر على خلق الله تعالى ولا تعتقد ان المنكوب من كان فى الاسر أوفى السجن بل المنكوب من عصى الله وأدخل فى هذه المملكة الطاهرة نجاسة المعصية كثير من انفق الدنانير والدراهم ولكن من أنفق الروح قليل الاحمق من مات ولده وجعل يبكى عليه ولا يبكى على مافاته من الله عز وجل فكأنه يقول بلسان حاله أنا أبكى على ما كان يشغلنى عن ربي بل كان ينبغى له الفرح بذلك سالكا ويقبل على مولاه لانه أخذ منه ما كان يشغله عنه وقبيح بك ان تشيب وأنت طفل العقل صغير ولا تفهم مراد الله منك فان كنت عاقلا

ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين فلحبه فى الله وشغفه به أحب مايؤديه الى الخلود فى جواره والبقاء عنده أومايؤديه الى الملكية لان آدم ﷺ عاين قرب الملكية من الله فاحب ان ياكل من الشجرة لينال رتبة الملكية التى هى أفضل أوالتى هى فى ظنه كذلك على اختلاف أهل العلم وأهل المعرفة أيضا ايهما افضل الملكية أم النبوة لاسيما وقد قال سبحانه وتعالى وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين قال آدم عليه السلام ماظننت ان أحدا يحلف بالله كاذبا فكان كما قال تعالى فدلاهما بغرور ﴿ فائدة ﴾ اعلم ان آدم عليه السلام لم يكن لشيء مما كان يأكله أذى بل كان رشحا كرشح المسك كما يكون أهل الجنة فى الجنة اذا دخلوها لكنه لما أكل من الشجرة المنهى عنها أخذته بطنه فقيل له يا آدم أين على الاسرة أم على الحجال أم على شاطىء الانهار انزل الى الارض التى يمكن ذلك فيها فاذا كان مابه المعصية وصلت اليه آثارها فكيف لاتؤثر المعصية فى الفاعل بها فافهم ﴿تنبيه واعتبار﴾ اعلم ان كل شيء نهى الله عنه فهو شجرة والجنة هى حضرة الله فيقال لآدم قلبك ولحواء نفسك ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين لكن آدم عليه السلام محفوف بالعناية لما أكل من الشجرة انزل الى الارض للخلافة وأنت اذا أكلت من شجرة النهى انزلت الى ارض القطيعة فافهم فان تناولت شجرة النهى أخرجت من جنة الموافقة الى وجود أرض القطيعة فيشقى قلبك وانما يلاقى الشقاء وقت القطيعة القلب لاالنفس لان وقت القطيعة يكون فيه ملائمات النفوس من ملذوذاتها وشهواتها وانهما كها فى غفلاتها ﴿ترتيب وبيان﴾ اعلم ان الله تعالى تعرف لآدم عليه السلام بالايجاد فناداه ياقدير ثم تعرف له بتخصيص الارادة فناداه يامريد ثم تعرف له بحكمه فى نهيه عن أكل الشجرة فناداه ياحاكم ثم قضي عليه بأكلها فناداه ياقاهر ثم لم يعاجله بالعقوبة اذ أكلها فناداه ياحليم ثم لم يفضحه فى ذلك فناداه ياستار ثم تاب عليه بعد ذلك فناداه ياتواب ثم أشهده ان أكله من الشجرة لم يقطع عنه وده فيه فناداه ياودود ثم انزله الى الارض ويسرله أسباب المعيشة فناداه يالطيف ثم قواه على ما اقتضاه منه فناداه يامعين ثم أشهده سر الاكل والنهى والنزول فناداه ياحكيم ثم نصره على العدو والمكائدله فناداه يانصير ثم ساعده على أعباء تكاليف العبودية فناداه ياظهير فما أنزله الى الارض الا ليكمل له وجود التصريف ويقيمه بوظائف التكليف فتكملت فى آدم عليه السلام العبوديتان عبودية التصريف وعبودية التكليف فعظمت منة الله عليه وتوفر احسانه اليه فافهم ﴿انعطاف﴾ اعلم ان اجل مقام أقيم العبد فيه مقام العبودية وكل المقامات انماهى كالخدمة لهذا المقام والدليل على ان العبودية اشرف مقام قول الله سبحانه وتعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا وما أنزلنا على عبدنا كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا وانه لما قام عبدالله يدعوه ولما خير رسول الله ﷺ بين أن يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا اختار العبودية لله تعالى ففى ذلك أدل دليل على أنها من افضل المقامات وأعظم القربات وقال صلى الله عليه وسلم انما انا عبد لا آكل متكئا انما أنا عبد الله آكل كما يأكل العبيد وقال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر *سمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول ولا فخر أى لاأفتخر بالسيادة انما الفخرلى بالعبودية لله تعالى ولاجلها كان الايجاد وقال تعالى وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون والعبادة ظاهر العبودية والعبودية روحها واذ قد فهمت هذا فروح العبودية وسرها انما هو ترك الاختيار وعدم منازعة الاقدار فتبين من هذا ان العبودية ترك التدبير والاختيار مع الربوبية فاذا كان لايتم مقام العبودية الذي هو أشرف المقامات الا بترك التدبير فحقيق على العبد ان يكون له تاركا وللتسليم لله تعالى والتفويض له

سالكا ليصل الى المقام الاكمل والمنهج الافضل وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه يقرأ ويخفض صوته وعمر رضي الله عنه يقرأ ويرفع صوته فقال لابي بكر لم خفضت صوتك فقال قد أسمعت من ناجيت وقال لعمر لم رفعت صوتك فقال أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال لابي بكر ارفع قليلا وقال لعمر اخفض قليلا فكان شيخنا أبو العباس رحمه الله تعالى يقول ههنا أراد النبي عليه السلام ان يخرج كل واحد منهما عن مراده لنفسه لمراده ﷺ (تنبيه) تفطن رحمك الله لهذا الحديث تعلم منه ان الخروج عن الارادة هي أفضل العبادة لان أبابكر وعمر رضي الله عنهما كل واحد منهما قد أبان لما سأله رسول الله عليه السلام عن صحة قصدهما وبعد ذلك اخرجهما رسول الله عليه السلام عما أرادا لانفسهما مع صحة قصدهما الى اختيار رسول الله عليه السلام

(فائدة) اعلم ان بنى اسرائيل لما دخلوا التيه ورزقوا المن والسلوى واختار الله تعالى لهم ذلك رزقا رزقهم اياه يبرز من عين المنة من غير تعب منهم ولا نصب فرجعت نفوسهم الكثيفة لوجود ألف العادة والغيبة عن شهود تدبير الله تعالى الى طلب ما كانوا يعتادونه فقالوا ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله وذلك لانهم تركوا ما اختار الله لهم مما يليق لما اختاروا لانفسهم فقيل لهم على طريق التوبيخ لهم أتستبدلون الذى هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فظاهر التفسير أتستبدلون الفوم والبصل والعدس بالمن والسلوى وليس النوعان سواء فى اللذة ولا فى سقوط المشقة وسر الاعتبار أتستبدلون مرادكم لانفسكم بمراد الله لكم أتستبدلون الذى هو أدنى وهو ما أردتموه بالذى هو خير وهو ما أراد الله لكم اهبطوا مصرا فان ما أنتم اشتهيتموه لا يليق أن يكون الا فى الامصار وفى سر الاعتبار اهبطوا عن سماء التفويض وحسن الاختيار والتدبير منا لكم الى أرض التدبير والاختيار منكم لانفسكم موصوفين بالذلة والمسكنة لاختياركم مع الله وتدبيركم لانفسكم مع تدبير الله ولو ان هذه الامة هي الكائنة فى التيه لما قالت مقال بنى اسرائيل لشفوف أنوارهم ونفوذ أسرارهم ألا ترى ان بنى اسرائيل فى ابتداء الامر قالوا لموسى عليه السلام وهو كان سبب التيه لهم اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وقالوا فى آخره ادع لنا ربك فابوا فى الاول عن امتثال أمر الله وفى الآخر اختاروا لانفسهم غير ما اختار الله بهم وكثيرا ما تكرر منهم ما يدل على بعدهم عن مصدر الحقيقة وسواء الطريقة فى قولهم أرنا الله جهرة وفى قولهم لموسى عليه السلام بعد ولم ينشف بلل البحر من أقدامهم حين فرق لهم لما عبروا على قوم يعكفون على اصنام لهم فقالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة فكانوا كما قال موسى عليه السلام قال انكم قوم تجهلون وكذلك قوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة وهذه الامة نتق فوق قلوبها جبال الهيبة والعظمة فاخذوا الكتاب بقوة الايمان فثبتوا لذلك وأيدوا لما هنالك وحفظوا من عبادة العجل وغير ذلك لان الله تعالى اختار هذه الامة واختار لها واثنى عليها بقوله كنتم خير أمة أخرجت للناس وقوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أى عدولا خيارا فقد تبين لك من هذا ان التدبير والاختيار من أشد الذنوب والاوزار فاذا أردت أن يكون لك من الله اختيار فاسقط معه الاختيار وان أردت أن يكون لك حسن التدبير فلا تدع معه وجود التدبير وان أردت الوصول الى المراد فذلك بان لا يكون معه مراد ولذلك لما قيل لابي يزيد ما تريد قال أريد أن لا أريد فلم تكن أمنيته من الله ولا طلبته منه الا سقوط الارادة معه لعلمه انها أفضل الكرامات وأجل القربات وقد يتفق للمخصص الكرامات

فابك على نفسك قبل أن يبكى عليك فان الولد والزوجة والخادم والصديق لا يكون عليك اذا مت بل يبكون على ما فاتهم منك فسابقهم أنت بالبكاء وقل يحق لى أن أبكى على فوات حظى من ربى قبل أن يبكوا على

كفى بك جهلا ان يعاملك مولاك بالوفاء وأنت تعامله بالجفاء ليس الرجل من صاح بين الناس فى المجلس انما الرجل من صاح على نفسه وردها الى الله تعالى من عال هم الدنيا وترك هم الآخرة كان كمن جاءه أسد يفترسه ثم قرصه برغوث فاشتغل به عن الاسد فان من غفل عن الله تعالى اشتغل بالحقير ومن لم يغفل عنه لم يشتغل الا به فاحسن احوالك ان تفوتك الدنيا لتحصيل الآخرة ياطالما فاتتك الآخرة لتحصيل الدنيا ما أقبح الخوف بالجندي ما أقبح اللحن بالنحوى وما أقبح طلب الدنيا لمن يظهر الزهد فيها ليس الرجل من يريك لفظه انما الرجل من يريك لحظه (عن الشيخ) أبي العباس المرسي رضي الله عنه انه قال اذا كانت السلحفاة تربي أفراخها بالنظر كذلك الشيخ يربي مريده بالنظر لان السلحفاة تبيض فى البر وتتوجه الى جانب النهر و تنظر الى بيضها فيربيهم الله لما بنظرها اليهم اياك ان تخرج من هذه الدار وماذقت حلاوة حبه ليس حلاوة حبه فى المآكل والمشارب لانه يشاركك فيها الكافر والدابة بل شارك الملائكة فى حلاوة الذكر والجمع على الله تعالى لان الارواح لا تحتمل رشاش النفوس فاذا انغمست فى جيفة الدنيا لا تصلح للمحاضرة لان حضرة الله تعالى لا يدخلها

المتلطخون بنجاسة المعصية فطهر قلبك من العيب يفتح لك باب الغيب وتب الي الله وارجع اليه بالانابة والذكر ومن أدام قرع الباب يفتح له وايلا الملاطفة ما قلنا لك ذلك لانه كما قالت رابعة العدوية رضي الله عنهما متى أغلق هذا الباب حتى يفتح ولكن ياهذا باب يوصلك الى قربة واياك وذهول القلب عن وحدانية الله تعالى فاول درجات الذاكرين استحضار وحدانيته تعالى وما ذكره الذكرون وفتح عليهم الا باستحضارهم ذلك وما طردوا الا بذكرهم مع غلبة الذهول عليهم وتستعين على ذلك بقمع الشهوتين البطن والفرج ولا يضادك فى الله الا نفسك وما اكثر توددك للخلق وما أقل توددك للحق لو فتح لك باب التودد مع الله لرأيت العجائب ركعتان فى جوف الليل تودد عيادتك للمرضي تودد صلاتك على الجنائز تودد الصدقة على المساكين تودد اعانتك لاخيك المسلم تودد اماطتك الاذى عن الطريق تودد ولكن السيف المطروح يحتاج الى ساعد ولا عبادة انفع لك من الذكر لانه يمكن الشيخ الكبير والمريض الذي لا يستطيع القيام والركوع والسجود واعلم أن العلماء والحكماء يعرفونك كيف تدخل الي الله تعالى هل رأيت مملوكا أول مايشتري يصلح للخدمة بل يعطى لمن يربيه ويعلمه الادب فان صلح وعرف الادب قدمه للملك كذلك الاولياء رضى الله عنهم يصحبهم المريدون حتى يزجو

الظاهرة وبقايا التدبير كامنة فيه فالكرامة الكاملة الحقيقية انما هى ترك التدبير مع الله والتفويض لحكم الله ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى انما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان لمزيد الايقان وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوي والمخادعة فمن اعطيهما ثم جعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب أو ذو خطأ بالعلم والعمل بالصواب كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضا فجعل يشتاق الى سياسة الدواب وخلع الرضا وكل كرامة لا يصحبها الرضا من الله تعالي وعن الله فصاحبها مستدرج مغرور أو ناقص او هالك مثبور * فاعلم ان الكرامة لا تكون كرامة حتي يصحبها الرضا عن الله ومن لازم الرضا عن الله ترك التدبير معه واسقاط الاختيار بين يديه * واعلم انه قد قال بعضهم ان أبا يزيد رحمه الله لما أراد أن لا يريد فقد أراد وهذا قول من لا معرفة عنده وذلك لان أبا يزيد انما أراد ان لا يريد لان الله تعالى اختار له وللعباد أجمع عدم الارادة معه فهو فى ارادته أن لا يريد موافق لارادة الله تعالى له ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى وكل مختارات الشرع وترتيباته ليس لك منها شيء واسمع وأطع وهذا موضع الفقه الرباني والعلم اللدني وهو أرض لتنزل علم الحقيقة المأخوذ عن الله لمن استوى فافاد الشيخ بهذا الكلام ان كل مختار للشرع لا يناقض اختياره مقام العبودية المبنى على ترك الاختيار لئلا ينخدع عقل قاصر عن درك الحقيقة بذلك فيظن ان الوظائف والاوراد ورواتب السنن وارادتها يخرج بها العبد عن صريح العبودية لانه قد اختار فبين الشيخ رحمه الله تعالي ان كل مختارات الشرع وترتيباته ليس لك منها شيء وانما انت مخاطب ان تخرج عن تدبيرك لنفسك واختيارك لها لا عن تدبير الله ورسوله لك فافهم فقد علمت اذا أن أبا يزيد ما أراد ان لا يريد الا لان الله تعالي أراد منه ذلك فلم تخرجه هذه الارادة عن العبودية المقتضاة منه فقد علمت ان الطريق الموصلة الى الله تعالى هى محو الارادة ورفض المشيئة حتى قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى ولن يصل الولي الى الله ومعه تدبير من تدبيراته واختيار من اختياراته وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله تعالى يقول ولن يصل العبد الي الله تعالى حتى تنقطع عنه شهوة الوصول الى الله تعالي * يريد والله أعلم ان تنقطع عنه انقطاع أدب لا انقطاع ملل أو لانه يشهد اذا قرب ابان وصوله عدم استحقاقه لذلك واستحقاره لنفسه أن يكون اهلا لما هنالك فتنقطع عنه شهوة الوصول لذلك لا مللا ولا سلوا ولا اشتغالا عن الله تعالى بشيء دونه فاذا أردت الاشراق والتنوير فعليك باسقاط التدبير واسلك الي الله كما سلكوا تدرك ما أدركوا اسلك مسالكهم وانهج مناهجهم وألق عصاك فهذا جانب الوادى ولنا فى هذا المعنى فى ابتداء العمر مما كتبت به لبعض اخوانى

أيا صاح هذا الركب قد سار مسرعا * ونحن قعود ما الذي أنت صانع
أترضى بأن تبقى المخلف بعدهم * صريع الاماني والغرام ينازع
وهذا لسان الكون ينطق جهرة * بان جميع الكائنات قواطع
وان لا يري وجه السبيل سوي امرىء * رمى بالسوي لم تخدعه المطامع
ومن أبصر الاشياء والحق قبلها * فغيب مصنوعا بمن هو صانع
بواده أنوار لمن كان ذاهبا * وتحقيق أسرار لمن هو راجع
فقم وانظر الاكوان والنور عمها * ففجر التداني نحوك اليوم طالع
وكن عبده والق القياد لحكمه * واياك تدبيرا فما هو نافع
اتحكم تدبيرا وغيرك حاكم * أأنت لاحكام الاله تنازع

بهم الى الحضرة كالعوام اذا أراد أن يعلم الصبي الصوم يحاذيه الى أن يصلح الصوم وحده فاذا اصلح زجه فى اللجة وتركه واياك أن تعتقد انه لا يتوسل بالانبياء والاولياء والصالحين فانهم وسيلة جعلها الله اليه لان كل كرامة للولي هي شهاده (١٧) بصدق النبي لانها جرت

فمحو ارادة وكل مشيئة * هو الفرض الاقصى فهل أنت سامع
كذلك سار الاولون فأدركوا * على اثرهم فليسر من هو تابع
على نفسه فليبك من كان طالبا * وما لمست ممن يحب لوامع
على نفسه فليبك من كان باكيا * أيذهب وقت وهو باللهو ضائع

اعلم وفقك الله ان لله عباد اخرجوا عن التدبير مع الله بتأديبه الذى أدبهم وبتعليمه الذى علمهم فنسخت الانوار عزائم تدبيرهم ودكت المعارف والاسرار جبال اختيارهم فنزلوا منزل الرضا فوجدوا نعيم المقام فاستغاثوا بالله واستصرخوا به خشية ان يشغلهم حلاوة الرضا فيميلوا اليها بمساكنة أو يجنحوا لها بمراكنة * قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى كنت فى ابتداء أمرى أدبر ماأصنع من الطاعات وأنواع الموافقات فتارة اقول الزم البرارى والقفار وتارة أقول ارجع الى المدائن والديار لصحبة العلماء والاخيار فوصف لى ولى من أولياء الله بأرض المغرب بجبل هنالك فطلعت اليه فوصلت اليه ليلا فكرهت ان أدخل عليه حينئذ فسمعته يقول اللهم ان قوما سألوك ان تسخر لهم خلقك فاعطيتهم ذلك فرضوا منك بذلك اللهم وانى أسألك اعوجاج الخلق على حتى لايكون ملجئى الا اليك فقلت يانفس انظرى من أى بحر يغترف هذا الشيخ فاقمت حتى اذا كان الصباح دخلت عليه فسلمت عليه ثم قلت ياسيدي كيف حالك فقال اشكو الى الله من برد الرضا والتسليم كما تشكو انت من حر التدبير والاختيار فقلت ياسيدي اما شكواي من حر التدبير والاختيار فقد ذقته وأنا الآن فيه واما شكواك من برد الرضا والتسليم فلم أفهمه فقال اخاف أن تشغلني حلاوتهما عن الله فقلت ياسيدي سمعتك البارحة تقول اللهم ان قوما سألوك أن تسخرلهم خلقك فاعطيتهم ذلك فرضوا منك بذلك اللهم وانى أسألك اعوجاج الخلق حتى لايكون ملجئى الا اليك فتبسم ثم قال يابني عوض ماتقول سخر لى خلقك قل يارب كن لى أتري اذا كان لك أيفوتك بشيء فما هذا الجبن (فائدة) اعلم ان هلاك ابن نوح عليه السلام انما كان لاجل رجوعه الى تدبير نفسه وعدم رضاه بتدبير الله الذي اختاره لنوح عليه السلام ومن كان معه فى السفينة فقال له نوح عليه السلام يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لاعاصم اليوم من امر الله الا من رحم فاوي فى المعنى الى جبل عقله ثم كان الجبل الذى اعتصم به صورة ذلك المعنى القائم به فكان كما قال الله وحال بينهما الموج فكان من المغرقين فى الظاهر بالطوفان وفى الباطن بالحرمان فاعتبر أيها العبد بذلك فاذا تلاطمت عليك أمواج الاقدار فلا ترجع الى جبل عقلك الباطل لئلا تكون من المغرقين فى بحر القطيعة ولكن ارجع الى سفينة الاعتصام بالله والتوكل عليه ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم ومن يتوكل على الله فهو حسبه فانك اذا فعلت ذلك استوت بك سفينة النجاة على جودى الامن ثم تهبط بسلامة القربة وبركات الوصلة عليك وعلى أمم ممن معك وهى عوالم وجودك فافهم ذلك ولاتكن من الغافلين واعبد ربك ولاتكن من الجاهلين فقد علمت أن اسقاط التدبير والاختيار اهم مايلتزمه الموقنون ويطلبه العابدون وأشرف مايتحلى به العارفون * سألت بعض العارفين ونحن تجاه الكعبة فقلت له من أى الناحيتين يكون رجوعك فقال لى ان مع الله عادة أن لايجاوز ارادتى قدمى * وقال بعض المشايخ لو أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وبقيت انا لم يقع عندي تميز فى أي الدارين يكون قرارى فهذا حال عبد محيت اختياراته وارادته فلم يبق له

على أيدي الاولياء مثل خرق العادات والمشي على الماء والطيران فى الهواء واخبار المغيبات ونبع الماء ونحو ذلك لانهم لم يعطوا ذلك الا لاجلهم (عن الشيخ) أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه أنه قال كل نفسك وزنها بالصلاة فان انتهت عن الحظوظ فاعلم انك سعدت والا فابك على نفسك واذا جررت رجلك الى الصلاة جرا فهل رايت حبيبا لا يريد لقاء حبيبه قال الله تعالى ان الصلاه تنهى عن الفحشاء والمنكر فمن اراد أن يعرف حقيقته عند الله وينظر حاله مع الله فلينظر الى صلاته اما بالسكون والخشوع واما بالغفلة والعجلة فان لم تكن بالوصفين السابقين فاحث التراب على رأسك فان من جالس صاحب المسك عبق عليه من ريحه فان الصلاة مجالسة الله تعالى فاذا جالسته ولم يحصل لك منه شيء دل ذلك على مرض فيك وهو اما كبر أو عجب أو عدم أدب قال الله تعالى سأصرف

(٣ - تنوير) عن آياتي الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق فلا ينبغي لمن صلى أن يسرع الخروج بل يذكر الله تعالى ويستغفره من تقصيره فيها فرب صلاة لا تصلح للقبول فان استغفرت الله بعدها قبلت كان النبي ﷺ اذا صلى استغفر الله ثلاث مرات ثم

فيك من الكوامن فاذا وردت عليها الواردات اظهرتها واعظمها ذنبا الشك في الله والشك في الرزق شك في الرازق الدنيا أحقر من ان يعال همها . غرت ألهم فعالت صغيرا فلو كنت (١٨) كثير العلت الكبير من عال الهم الصغير وترك الهم الكبير استشغلنا عقله قم انت بما يلزمك وظائف العبودية وهو يقوم لك بما التزمه ابرزق الجعل والوزغ وبنات وردان وينبغي أن يرزقك قال الله تعالى وامر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوي كل من كان مراعيا لحق الله تعالى لا يحدث الله حدثا في المملكة الا أعلمه (نظر بعضهم الى جماعة) فقال هل فيكم من اذا احدث الله سبحانه وتعالى في المملكة حدثا أعلمه قالوا لا فقال لهم أبكوا على أنفسكم كان المتقدمون من السلف رضي الله عنهم يسألون الشخص عن حاله ليستثير وامنه الشكر والناس اليوم ينبغي أن لا يسألوا فانك ان سألت تستثير الشكوى (عن بعض النباشين) انه تاب الى الله تعالي فقال يوما شيخه باسيدي نبشت الف قبر فوجدت وجوههم محولة عن القبلة فقال الشيخ ياولدي ذلك من شكهم في رزقهم ياعبد الله اذا طلبت من الله فاطلب منه ان يصلحك من كل الوجوه وان يصلحك بالرضاعة في تدبيره لك ثم انك عبد شرود طلب منك ان تعبره عليه ففررت منه هو فان الفرار يكون بالافعال والاحوال والهمم فاذا كنت في صلاتك تسهو وفي صومك تلغو وفي لطف الله تشكو فانت شارد (عن

مع الله مراد الا ما أراد كما قال بعض السلف أصبحت وهو أى في مواقع قدر الله قال ابو حفص الحداد رحمه الله تعالى لى منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته ولا نقلني الى غيره فسخطته * وقال بعضهم لى مذ اربعين سنة اشتهي أن لا أشتهي لاترك ما اشتهي فلا أجد ما اشتهي فهذه قلوب تولى الله رعايتها واوجب حمايتها ألم تسمع قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان لان تحققهم بمقام العبودية أبي لهم الاختيار مع الربوبية وأن يقارفوا ذنبا وان يلابسوا عيبا وقال سبحانه وتعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون فقلوب ليس للشيطان عليها سلطان من أين يطرقها وساوس التدبير أو يرد عليها وجود التكدر وفي الآية بيان ان من صحح الايمان بالله والتوكل على الله فلا سلطان للشيطان عليه لان الشيطان انما يأتيك من أحد وجهين اما بتشكيك في الاعتقاد وأما بركون الى الخلق والاعتماد فاما التشكيك في الاعتقاد فالايمان ينفيه وأما السكون الى الخلق والاعتماد عليهم فالتوكل عليه ينفيه * (تنبيه) * اعلم أن المؤمن قد ترد عليه خواطر التدبير ولكن الله تعالى لا يدعه لذلك ولا يتركه لما هنالك ألم تسمع قوله تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور * فالحق سبحانه وتعالى يخرج المؤمنين من ظلمات التدبير الى اشراق نور التفويض ويقذف بحق تثبيته على باطل اضطرابهم فيزلزل أركانه ويهدم بنيانه كما قال الله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق والمؤمن وان وردت عليه خواطر الاضطراب والتدبير فهي عابرة لا تثبت لها ومضمحلة لا وجود لها لان نور الايمان قد استقر في قلوب المؤمنين وأخمدت أنواره نفوسهم وملأ اشراقه قلوبهم وشرح ضياؤه صدورهم فأبي الايمان المستقر في قلوبهم أن يسكن معه غيره وانما هي سنة وردت على القلوب امكن فيها ورود طيف التدبير ثم تتيقظ القلوب فنزول الطيف الذى لا يكون الا هذا ما قال الله تعالى * ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وفي هذه الآية فوائد * (الفائدة الاولى) * قوله سبحانه وتعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون دل ذلك على ان اصل أمرهم على وجود السلامة منه وان عرض ذلك الطيف ففي بعض الاحيان تعريفا بما أودع فيهم من ودائع الايمان * (الفائدة الثانية) * قوله تعالى اذا مسهم طائف ولم يقل اذا أمسكهم او أخذهم لان المس ملامسة من غير تمكن فافادة هذه العبارات ان طيف الهوى لا يتمكن من قلوبهم بل يماسها مماسة ولا يتمكن منها امساكا ولا أخذا كما يصنع بالكافرين لان الشيطان يستحوذ على الكافرين ويختلس اختلاسا من قلوب المؤمنين حتى تنام العقول الحارسة القلوب فاذا استيقظوا انبعث من قلوبهم جيوش الاستغفار والذلة والافتقار الى الله تعالى فاسترجعوا من الشيطان ما اختلسه واخذوا منه ما افترسه * (الفائدة الثالثة) * قوله تعالى اذا مسهم طيف من الشيطان فالاشارة ههنا بالطيف الى ان الشيطان لا يمكنه ان يأتي القلوب الدائمة اليقظة لانه انما يورد طيف الغفلة والهوى على القلوب في حين منامها بوجود غفلتها ومن لا نوم له فلا طيف يرد عليه * (الفائدة الرابعة) * قوله تعالى اذا مسهم طيف ولم يقل اذا مسهم وارد من الشيطان أو نحوه لان الطيف لا ثبت له ولا وجود له انما هو صورة مثالية ليس لها حقيقة وجودية فاخبر سبحانه وتعالى بذلك ان ذلك غير ضار بالمتقين لان مايورده الشيطان على قلوبهم بمثابة الطيف الذي تراه في منامك فاذا استيقظت فلا وجود له * (الفائدة الخامسة) * قوله تعالى اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا ولم يقل ذكروا اشارة الى ان الغفلة لا يطردها الذكر مع غفلة القلب انما يطردها التذكر والاعتبار وان لم تكن الاذكار لان الذكر ميدانه اللسان والتذكر ميدانه القلب وطيف الهوى لما ورد انما ورد على القلوب لا على الالسنة فالذى ينفيه انما

هو التذكر الذي يحل محله ويحق فعله ﴿ الفائدة السادسة ﴾ قوله تعالى تذكروا حذف متعلقه ولم يقل تذكروا الجنة والنار او العقوبة او غير ذلك وانما حذف متعلق تذكروا الفائدة جليلة وذلك ان التذكر الماحي لطيف الهوى من قلوب المتقين على حسب مراتب اليقين ومرتبة التقوى يدخل فيها الانبياء والرسل والاولياء والصديقون والصالحون والمسلمون فتقوى كل احد على حسب حاله ومقامه وكذلك أيضا تذكر كل أحد على حسب مقامه فلو ذكر قسما من اقسام التذكر لم يدخل فيه الا اهل ذلك القسم فلو قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا العقوبة فاذاهم مبصرون خرج عنه الذين تذكروا المثوبة ولو قال اتذكروا سابق الاحسان لخرج منه الذين تذكروا لواحق الامتنان الي غير ذلك فاراد الحق سبحانه وتعالى ان لا يذكر متعلق التذكر ليشمل المراتب كلها فافهم ﴿ الفائدة السابعة ﴾ انه قال سبحانه فاذاهم مبصرون ولم يقل تذكروا فابصروا أو ثم تذكروا ثم أبصروا أو تذكروا وأبصروا فاما ترك التعبير بالواو فلانه كان لا يفيد أن البصرى كانت عن التذكر والمراد أنها كانت مسببة عنه ترغيبا للعباد فيها وأما عدوله عن ثم لان فيها ما في الواو من عدم الدلالة على السببية وفيها انها كانت تقتضي عكس المضي لما فيها من المهلة ومراد الحق سبحانه ان هؤلاء العباد لا تتأخر أبصارهم عن تذكرهم ولم يعبر بالفاء لا قتضائها التعقيب بل عبر الحق سبحانه بقوله تذكروا فاذاهم مبصرون كانهم لم يزالوا على ذلك البصرى ثناء منه سبحانه عليهم واظهار لوفور المنة لديهم كما تقول تذكر زيد المسئلة فاذا هي صحيحة أي أنها لم تزل صحيحة وأنها الآن صحيحة كما وقع العلم بها كذلك المتقون ما زالوا مبصرين ولكن حين ورود طيف الهوي عليهم غطى على بصيرتهم الثابت نورها فيهم فلما أستيقظوا ذهبت سحابة الغفلة فاشرقت شمس البصيرة ﴿ الفائدة الثامنة ﴾ في هذه الآية ونظائرها توسعة على المتقين ولطف بالمؤمنين لانه لو قال ان الذين اتقوا لا يمسهم طيف من الشيطان لخرج من ذلك كل أحد لا أهل العصمة فاراد سبحانه وتعالي أن يوسع دوائر رحمته فقال ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف ليعلمك ان ورود الطيف عليهم لا يخرجهم عن ثبوت حكم التقوى لهم وجريان اسمه عليهم اذا كانوا كما وصفهم مسرعين بالتذكر راجعين الى الله بالتبصر ومثل هذه الآية في بسط رجاء العباد والتوسعة عليهم قوله تعالى * أن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين * ولم يقل يحب الذين لا يذنبون لانه لو قال ذلك لم يدخل فيه الا قليل فعلم الحق سبحانه ان العباد مركبون عليه من وجود الغفلة وما تقتضيه النشأة الاولى الانسانية لكونها ركبت من امشاج من نوع المخالفة وقد قال سبحانه وتعالى يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا قال بعض أهل العلم يعني لا يتمالك عند قيام الشهوة به وقد قال تعالى هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الارض واذ أنتم أجنة فلاجل ما علم من أن الخطأ غالب على الانسان فتح له باب التوبة ودله عليها ودعاه اليها ووعده القبول اذا تاب والاقبال عليه اذا رجع اليه وآب وقال ﷺ كل ابن آدم خطاؤن وخير الخطائين التوابون فاعلمك صلى الله عليه وسلم ان الخطأ لازم وجودك بل عين وجودك وقال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة وأظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون ولم يقل والذين لا يعملون الفاحشة وقال سبحانه وتعالى واذا ماغضبوا هم يغفرون ولم يقل والذين لا يغضبون وقال سبحانه وتعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والذين لاغيظ لهم فافهم ذلك رحمك الله فهذه أسرار بينة وأمور متعينة ﴿ الفائدة التاسعة ﴾ تبيين مراتب المتذكرين من المتقين اعلم أن أهل التقوى اذا مسهم طيف من الشيطان لا يدعهم تقواهم للاصرار على معصية مولاهم بل يرجعهم اليه

الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه أنه قال بقيت مرة في البادية ثلاثة أيام لم يصح لي شيء فجاز على بعض النصارى فرآني متكئا فقال هذا قسيس من المسلمين فوضعوا عند رأسي شيأ من الطعام وانصرفوا فقلت ياللعجب كيف رزقت على أيدي الاعداء ولم أرزق على أيدي الاحباء فقيل ليس الرجل من يرزق على أيدى الاحباء انما الرجل من يرزق على أيدى أعدائه ياهذا اجعل نفسك كدابتك كلما عدلت عن الطريق ضربتها فرجعت الى الطريق ولو فعلت مع نفسك مثل ماتفعل بجبتك كلما توسخت غسلتها وكلما تقطع منها شيء رقعته وجددتة كانت لك السعادة فرب رجل ابيضت لحيته وما جلس مع الله جلسة يحاسب نفسه فيها (عن الشيخ مكين الدين) الاسمر رضي الله عنه انه قال كنت في البداءة احاسب نفسي عند المساء فاقول تكلمت اليوم بكذا وكذا فاجد ثلاث كلمات او اربعا وكان عنده يوما شيخ عمره نحو تسعين سنه فقال له ياسيدى أشكو اليك كثرة الذنوب فقال له الشيخ هذا شيء لا نعرفه وما اعرف اني عملت ذنبا قط كما ان للدنيا ابناء من استند اليهم كفوه فكذلك ان للآخرة ابناء من استند اليهم أغنوه ولا تقل طلبنا فلم نجد فلو طلبت بصدق لوجدت وسبب عدم وجدانك عدم استعدادك فان العروس لا تجلى على فاجر فلو طلبت رؤية العروس لتركت الفجور ولو تركت الفجور لرأيت الاولياء والاولياء

كثيرون لا ينقص عددهم ولا مددهم ولو نقص واحد منهم انتقص نور النبوة اذا أحببت حبيبا لن تصل اليه حتى تكون أهلا للوصول اليه
حتى تتطهر مما أنت فيه من الرذائل (قال الشيخ ابو الحسن الشاذلى) رضي الله عنه أولياء الله عرائس والعرائس
لايراها المجرمون اذا ثقلت عليك الطاعة والعبادة ولم تجد لها حلاوة فى قلبك وتخفف عليك المعصية وتجد لها حلاوة فاعلم انك لم تصدق فى توبتك فانه لو صح الاصل لصح الفرع ليتك لو أطعت مولاك كما يطيعك عبدك فانك تحبه ناهضا فى خدمتك دائما وانت تحب الطاعة وتطلب أن تفرغ منها مسرعا كانك تنقر بالمناقير فياليت بصرا انظرت به محاسن الغير عوضت عنه العمى كم حصل لك الهوان بالوقوف على أبواب المخلوقين وكم أهانوك وأنت لاترجع الى مولاك عن (الشيخ) مكين الدين الاسمر رضي الله عنه أنه قال رأيت فى المنام حورية وهى تقول أنا لك وأنت لى قال فبقيت نحو شهرين أو ثلاثة لا أستطيع المخلوق كلاما الا تقيأت لطيب كلامها كذلك من الادبار ان تفتح عينيك فى هذه الدار قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم
زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه قدر لك الصحة والمرض والغنى والفقر والفرح والحزن حتى تعرفه باوصافه الا
من صحبك يوما أو يومين ولم ير منك نفعا تركك وصحبت غيرك وأنت تصحب نفسك أربعين سنة ولم تر منها نفعا فقل لها ارجعي

تذكرهم وتذكرهم على أقسام متذكر يتذكر الثواب ومتذكر يتذكر العقاب ومتذكر يتذكر
الوقوف للحساب ومتذكر يتذكر مافى ترك المعصية من جزيل الثواب ومتذكر يتذكر سابق
الاحسان فيستحى من وجود العصيان ومتذكر يتذكر لواحق الامتنان فيستحى أن يقابل
ذلك بالكفران ومتذكر يتذكر قرب الله تعالى منه ومتذكر يتذكر احاطة الحق سبحانه
ومتذكر يتذكر نظر الحق اليه ومتذكر يتذكر مشاهدة الله له ومتذكر يتذكر فناء لذته وبقاء
مطالبته ومتذكر يتذكر وبال المخالفة وذلها فيكون لها تاركا ومتذكر يتذكر فوائد الموافقة
وعزها فيكون لها سالكا ومتذكر يتذكر قيومية الحق به ومتذكر يتذكر عظمة الحق
وسلطانه الى غير ذلك من تعلقات التذكر وهى لا حصر لها وانما ذكرنا ماذكرنا منها تأنيسا
لك باحوال المتقين وتنبيها على بعض مقامات المتبصرين فافهم ﴿الفائدة العاشرة﴾ يمكن أن
يكون قوله سبحانه وتعالى ان الذين اتقوا اذامسهم طائف أن يكون المراد بالطائف الهاجس
أو الخاطر الوارد من وجود النفس بالقاء الشيطان وسمى طيفا لانه يطيف بالقلب وتفسره القراءة
الاخرى اذامسهم طائف من الشيطان فتكون احدى القراءتين مفسرة للاخرى والهاجس يطيف
بالقلب فان وجد له مسلكا بثلمة يجدها فى سور مقام اليقين دخل والا ذهب ومثل مقامات اليقين
ونور اليقين الجامع لها كالاسوار المحيطة بالبلدة وقلاعها فالاسوار هى الانوار وقلاعها هى مقامات
اليقين التى هى دائرة بمدينة القلب فمن أحاط بقلبه سور يقينه وصحح مقاماته التى هى أسوار الانوار
كالقلاع فليس للشيطان اليه سبيل ولاله فى داره مقيل ألم تسمع قوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم
سلطان أي لانهم قد صححوا العبودية لي فلاهم لحكمى منازعون ولا فى تدبيري متعرضون بل على
متوكلين والى مستسلمون فلذلك قام لهم الحق سبحانه بالرعاية والنصر والحماية وجهوا هممهم اليه
فكفاهم من دونه قيل لبعض العارفين كيف مجاهدتك للشيطان قال وما الشيطان نحن قوم صرفنا هممنا
الى الله تعالى فكفانا من دونه *وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله تعالى يقول لما قال الحق تعالى ان
الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فقوم فهموا من هذا الخطاب ان الله طالبهم بعداوة الشيطان
فصرفوا هممهم الى عداوته فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب وقوم فهموا من ذلك ان الشيطان لكم
عدو أي أنا لكم حبيب فاشتغلوا بمحبة الله فكفاهم من دونه ثم ذكر الحكاية المتقدمة فان استعاذ
من الشيطان فلاجل أن الله تعالى أمرهم بذلك لا انهم يشهدون ان لغير الله من الحكم شيأ معه
وكيف يشهدون لغيره حكما معه وهم يسمعونه يقول ان الحكم الا لله أمر أن لا تعبدوا الا اياه وقال
سبحانه وتعالى ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال عزوجل ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقال
سبحانه وتعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله
فهو حسبه وقال الله تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وقال وكان حقا علينا نصر
المؤمنين فهذه الآيات ونظائرها قوت قلوب المؤمنين وتعرفهم النصر المبين فان استعاذوا من الشيطان
فبأمره وان استولوا بنور الايمان عليه فبوجود نصره وان سلموا من كيده لهم فبتأييده وبره *قال الشيخ
ابو الحسن رحمه الله تعالى اجتمعت برجل فى سياحتى فاوصانى فقال لى ليس شىء فى الاقوال اعون على
الافعال من لاحول ولا قوة الا بالله وليس فى الافعال أعون من الفرار الى الله والاعتصام بالله ومن
يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم ثم قال بسم الله فررت الى الله واعتصمت بالله ولاحول ولاقوة
الا بالله ومن يغفر الذنوب الا الله بسم الله قول باللسان صدر عن القلب ففروا الى الله وصف الروح والسر
واعتصمت بالله وصف العقل والنفس ولاحول ولاقوة الا بالله وصف الملك والامر ومن يغفر الذنوب

يا نفس الى رضا ربك طالما وافقتك فى الشهوات فتبدلى بعد البطالة بالاشتغال بالله وبعد الكلام بالصمت وبعد الوقوف بالحارات الجلوس بالخلوة وبعد الانس بالمخلوقين الانس بالخالق وبعد قرناء السوء معاشرة أهل الخير والصلاح اجعل أحوالك على ضد ما كنت عليه اجعل بدل السهر فى معصية الله السهر فى طاعة الله وبعد الاقبال على أهل الدنيا الاعراض عنهم والاقبال على الله وبعد الاصغاء لكلامهم الاصغاء والاستماع لكلام الله اعز وجل وذكره وبعد الاكل بالشره والشهوة الاكل القليل الذى يعينك على الطاعة قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا انما عصي الله من لم يعرف عقابه وانما ترك طاعة الله من لم يعرف ثوابه فلو اطلعوا على عذاب النار لما غفلوا ولم أطلعوا على ماأعد الله لاهل الجنة لما تركوها طرفة عين اذا صحبت ابناء الدنيا جذبوك اليها واذا صحبت أبناء الآخرة جذبوك الى الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم لمن يخالل كما تختار لنفسك المآكل الطيبة التى لاضرر فيها والزوجة الحسنة لتتزوجها فكذلك لا تواددالامن يعرفك الطريق الى الله سبحانه وتعالى واعلم أن لك ثلاثة اخلاء (أحدها) المال تفقده عند الموت (والثاني) العيال يتركونك عند القبر (والثالث) عملك لا يفارقك أبدا فاصحب من يدخل معك قبرك وتأنس به فالعاقل من عقل عن الله

الا الله رب أعوذ بك من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ثم يقول للشيطان هذا علم الله فيك وبالله آمنت وعليه توكلت وأعوذ بالله منك ولولا ما أمرني ما استعذت منك ومن أنت حتى أستعيذ بالله منك فقد فهمت رحمك الله ان الشيطان أحقر فى قلوبهم أن يضيفوا اليه قدرة أو ينسبوا اله ارادة * وسر الحكمة فى ايجاد الشيطان أن يكون مظهرا ينسب اليه أسباب العصيان ووجود الكفران والغفلة والنسيان ألم تسمع قوله وما أنسانيه الا الشيطان هذا من عمل الشيطان فكان سر ايجاده ليمسح فيه أوساخ النسب ولذلك قال بعض العارفين الشيطان منديل هذه الدار يمسح به وسخ المعاصي وكل قبيح وخبيث ان الله تعالى لو شاء أن لا يعصي لما خلق ابليس وقال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى الشيطان كالذكر والنفس كالانثي وحدوث الذنب بينهما كحدوث الولد بين الاب والام لا أنهما أوجداه ولكن عنهما كان ظهوره ومعنى كلام الشيخ هذا انه كما لا يشك عاقل ان الولد ليس من خلق الاب والام ولا من ايجادهما ونسب اليهما لظهوره عنهما كذلك لا يشك مؤمن أن المعصية ليست من خلق الشيطان والنفس بل كانت عنهما لا منهما فلظهورها عنهما نسبت اليهما فنسبة المعصية الى الشيطان والنفس نسبة اضافة واسناد ونسبتها الى الله نسبة خلق وايجاد كما انه خالق الطاعة بفضله كذلك هو خالق المعصية بعدله قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا وقال سبحانه وتعالى الله خالق كل شيء وقال سبحانه وتعالى هل من خالق غير الله وقال سبحانه وتعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون * والآية القاصمة للمبتدعة المدعين ان الله يخلق الطاعة ولا يخلق المعصية قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون فان قالوا فقد قال الله تعالى ان الله لا يأمر بالفحشاء فالامر غير القضاء فان قالوا فقد قال الله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك فهو على هذا التفصيل تعليم للعباد التأدب معه فامرنا ان نضيف المحاسن اليه لانها اللائقة بوجوده والمساوي الينا لانها اللائقة بوجودنا قياما بحسن الادب كما قال الخضر عليه السلام فأردت ان أعيبها وقال فاراد ربك أن يبلغا أشدهما وقال ابراهيم عليه السلام واذا مرضت فهو يشفيني ولم يقل الخضر فاراد ربك ان يعيبها كما قال فاراد ربك أن يبلغا أشدهما فاضاف العيب الي نفسه والمحاسن الى سيده وكذلك ابراهيم عليه السلام لم يقل فاذا أمرضني فهو يشفيني بل قال واذا مرضت فهو يشفيني فاضاف المرض الى نفسه والشفاء الى ربه مع ان الله تعالى هو فاعل ذلك حقيقة وخالقه فقوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله أى خلقا وايجادا وما أصابك من سيئة فمن نفسك أى اضافة واسنادا كما قال عليه السلام الخير بيديك والشر ليس اليك فقد علم عليه السلام ان الله خالق الخير والشر والنفع والضر ولكن الزم أدب التعبير فقال الخير بيديك والشر ليس اليك على ما بيناه فافهم فان قالوا ان الحق سبحانه منزه عن ان يخلق المعصية لانها قبيحة والحق سبحانه منزه ان يخلق القبائح قلنا المعصية فعل قبيح من العبد لانها مخالفة للامر اذا القبح لا يرجع الى ذات المنهي عنه ولكن لاجل تعلق النهي به كما ان الحسن لا يتعلق بذات المأمور به ولكن بمعنى تعلق الامر به فافهم ثم ان الحق تعالى يجب تنزيهه عن هذا التنزيه وذلك انهم اذا قالوا تعالى الله ان يخلق المعصية قلنا تعالى الله ان يكون فى ملكه ما لا يريد فافهم هدانا الله واياك الى الصراط المستقيم وأقامنا على الدين القويم بفضله

(تقرير وبيان لذكر قواعد التدبير ومنازعة المقادير)

قال الله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه أسلم قال اسلمت لرب العالمين وقال ان الدين عند الله الاسلام وقال تعالى ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل * وقال تعالى فله أسلموا وقال تعالى فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله

ومن اتبعني * وقال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين
وقال ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وقال توفنى مسلما وألحقنى
بالصالحين وقال وأنا أول المسلمين الى غير ذلك فاعلم ان هذا التكرار لذكر الاسلام تنويه لقدره
وتفخيم لامره والاسلام له ظاهر وباطن فظاهره الموافقة لله تعالى وباطنه عدم المنازعة له فالاسلام
حظ الهياكل وعدم المنازعة والاستسلام حظ القلوب فالاسلام كالصورة والاستسلام هو روح
تلك الصورة فالاسلام ظاهر والاستسلام باطن ذلك الظاهر فالمسلم من أسلم نفسه الى الله فكان
ظاهرا بامتثال أمره وباطنا بالاستسلام الى قهره وتحقيق مقام الاستسلام بعدم المنازعة لله فى أحكامه
والتفويض له فى نقضه وابرامه فمن ادعى الاسلام طولب بالاستسلام قل هاتوا برهانكم ان كنتم
صادقين الا ترى ان ابراهيم عليه السلام لما قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين فلما زج به
فى المنجنيق استغاثت الملائكة قائلة يا ربنا هذا خليلك قد نزل به ما أنت به أعلم فقال الحق سبحانه
وتعالى اذهب اليه يا جبريل فان استغاث بك فاغثه والا فاتركني وخليلي فلما جاءه جبرائيل عليه السلام
فى أفق الهواء قال ألك حاجة قال أما اليك فلا وأما الى الله فبلى قال فاسأله قال حسبي من سؤالى علمه
بحالى فلم يستنصر بغير الله ولا جنحت همته بغير الله بل استسلم لحكم الله مكتفيا بتدبير الله له عن
تدبيره لنفسه وبرعاية الحق له عن رعايته لها وبعلم الحق سبحانه عن سؤاله علما منه ان الحق به لطيف
فى جميع أحواله فاثنى الله تعالى عليه بقوله وابراهيم الذي وفى ونجاه من النار فقال تعالى قلنا يا نار كوني
بردا وسلاما على ابراهيم قال أهل العلم لو لم يقل الحق سبحانه وسلاما لاهلكه بردها فخمدت تلك
النار وقال أهل العلم باخبار الانبياء عليهم الصلاة والسلام لم يبق ذلك الوقت نار بمشارق الارض
ولا بمغاربها الا خمدت ظانة أنها المعينة بالخطاب فقيل انه لم تحرق النار منه الا قيده { فائدة
جليلة } انظر الى قول ابراهيم عليه السلام لما قال له جبرائيل عليه السلام ألك حاجة قال أما اليك فلا ولم
يقل ليس لي حاجة لان مقام الرسالة والخلة يقتضي القيام بصريح العبودية ومن لازم مقام العبودية
اظهار الحاجة الى الله تعالى والقيام بين يديه بوصف الفاقة اليه ورفع الهمة عما سواه فناسب ذلك أن
يقول اما اليك فلا أي انا محتاج الى الله وأما اليك فلا فجمع فى كلامه هذا اظهار الفاقة الى الله ورفع
الهمة عما سواه لا كما قال بعضهم لا يكون الصوفى صوفيا حتى لا يكون له الى الله حاجة وهذا كلام
لا يليق باهل الاقتداء المكملين مع انه مؤول لقائله بان مراده ان الصوفى قد تحقق بان الله قد قضى
حوائجه من قبل أن يخلقه فليس له الى الله حاجة الا وهى مقضية فى الازل ولا يلزم من نفى الحاجة
نفى الاحتياج * والتأويل الثاني انما قال لا يكون له الى الله حاجة أي أنه انما يطلبه وليس همته
الطلب منه وشتان بين طالب الله وطالب من الله وقد يكون مراده بقوله حتى لا يكون له الى الله
حاجة أنه مفوض الى الله مستسلم له فليس له مع الله مراد الا ما أراد { فائدة جليلة } أيضا وذلك أن
جبرائيل عليه السلام لما قال لابراهيم ألك حاجة قال اما اليك فلا وأما الى الله فبلى قيل علم جبرائيل
عليه السلام انه لا يستغيث به وان قلبه لا يشهد الا الله عز وجل وحده فقال له حينئذ سله
أى ان لم تستغث بي التزاما منك عدم التمسك بالوسائط فسل ربك فانه أقرب اليك مني فقال ابراهيم
عليه السلام مجيبا له حسبي من سؤالى علمه بحالى أي انى نظرت فرأيته أقرب الى من سؤالى ورأيت
سؤالى من الوسائط وأنا لا أريد أن أتمسك بشيء دونه ولانى علمت ان الحق سبحانه وتعالى عالم
فلا يحتاج ان يذكر بسؤال ولا يجوز عليه الاهمال فاكتفيت بعلم الله عن السؤال وعلمت انه لا يدعني
من لطفه فى كل حال وهذا هو الاكتفاء بالله تعالى والقيام بحقوق حسبي الله * وكان شيخنا أبو

أوامره ونواهيه مثالك كالجعل يعيش فى الروث والعذرة واذا قرب اليه الورد مات من رائحته فمن الناس من هو جعلى الهمة فراشي
العقل فان الفراش لا يزال يرمى نفسه فى (٢٢) النار حتى تحرقه فكذلك أنت ترمى نفسك فى نار المعصية عمدا فلو أردت السير الى الله تعالى
شددت الحزم فأين الهمة انما تاكل لتعيش لا تعيش لتاكل فان فعلت ذلك فمثالك على المذاود كثير ومثالك فى الدواب كثير فان فعلت ذلك فان اسبق الخيل ما ضمر تقول هذه الليله اقلل الاكل فاذا حضر الطعام كانه حبيب مفارق ومن لم يرد الله صلاحه تعبت فيه الاقاويل قال الله تعالى ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ ما أهربك من الهوان وما أوقفك فيه تهين نفسك وتقلبها فى مواطن الردى قال بعضهم كن مع الله كالطفل مع أمه كلما دفعته أمه ترامى عليها لا يعرف غيرها يا عبد الله تنتخب لنفسك الطيبات بل تنتخب لدابتك العلف وتعامل الله بالمجازفة وربما قلبت عشرين بطيخة حتى تصلح لك واحدة لدهليز مرحاض وتقعد عند الاكل متربعا وربما طولت فى الاكل واذا جئت الى الصلاة نقرتها نقر الديك والوساوس والخواطر الرديئة تاتيك
فى صلاتك مثال من هذه حالته كمن نصب نفسه للهدف وقعد فى الارماح والسهام تقصده من كل جانب أما هذا أحمق العباس مثالك اذا
سمعت الحكمة ولم تعمل بها كمثل الذى يلبس الدرع ولا يقاتل الا فقد حصل النداء على سلعتنا فهل من مشتر قيمتك قيمة ما أنت

مشغول به فان اشتغلت في الدنيا فلا فيـ ـه ذلك لان الدنيا كالجيفة لا قيمة لها أفضل ما يطلب العبد من الله أن يكون مستقيما معه قال الله تعالى اهدنا الصراط المستقيم فاطلب منه الهداية والاستقامة وهو أن تكون مع الله في كل حال بالذي يرضاه لك وهو تكون

العباس رضي الله عنه يقول في قوله تعالى وابراهيم الذي وفى قال وفى بمقتضى قوله حسبي الله وقال بعضهم سلم طعامه للضيفان وولده للقربان وجسده للنيران فاثنى الحق عليه بقوله وابراهيم الذي وفى

﴿ فائدة جليلة ﴾ اعلم ان الملائكة لما قال لهم الحق سبحانه وتعالى اني جاعل في الارض خليفة يعني آدم وذريته قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم مالا تعلمون فكان عدم استغاثة ابراهيم عليه السلام بجبرائيل عليه السلام في ذلك الموطن احتجاجا من الله عليهم كانه يقول كيف رأيتم عبدي هذا يا من قال أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فظهر بذلك قوله سبحانه وتعالى اني أعلم مالا تعلمون * جاء في الحديث * عنه ﷺ قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فيصعد الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم كيف تركتم عبادي فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه كان الحق سبحانه وتعالى يقول لهم يا من قال أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كيف تركتم عبادي فكان مراد الحق سبحانه وتعالى بارسال جبرائيل عليه السلام اظهار رتبة الخليل عند ملائكته وتبيينا لشرف قدره وفخامة أمره وكيف يمكن ابراهيم عليه السلام أن يستغيث بشيء دونه وهو لا يرى الا اياه ولا يشهد سواه وانما سمي الخليل خليلا لانه تخلل سره بمحبة الله وعظمته وأحديته فلم يبق فيه متسع لغيره كما قيل

قد تخللت مسلك الروح مني * وبذا سمي الخليل خليلا
فاذا ما نطقت كنت كلامي * واذا ما صمت كنت الغليلا

﴿ تنبيه واعلام ﴾ اعلم أن الحق سبحانه وتعالى بسط سر ابراهيم عليه السلام بنور الرضا واعطاه روح الاستسلام وصان قلبه عن النظر الى الانام فما كانت النار عليه بردا وسلاما الا لما كان قلبه مفوضا الى الله استسلاما فمن الاستسلام كان عليه السلام وعن تصحيح باطن المقام كان ماظهر عليه من الاجلال والاعظام فافهم من ذلك أيها المؤمن أن من استسلم الى الله في واردات الامتحان أعاد الله عليه شوكها ريحانا وخوفها أمانا فاذا قذفك الشيطان في منجنيق الامتحان فعرضت لك الاكوان قائلة ألك حاجة فقل أما اليك فلا وأما الى الله فبلى فان قالت لك سله فقل حسبي من سؤالي علمه بحالي فان الله يعيد عليك نار الدنيا بردا وسلاما ويعطيك منة واكراما لان الله سبحانه وتعالى فتح بالانبياء والرسل سبيل الهدى فسلك وراءهم المؤمنون والتزم اتباعهم الموقنون كما قال سبحانه وتعالى قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وقال في شأن يونس عليه السلام فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين أي كذلك ننجي المؤمنين المتبعين لآثاره المتشوقين لانواره الطالبين من الله بالذلة والافتقار واللابسين شعار المسكنة والانكسار ﴿ انعطاف ﴾ في قصة ابراهيم عليه السلام هذه بيان للمعتبرين وهداية للمتبصرين وهو أن من خرج عن تدبيره لنفسه كان الله سبحانه وتعالى هو المتولي بحسن التدبير له ألا ترى أن ابراهيم عليه السلام لما لم يدبر لنفسه ولا اهتم بها بل ألقاها الى الله تعالى وأسلمها اليه وتوكل في كل شأنه عليه فلما كان كذلك كان عاقبة استسلامه وجود السلامة والاكرام وبقاء الثناء عليه على ممر الايام وقد أمرنا الله تعالى أن لا نخرج عن ملته وان نرعى حق تسميته بقوله تعالى ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل فحق على كل من كان ابراهيميا أن يكون عن تدبيره لنفسه بريا ومن منازعة الله خليا ومن اعتراضه عريا ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه وملته لازمها التفويض الى الله تعالى والاستسلام في واردات الاحكام واعلم ان المراد هو أن لا يكون لك مع الله مراد ولنا في هذا المعنى شعر

ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم عن الله سبحانه وتعالى من بذل لله صرف الود سقاه الله صرف الكرم مثال السالك كمن يحفر على الماء قليلا قليلا حتى تجد الثقب فينبع له الماء بعد الطلب ومثال المحزون كمن أراد الماء فأمطرت له سحابه فاخذ منها ما يحتاج اليه من غير تعب اذا أعطيت نفسك كلما تشتهي وتطلب من الشهوات كنت كمن في بيته حية يسمنها كل يوم حتى تقتله ولو جعل فيك الروح من غير نفس لاطعت وما عصيت ولو جعل فيك النفس من غير روح لعصيت وما أطعت فلذلك جعل فيك القلب والروح والنفس والهوى كالنحلة جعل فيها اللسعة والعسل فلذلك تلون فالعسل يبره واللسع يقهره فاراد ان يكسر دعوة النفس بوجود القلب ودعوى القلب بوجود النفس يا عبد الله طلب منك أن تكون له عبدا فابيت أن

الا ضد اقبالك على الله اقرارك له بالعبادة فكيف رضي لك ان تعبد غيره فلو أتيتنا تطلب العطاء منا ما أنصفتنا فكيف ترضى اذا أقبلت على من سوانا وقفت الدنيا في طريق الآخرة فصرفت الوصول اليها ووقفت الآخرة في طريق الحق فمنعت الوصول اليه ان من

مرادي منك نسيان المراد * اذا رمت السبيل الرشاد
وان تدع الوجود فلا تراه * وتصبح ماسكا حبل اعتماد
الى كم غفلة عني واني * على حفظ الرعاية والوداد
الي كم أنت تنظر مبدعاتي * وتصبح هائما في كل وادي
وتترك ان تميل الي جنابي * لعمرك قد عدلت عن السداد
وودى فيك لو تدري قديم * ويوم ألست يشهد بانفرادي
فهل رب سواي فترتجيه * غدا ينجيك من كرب شداد
فوصف العجز عم الكون طرا * فمفتقر بمفتقر ينادي
في قد قامت الاكوان طرا * وأظهرت المظاهر من مرادي
أفي داري وفي ملكي وملكي * توجه للسوي وجه اعتمادي
فحدق أعين الايمان وانظر * ترى الاكوان تؤذن بالنفاد
فمن عدم الى عدم مصير * وأنت الى الفنا لاشك غاد
وما خلعي عليك فلا تزلها * وصن وجه الرجاء عن العباد
ببابي أوقف الآمال طرا * ولا تأتي لحضرتنا بزاد
ورصفك فالزمنه وكن ذليلا * ترى مني المنى طوع القياد
وكن عبدا لنا والعبد يرضي * بما تقضي الموالي من مراد
أأستر وصفك الادنى بوصفي * فتجزي ذاك جهلا بالعناد
وهل شاركتني في الملك حتى * غدوت منازعي والرشد باد
فان رمت الوصول الى جنابي * فهذي النفس فاحذرها وعاد
وخض بحر الفناء عسي ترانا * وأعددنا الي يوم الميعاد
وكن مستمطرا منا لتلقي * جميل الصنع من مولى جواد
ولا تستهد يوما من سوانا * فما أحد سوانا اليوم هاد

{تنبيه واعلام} اعلم أن التدبير على قسمين تدبير محمود وتدبير مذموم فالتدبير المذموم هو كل تدبير ينعطف على نفسك بوجود حظها لا لله قياما بحقه كالتدبير في تحصيل معصية أو في حظ بوجود غفلة وطاعة بوجود رياء وسمعة ونحو ذلك وهذا كله مذموم لانه اما أن يوجب عقابا ويوجب حجابا ومن عرف نعمة العقل استحى من الله أن يصرف عقله الى تدبير ما لا يوصله الى قربه ولا يكون سببا لوجود حبه والعقل افضل ما من الله به على عباده لانه سبحانه وتعالى خلق الموجودات وتفضل عليها بالايجاد وبدوام الامداد فهما نعمتان ما خرج موجود عنهما ولا بد لكل مكون منهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد وربما يفهم من ههنا قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء لكن لما اشتركت الموجودات في ايجاده وامداده أراد الحق تعالى أن يميز بعضها على بعض ليظهر سعة تعلقات ارادته واتساع مشيئته فميز بعض الموجودات بالنمو كالنبات والحيوان البهيمي والآدمي فظهرت القدرة فيه ظهورا أجلى من ظهورها في الموجودات الغير نامية فلما اشتركت هذه الثلاثة في النمو أفرد الحيوان الآدمي وغير الآدمي بوجود الحياة فشارك الآدمي في ذلك الحيوان البهيمي فظهر بقدرته فيه ظهورا أجلى من ظهوره في الناميات فاراد أن يميز الآدمي عنه فاعطاه العقل وفضله لذلك على

لطف الله بك أن يكشف لك عن عيوب نفسك ويسترها عن الناس اذا أعطيت الدنيا ومنعت الشكر فيها فهي محنة في حقك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الدنيا يلهي عن طريق الآخرة كان لبعضهم زوجة فقالت له يوما لا اقدر على أن تغيب عني ولا أن تشتغل بغيري فنودي اذا كانت هذه لا خالقة ولا موجدة وهي تحب أن تجمع قلبك عليها فكيف لا أحب أنا أن تجمع قلبك على كنت مرة عند الشيخ أبي العباس المرسي رضي الله تعالى عنه فقلت في نفسي اشياء فقال الشيخ ان كانت النفس لك فاصنع بها ماشئت ولن تستطيع ذلك ثم قال النفس كالمرأة كلما أكثرت خصامها أكثرت خصامك فسلمها الى ربها يفعل بها ما يشاء فربما تعبت في تربيتها فلا تنقاد لك فالمسلم من أسلم نفسه الى الله بدليل قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة اذا أحبك مولاك أعرض عنك أصحابك حتي لا تشتغل بهم عنه وقطع علائقك من المخلوقين حتى ترجع اليه كم تطلب نفسك الي الطاعة وهي تتقاعد انما تحتاج الى معالجة نفسك في الابتداء فاذا ذاقت المنة جاءت اختيارا فالحلاوة التي كانت تجدها في المعصية ترجع تجدها في الطاعة مثال الايمان في القلب كالشجرة الخضراء فاذا كثرت عليها المعاصي يبست وفرغ أمدادها فمن أحب القيام الحيوان بالواجبات فليترك المحرمات ومن ترك المكروهات أعين على تحصيل الخيرات ومن ترك المباحات وسع عليه توسعة لا يسعها

عقله وأباح له حضرته ومن ترك استماع ماحرم عليه كلامه ولكن ما أهون القرابة التي فيها هوى تمسك عليك وما أثقل ما ليس فيه هوى مثاله أن تخرج تنفلا فان قيل لك تصدق بذلك شق عليك لان امر الحج يرى فالنفس فيه حظ الصدقة تطوى وتنسى وكذلك

الحيوان وكمل به نعمته على الانسان وبالعقل ووفوره واشراقه ونوره تتم مصالح الدنيا والآخرة فصرف نعمة العقل الى تدبير الدنيا التي لاقدر لها عند الله كفر لنعمة العقل وتوجهه الى الاهتمام باصلاح شأنه في معاده قياما بوجود شكر المحسن اليه والمفيض من نوره عليه أحق به وأحرى وأفضل له وأولى فلا تصرف عقلك الذي من به عليك في تدبير الدنيا التي هي كما أخبرنا النبي عليه السلام بقوله الدنيا جيفة قذرة وكما قال ﷺ للضحاك ما طعامك قال اللحم واللبن يارسول الله قال ثم يعود الى ماذا قال ما علمت يارسول الله قال فان الله جعل ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا وقال ﷺ لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى كافر منها شربة ماء . ومثل من صرف عقله في تدبير الدنيا التي هذه الصفات صفاتها كمثل من أعطاه الملك سيفا عظيما قدره مفخما أمره لم يسمح لكثير من رعاياه بمثله ليقتل به أعداءه ويتزين بحمله فعمد آخذ هذا السيف الى الجيف فجعل يضربها حتى تفلل ظباه وكل شباه وتغير حسنه وسناه فجدير اذا اطلع الملك على هذه الحالة منه أن يأخذ السيف منه ويعظم عقوبته على سوء فعاله وأن يمنعه من وجود اقباله فقد تبين من هذا أن التدبير على قسمين تدبير محمود وتدبير مذموم فالتدبير المحمود هو ما كان تدبيرا بما يقربك من الله كالتدبير في براءة الذمم من حقوق المخلوقين اما وفاء وما استحلالا وتصحيح التوبة الى رب العالمين والفكرة فيما يؤدي الى قمع الهوى المردي والشيطان المغوي وكل ذلك محمود لاشك فيه ولاجل ذلك قال رسول الله عليه السلام فكرة ساعة خير من عبادة سبعين سنة والتدبير للدنيا على قسمين تدبير الدنيا للدنيا وتدبير الدنيا للآخرة فتدبير الدنيا للدنيا هو أن يدبر في أسباب جمعها افتخارا بها واستكثارا وكلما ازداد فيها شيئا ازداد غفلة واغترارا وامارة ذلك أن يشغله عن الموافقة ويؤديه الى المخالفة وتدبير الدنيا للآخرة كمن يدبر المتاجرة والمكاسب والغراسة ليأكل منها حلالا وليتعم بها على ذوي الفاقة افضالا وليصون بها وجهه عن الناس اجمالا وامارة من طلب الدنيا لله تعالى عدم الاستكثار والادخار والاسعاف منها والايثار وللزاهد في الدنيا علامتان علامة في فقدها وعلامة في وجدها فالعلامة التي في وجدها الايثار منها والعلامة التي في فقدها وجود الراحة منها فالايثار شكر لنعمة الوجدان ووجود الراحة منها شكر لنعمة الفقدان وذلك ثمرة الفهم عن الله والعرفان لان الحق تعالى كما قد ينعم عليك بوجودها كذلك قد ينعم بصرفها بل نعمته في صرفها أتم * قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى لنعمة الله على فيما زوي عني من الدنيا أتم من نعمته على فيما أعطاني منها * وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله رأيت الصديق رضي الله عنه في المنام فقال لي أتدري ما علامة خروج حب الدنيا من القلب قلت لا أدري قال علامة خروج حب الدنيا من القلب بذلها عند الوجود ووجود الراحة منها عند الفقد فقد تبين من هذا ان ليس كل طالب للدنيا مذموما بل المذموم من طلبها لنفسه لا لربه ولدنياه لا لآخرته فالناس اذا على قسمين عبد طلب الدنيا للدنيا وعبد طلب الدنيا للآخرة وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول العارف لا دنيا له لان دنياه لآخرته وآخرته لربه وعلى ذلك تحمل أحوال الصحابة والسلف الصالحين رضي الله عنهم فكلما دخلوا فيه من اسباب الدنيا فهم بذلك الى الله متقربون والى رضاه مسببون لا قاصدون بذلك الدنيا وزينتها ووجود لذتها وبذلك وصفهم الحق تعالى بقوله محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود وقال في الآية الاخرى في بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار وبقوله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من

درسك العلم لغير الله فانك تدرس الليل كله وتمسك طيبة بذلك فاذا قيل لك صل بالليل ركعتين شق ذلك عليك لان الركعتين بينك وبين الله ليس فيهما للنفس حظ والقراءة والدرس للنفس فيها حظ مشاركة للناس فلاجل ذلك خفف عليها (قال بعضهم) تاقت نفسي الى الزواج فرأيت المحراب قد انشق وخرج منه نعل من ذهب مكلل باللؤلؤ فقيل لي هذا نعلها فكيف وجهها فانقطعت شهوة النكاح من قلبي من هيئت له المنازل لم يرض له بالقعود على المزابل فاعمل الاعمال الصالحات بينك وبين الله سرا ولا تطلع عليه أهلك واجعله مدخرا عند الله تجده يوم القيامة فان النفس لها تمتع بذكر العمل صام بعضهم أربعين سنة ولم يعلم به أهله لاتنفق أنفاسك في غير طاعة الله ولا تنظر الي صغير النفس بل انظر الى مقداره والى مايعطى الله العبد

 فالانفاس جواهر وهل رأيت أحدا يرمي جوهرة على مزبلة أفتصلح ظاهرك وتفسد باطنك فمثالك كالمجذوم لبس ثيابا جديدة ويخرج منه في الباطن القيح والصديد فانت تصلح ماينظر اليه الناس ولا تصلح قلبك الذي هو لربك الحكمة كالقيد أن

قضى نحبه ومن ينتظر وما بدلوا تبديلا ونظائر هذه الآيات وماظنك بقوم اختارهم الله لصحبة رسوله ﷺ ولو اجهه خطابه فى تنزيله فما أحد من المؤمنين الى يوم القيامة الا وللصحابة فى عنقه منن لا تحصى وأياد لا تنسى لانهم هم الذين حملوا الينا عن رسول الله ﷺ الحكمة والاحكام وبينوا الحلال والحرام وفهموا الخاص والعام وفتحوا الاقاليم والبلاد وقهروا أهل الشرك والعناد وبحق ماقال رسول الله عليه السلام فيهم . أصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد وصفهم فى الآية الاولى باوصاف الى أن قال يبتغون فضلا من الله ورضوانا فقد أخبر سبحانه وهو المطلع على أسرارهم العالم بهم فى سرهم وأجهارهم انهم ما ابتغوا بما حاولوه الدنيا ولم يقصدوا بذلك الا وجه الله الكريم وفضله العميم وقد قال سبحانه وتعالى فيهم واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فقد أخبر سبحانه أنهم لا يريدون سواه ولا يقصدون الا اياه وقال فى الآية الاخرى يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله اشارة الى انه قد طهر أسرارهم وكمل أنوارهم فلذلك لا تاخذ الدنيا قلوبهم ولا تخدش وجداناتهم وكيف تأخذ الدنيا من قلوب ملأها بحبه وأشرق فيها أنوار قربه وقد قال سبحانه وتعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فلو كان للدنيا على قلوبهم سلطان لكان للشيطان على قلوبهم أيضاً اذ لا يمكن الشيطان أن يصل الى قلوب أشرقت فيها أنوار الزهد وكنست من أوساخ الرغبة فقوله سبحانه وتعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان أي ليس لك ولا لشيء من الاكوان على قلوبهم سلطان لان سلطان عظمتي فى قلوبهم يمنعهم أن يكون على قلوبهم سلطان لشيء دونى فاثبت الحق سبحانه وتعالى لهم فى هذه الآية انهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولم ينف عنهم أنهم لا يتجرون ولا يبيعون بل فى الآية مايدل على جواز البيع والتجارة من فحوى الخطاب اذا تدبرته تدبر أولى الالباب ألم تسمع قوله تعالى واقام الصلاة وايتاء الزكاة فلو نهاهم عن الغنى لنهاهم عن التسبب المؤدى اليه وهو التجارة والبيع ألا ترى أنه قال وايتاء الزكاة فايجابه الزكاة عليهم دليل على أن هؤلاء الرجال التي هذه الاوصاف اوصافهم قد يكون منهم أغنياء ولا يخرجهم عن المدحة غناهم اذا قاموا فيه بحقوق مولاهم قال عبد الله بن عتبة كان لعثمان بن عفان رضى الله عنه يوم قتل عند خازنه مائة ألف وخمسون ألف دينار وألف ألف درهم وخلف ضياعا بين أريس وخيبر ووادى القرى قيمته مائتا ألف دينار وبلغ ثمن مال الزبير رضى الله عنه خمسين ألف دينار وترك ألف فرس وألف مملوك وخلف عمرو بن العاص رضي الله عنه ثلاثمائة ألف دينار وغنى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أشهر من ان يذكر وكانت الدنيا فى اكفهم لا فى قلوبهم صبروا عنها حين فقدت وشكروا الله حين وجدت وانما ابتلاهم الحق سبحانه وتعالى بالفاقة فى أول أمرهم حتى تكملت أنوارهم وتطهرت أسرارهم فبذلها لهم لانهم لو أعطوها قبل ذلك فلعلها كانت آخذة منهم فلما أعطوها بعد التمكين والرسوخ فى اليقين تصرفوا فيها تصرف الخازن الامين وامتثلوا قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ومن ههنا يفهم منعهم عن الجهاد فى أول الامر بقوله تعالى لهم فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بامره لانه لو أبيح لهم الجهاد فى أول الاسلام فلعل الذى هو حديث عهد بالاسلام لو أطلق لهم الجهاد ان يكون انتصاره لنفسه من حيث لا يشعر حتى كان على رضى الله عنه اذا ضرب أمهل حتى تبرد تلك الضربة ثم يضرب بعد ذلك خشية أن يضرب عقبها فيكون فى ذلك مشاركة من حظه وذلك لمعرفته رضى الله عنه بدسائس النفوس وكائنها وعظيم حراستهم لقلوبهم وتخليص أعمالهم واشفاقهم ان يكون فى عملهم شيء لم يرد به وجه الله تعالى فكانت الدنيا فى أيدى الصحابة رضى الله عنهم لا فى

قيدت بها نفسك وامتنعت وان رميتها تسيبت وتخاف عليك مثال ذلك كالمجنون فى بيتك يخربه ويقطع الثياب فاذا قيدته استرحت واذا طرحت القيد وخرجت فالضرر باق (٢٦) يا أيها الشيخ قد افنيت عمرك فاستدرك مافاتك قد لبست البياض وهو الشيب والبياض لا يحمل الدنس مثال القلب كالمرآة ومثال النفس كالنفس كلما تنفست النفس على المرآة تسودت قلب الفاجر كمرآة العجوز التي ضعفت همتها ان تجلوها وتنظر فيها وقلب العارف كمرآة العروس كل يوم تنظر فيها فلا تزال مصقولة همة الزاهدين فى كثرة الاعمال وهمة العارفين فى تصحيح الاحوال أربعة تبينك على جلاء قلبك كثرة الذكر ولزوم الصمت والخلوة وقلة المطعم والمشرب أهل الغفلة اذا أصبحوا يتفقدون أموالهم وأهل الزهد والعبادة يتفقدون احوالهم وأهل المعرفة يتفقدون قلوبهم مع الله عز وجل مامن نفس يبديه الله تعالى فيك من طاعة أو مرض أو فاقة الا وهو يريد أن يختبرك بذلك ومن طلب الدنيا بطريق الآخرة كان كمن أخذ ملعقة ياقوت يغرف بها العذرة فما بعد هذا أحق لا تعتقد ان الناس فاتهم العلم بل فاتهم التوفيق أكثر من العلم أول ما ينبغى لك أن تبكى على عقلك فكما يقع القحط فى الكلا يقع فى قلوبهم عقول الرجال وبالعقل عاش الناس فمع الناس ومع الله تعالى مع الناس بحسن الخلق ومع الله باتباع مرضاته ان من عليك بثلاثة فقد من عليك

بالنعمة الكبرى (الاولى) الوقوف على حدوده (والثانية) الوفاء بعهوده (والثالث) الفرق فى شهوده وما سبب استغرابك لاحوال العارفين الا استغراقك فى القطيعة ولو شاركتهم فى الاسفار لشاركتهم فى الاخبار (٢٧) ولو شاركتهم فى العنا لشاركتهم فى الهنا ما

قلوبهم ويدل على ذلك خروجهم عنها وايثارهم بها وهم الذين قال الحق فيهم ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة حتى أنهم أهدي لانسان منهم رأس شاة فقال فلان أحق بها مني ثم قال الآخر لها كذلك فما زالوا يتهادونها الي ان عادت الى الذى أهداها أولا بعد أن طافت على سبعة أو نحوهم ويكفيك فى ذلك خروج عمر رضى الله عنه عن نصف ماله وخروج أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن ماله كله وخروج عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه عن سبعمائة بعير موقرة الاحمال وتجهيز عثمان رضي الله عنه جيش العسرة الى غير ذلك من حسن أفعالهم وسني أحوالهم * وتضمنت الآية الاخرى وهى قوله سبحانه وتعالي رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا الاخبار عنهم بسر الصدق الذي لا يطلع عليه أحد الا الحق سبحانه وتعالى وذلك ثناء عظيم وفخر جسيم لان ظواهر الافعال قد تلتبس فيها الاحوال فيما يرجع الى علم العباد فتضمنت الآية التزكية لظواهرهم وسرائرهم واثبات محامدهم ومفاخرهم * فقد تبين من هذا ان تدبير الدنيا على قسمين تدبير الدنيا للدنيا كما هو حال أهل القطيعة الغافلين وتدبير الدنيا للآخرة كحال الصحابة المكرمين والسلف الصالحين ويدلك على ذلك قول عمر رضى الله عنه انى لا أجهز الجيش وأنا فى صلاتي لان تدبير عمر رضى الله عنه على المعاينة والمواجهة فهو اذا تدبير لله فلذلك لم يكن قاطعا صلاته ولا منقصا من كمالها * فان قلت قد زعمت ان ليس منهم من يريد الدنيا وانزل الحق سبحانه وتعالى فى شانهم يوم احد منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة حتى قال بعض الصحابة رضي الله عنهم ما كنا نظن ان احدا منا يريد الدنيا حتى نزل قوله تعالي منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة * فاعلم وفقك الله للفهم عنه وجعلك من أهل الاستماع منه انه يجب على كل مؤمن أن يظن بالصحابة الظن الجميل وان يعتقد فيهم الاعتقاد الفضيل وان يلتمس لهم احسن المخارج فى أقوالهم وافعالهم وفى جميع احوالهم فى حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته لان الحق سبحانه وتعالى لما زكاهم تزكية مطلقة لم يقيدها بزمن دون زمن وكذلك تزكية رسول الله عليه السلام لهم بقوله أصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم . وعن هذه الآية جوابان أحدهما منكم من يريد الدنيا للآخرة كالذين أرادوا الغنيمة ليعاملوا الله بما يأخذونه منها بذلا وايثارا ومنكم من لم يكن كذلك مراده انما كان مراده تحصيل فضل الجهاد لا غير فلم يلو على الغنائم ولم يلتفت اليها فمنهم الفاضل ومنهم الافضل ومنهم الكامل ومنهم الاكمل * الجواب الثاني أن السيد يقول لعبده ماشاء وعلينا أن نتأدب مع عبده لثبوت نسبته منه فليس كلما خاطب السيد به عبده ينبغي أن ننسبه للعبد ولا أن نخاطبه به اذ للسيد ان يقول لعبده ماشاء تحريضا لعبده وتنشيطا لهمته وقصده وعلينا أن نلزم حدود الادب معه وان تصفحت الكتاب العزيز وجدت فيه كثيرا منها سورة عبس حتى قالت عائشة رضي الله عنها لو كان رسول الله عليه السلام كاتما شيأ من الوحى لكتم هذه السورة * فقد تقرر من هذا انه ليس اسقاط التدبير الممدوح ترك الدخول فى أسباب الدنيا والفكرة فى مصالحها ليستعين بذلك على طاعة مولاه والعمل لاخراه وانما التدبير المنهى عنه هو التدبير فيها لها وعلامة ذلك أن يعصي الله تعالى من أجلها وأن يأخذها كيف كان من حلها أو غير حلها (فائدة) اعلم أن الاشياء انما تذم وتمدح بما تؤدي اليه فالتدبير المذموم ما شغلك عن الله وعطلك عن القيام بخدمة الله وصدك عن معاملة الله والتدبير المحمود هو ما ليس كذلك مما يؤديك الى القرب من الله تعالى ويوصلك الى مرضاة الله وكذلك الدنيا ليست تذم بلسان الاطلاق ولا تمدح كذلك وانما المذموم منها ما شغلك عن مولاك ومنعك الاستعداد لاخراك كما قال بعض العارفين كل ما شغلك عن الله من أهل ومال

شأن نفسك وقت الرضا الا كالبعير المعقول فاذا سيبته انطلق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقلب ابن آدم أشد تقلبا من القدر على النار اذا غلت فكم من كان فى جمع مع الله أتته الفرقة فى نفس واحد وكم من بات فى طاعة الله ماطلعت عليه الشمس حتى دخل فى القطيعة فالقلب بمثابة العين والعين لاترى بها كلها بل بمقدار العدسة منها وكذلك القلب لا يراد منه اللحمانية بل اللطيفة التى أودعها الله فيه وهى المدركة وجعل الله القلب معلقا فى الجانب الايسر كالدلو فان هب عليه هوى الشهوة حركه وان هب عليه خاطر التقوى حركه فتارة يغلب عليه خاطر الهوي وتارة يغلب عليه خاطر التقي حتى يعرفك مرة منه ومرة قهره فمرة يغلب عليه خاطر التقى ليمدحك ومرة يغلب عليه خاطر الهوي ليذمك فالقلب بمثابة السقف فاذا أوقد في البيت نار صعد الدخان الي السقف فسوده فكذلك دخان الشهوة اذا نبت في البدن صعد دخانه الى القلب فسوده اذا ظلمك القوى فارجع الي القوى ولا تخف منه فيسلط عليك مثال من يشهد الضر من الخلق كمن ضربه الكلب بحجر فاقبل على الكلب على

الحجر يعضه ولا يعرف ان الحجر ليس بفاعل فيه فهو والكلب سواء مثال من يشهد الاحسان من المخلوقين كالدابة اذا رأت سايسها بصبصت ويدنو اليها مالكها فلا تلتفت اليه بالا فان كنت عاقلا فاشهد الاشياء من الله عزوجل ولا تشهدها من غيره

ليس التائه من تاه في البرية بل التائه من تاه عن سبيل الهدي تطلب العز من الناس ولا تطالبه من الله فمن طلبه من الناس فقد أخطأ الطريق ومن أخطأ الطريق لم يزده سيره الا بعدا فهذا هو التائه حقا اذا قلت لا اله الا الله طالبك الله بها وبحقها وهو ان لا تنسب الاشياء الا اليه مثال القلب اذا سلمته الى النفس كمن تعلق بغريق فغرق كل واحد منهما ومثال النفس اذا سلمتها للقلب كمن اسلم نفسه الي عوام قوي فسلمها له فلا تكن ممن أسلم قلبهَ الي نفسه فهل رأيت بصيرا قلد نفسه الى أعمى يقوده ان أمكنك ان تصبح وتمسي وما ظلمت أحدا من العباد فانت سعيد فان لم تظلم نفسك فيما بينك وبين الله فقد تكملت لك السعادة فاغلق عينيك وسد أذنيك واياك واياك وظلم العباد مامثالك في صغر عقلك وكونك لا تعلم ماعليك من الملابس الا كالمولود تكسوه أمه أحسن الملابس وأفخرها وهو لا يشعر بها دنسها ونجسها فتسرع اليه أمه وتكسوه أخرى لئلا يراه الناس كذلك فان وتغسل ماتنجس وهو لا يعلم ما فعل به لصغر عقله عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه أنه قال قيل لي يا علي طهر ثيابك من الدنس

وولد فهو عليك مشؤم والممدوح ما أعانك على طاعته وأنهضك الي خدمته وبالجملة ماوقع المدح به فهو ممدوح في نفسه وماوقع الذم به فهو مذموم في نفسه * وقدجاء عن رسول الله عليه السلام الدنيا جيفة قذرة مذرة وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا ذكر الله وماوالاه وعالم أو متعلم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جعل مايخرج من ابن آدم مثلا للدنيا فهذه الاحاديث تقتضي ذمها وتنفير العباد عنها وجاء عنه صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر فالدنيا التى لعنها رسول الله عليه السلام هي الدنيا الشاغلة عن الله تعالى ولذلك استثنى في الحديث فقال الا ذكر الله وماوالاه وعالم أو متعلم فبين عليه السلام ان هذا ليس من الدنيا وقوله عليه السلام لا تسبوا الدنيا أي التي توصلكم الي طاعة الله ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فنعمت مطية المؤمن فمدحها من حيث كونها مطية لا من حيث انها دار اغترار ووجود أوزار واذقدعلمت هذا فقد فهمت أن اسقاط التدبير ليس هو الخروج عن الاسباب حتى يعود الانسان ضيعة فيكون كلا على الناس فيجهل حكمة الله في اثبات الاسباب وارتباط الوسائط * وقدجاء عن عيسي عليه السلام انه مر بمتعبد فقال له من أين تأكل فقال أخي يطعمني فقال أخوك أعبد منك أى أخوك وان كان في سوقه أعبد منك لانه هو الذي اعانك على الطاعة وفرغك لها وكيف يمكن ان ينكر الدخول في الاسباب بعد أن جاء قوله تعالى وأحل الله البيع وحرم الربا وقوله وأشهدوا اذا تبايعتم وقوله عليه السلام أحل ما أكل المرء من كسب يمينه وان داود نبي الله كان يا كل من كسب يمينه وقوله عليه السلام أفضل الكسب عمل الصانع بيده اذا نصح وقال صلى الله عليه وسلم التاجر الامين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامة فكيف يمكن أحدا بعد هذا أن يذم الاسباب لكن المذموم منها ماشغلك عن الله وصدك عن معاملته ولو تركت هذه الاسباب وغفلت عن الله بالتجريد كنت مذموما أيضا وليست الآفات داخلة على المتسببين فحسب بل قد تدخل على المتجردين كما تدخل على المتسببين لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم بل قد يكون دخولها على المتجردين أشد اذ الآفات الداخلة على المتسببين دخول في الدنيا مع عدم الدعوى منهم ظاهرهم كباطنهم مع اعترافهم بالتقصير ومعرفتهم بفضل المتفرغين لطاعة الله عليهم وآفات المتجردين ربما كانت عجبا أوكبرا أو رياء أو تصنعا أو تزينا للخلق بطاعة الله استجلابا لما في أيديهم وقد تكون الآفات اعتيادا واستنادا الى الخلق وامارة ذلك ذمه للناس اذا لم يكرموه وعتبه عليهم اذا لم يخدموه فالمنغمس في الاسباب مع الغفلة أحسن حالا من هذا بكثير احسن الله لنا النيات وطهر نفوسنا من الآفات بفضله وكرمه

(فصل) لعلك تفهم من هذا الكلام أن المتجرد والمتسبب في رتبة واحدة وليس الامر كذلك ولن يجعل الله من تفرغ لعبادته وشغل أوقاته به كالداخل في الاسباب ولو كان فيها متقنا فالمتسبب والمتجرد اذا استوى مقامهما من حيث المعرفة بالله فالمتجرد أفضل وما هو فيه أعلى وأكمل ولذلك قال بعض العارفين مثل المتسبب والمتجرد كعبدين للملك قال لاحدهما اعمل وكل من كسب يدك وقال للآخر الزم أنت حضرتي وخدمتي وأنا أقوم لك بما تريد فهذا قدره عند السيد أجل وصنعه به ذلك على العناية به أدل ثم انه قلما تسلم من المخالفة أو تصفو لك الطاعات مع الدخول في الاسباب لاستلزامها لمعاشرة الاضداد ومخالطة أهل الغفلة والعناد وأشد مايعينك على الطاعات رؤية المطيعين وأشد مايدخل بك في الذنب رؤية المذنبين كما قال عليه السلام المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل قال الشاعر

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى

فان كان داشر فجازه بسرعة * وان كان ذاخير فقارنه تهتدي

والنفس من شأنها التشبه والمحاكاة والتزين بصفات من قارنها والمضاهاة فصحبتك للغافلين معونة لها على وجود الغفلة اذ الغفلة ملائمة لها من أصل الوضع فكيف اذا نضم الى ذلك سبب مخالطة الغافلين وقد تجد من نفسك أيها الاخ وفقك الله انه لا يستوى حالة خروجك من منزلك وعودك اليه وانت في حين خروجك تغلب عليك الانوار وشرح الصدر والعزم على الطاعة والزهد في الدنيا فتجدك اذا رجعت لست كذلك ولا فيها هنالك وماذاك الا لدنس المخالطة وانغماس القلوب في ظلمة الاسباب ولو كانت الاسباب والمعاصي اذا ذهبت ذهب أثرها لم تعوق القلوب عن المسير الى الله تعالي بعد انفصالها ووجود زوالها وانما ذلك كالنار فربما انقضي الايقاد وبقي السواد ويحتاج المتسبب الي شيئين علم وتقوي فالعلم يعلم به الحلال والحرام والتقوي تصده عن ارتكاب الآثام فاما حاجته الي العلم فانه يحتاج الى الاحكام المتعلقة بالمعاملة بيعا وسلما وصرفا وما يتعلق بذلك مع مايحتاج اليه من أحكام الواجبات والفروض المعينات ﴿ تنبيه واعلام ﴾ أمور ينبغي للمتسببين ان يلتزموها ﴿ الاول ﴾ ربط العزم مع الله تعالى قبل الخروج من المنزل على العفو عن المسيئين اليه اذ الاسواق محل المخاصمة والمقاولة ولذلك قال رسول الله عليه السلام أيعجز أحدكم أن يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم اني تصدقت بعرضي على المسلمين ﴿ الثاني ﴾ ينبغي له ان يتوضأ ويصلي قبل خروجه ويسأل الله السلامة في مخرجه ذلك فانه لا يدرى ماذا يقضي عليه فان الخارج الى السوق كالخارج الى المصاف فينبغي للمؤمن أن يلبس من الاعتصام بالله تعالى والتوكل عليه دروعا صائنة تقيه سهام الاعداء ومن يعتصم بالله فقد هدي الي صراط مستقيم ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴿ الثالث ﴾ ينبغي له اذا خرج من منزله ان يستودع الله أهله ومسكنه وما فيه فانه حرى أن يحفظ ذلك عليه وليذكر قوله تعالى فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين وليذكر قوله عليه السلام اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل والولد والمال فانه اذا استودعهم الله حرى أن يرجع فيجدهم كما يحب ويحبون * سافر بعضهم وكانت زوجته حاملا فحين سافر قال اللهم اني استودعك ما في بطنها فتوفيت زوجته في غيبته فلما قدم من سفره سال عنها فقيل له توفيت وهي حامل فلما كان الليل رأي نورا في المقابر فتبعه فاذا هو في قبرها واذا بالصبي يرضع من ثديها فهتف به هاتف يا هذا انك استودعتنا الولد فوجدته أما لو استودعتنهما لوجدتهما جميعا ﴿ الرابع ﴾ يستحب له اذا خرج من منزله أن يقول بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله فان ذلك كان مؤيسا للشيطان منه ﴿ الخامس ﴾ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وليجعل ذلك شكرا لنعمة القوة والتقوى اللذين وهبهما المولي له وليذكر قوله تعالى الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور فمن أمكنه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بحيث لا يصل اليه أذى في نفسه أو عرضه أو ماله فهو ممن مكن في الارض والوجوب متعلق به وان كان لا يصل الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا بالاذى قبل ذلك أو يغلب على ظنه وقوع ذلك بعده سقط عنه الوجوب والانكار حينئذ جائز ﴿ السادس ﴾ أن يكون مشيه بالسكينة والوقار لقوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وليس ذلك خاصا بالمشي بل المطلوب منك أن تكون أفعالك كلها تقارنها السكينة ويلازمها التثبت ﴿ السابع ﴾ ان يذكر الله تعالي في سوقه فانه قد جاء عنه عليه السلام ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين ذاكر الله

يحفظ بعدد الله في كل نفس فقلت وما ثيابي فقيل لي ان الله كساك حلة المعرفة ثم حلة التوحيد ثم حلة المحبة ثم حلة الايمان ثم حلة الاسلام فمن عرف الله صغر لديه كل شيء ومن أحب الله هان عليه كل شيء (٢٩) ومن وحد الله لم يشرك به شيئا ومن آمن بالله أمن من كل شيء ومن أسلم لله قل ما يعصيه وان عصاه اعتذر اليه وان اعتذر اليه قبل عذره قال ففهمت من ذلك قوله تعالي وثيابك فطهر يامن عاش وما عاش تخرج من الدنيا وما ذقت ألذ شيء فيها وهي مناجاة الحق سبحانه ومخاطبته لك فانت ملقى جيفة بالليل فان دفعت عنه فاستغث بالله وقل ياملائكة الله ويارسول ربي فاتتني الغنيمة التي نالوها من لذة المناجاة ووداد المصافاة اذا كان العبد معجبا بطاعته متكبرا على خلقه ممتلئا عظمة يطلب من الخلق أن يوفوا حقوقه ولا يوفي حقوقهم فهذا يخشي عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله واذا كان فعل معصية تراه باكيا حزينا منكسرا ذليلا يتطارح على أرجل الصالحين ويزورهم معترفا بالتقصير فهذا يرجى له حسن الخاتمة اذا طلبت قارئا وجدت مالا يحصي واذا طلبت طبيبا وجدت كثيرا واذا طلبت فقيها وجدت مثل ذلك وان طلبت من يدلك على الله ويعرفك بعيوب نفسك لم تجد الا قليلا فان ظفرت به فامسكه بكلتا يديك ان اردت أن تنتصر فكن كانك ذلة قال الله تعالي ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ان أردت أن تعطى فكن

فى السوق كالحى بين الموتى وكان بعض السلف يركب بغلته ويأتى الى السوق فيذكر الله ثم يرجع لا يخرجه الا ذلك «الثامن» أن لا يشغله ما هو فيه من المبايعة والمعاش عن النهوض الى الصلاة فى أوقاتها جماعة لانه اذا ضيعها اشتغالا بسببه استوجب المقت من ربه ورفع البركة من كسبه ويستحى ان يراه الحق مشغولا بحظوظ نفسه عن حقوق ربه وقد كان بعض السلف يكون فى صنعته فربما رفع المطرقة فسمع المؤذن فرماها من خلفه لئلا يكون ذلك شغلا بعد ان دعى الى طاعة ربه وليذكر اذا سمع المؤذن قوله تعالى ياقومنا أجيبوا داعى الله وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم وقوله تعالى استجيبوا لربكم وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ يكون فى بيته يخصف النعل ويعين الخادم فاذا نودي للصلاة قام كأنه لا يعرفنا «التاسع» ترك الحلف والاطراء لسلعته وقد جاء فى ذلك الوعيد الشديد وقد قال عليه السلام التجار هم الفجار الا من بر وصدق «العاشر» كف لسانه عن الغيبة والنميمة وليذكر قوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وليعلم ان السامع للغيبة أحد المغتابين فان اغتيب أحد بحضرته فلينكر عليه فان لم يسمع منه فليقم ولا يمنعه الحياء من الخلق من القيام بحق الملك الحق فالله أولى أن يستحى منه وأن يرضي الله ورسوله أحق من أن يرضي الناس والله ورسوله أحق أن يرضوه وقد جاء عنه عليه السلام ان الغيبة أشد من ستة وثلاثين زنية فى الاسلام وقال الشيخ أبو الحسن رحمه الله اربعة آداب اذا خلا الفقير المتسبب منها فلا تعبأن به وان كان أعلم البرية مجانبة الظلمة وايثار أهل الآخرة ومواساة ذوى الفاقة وملازمة الخمس الصلوات فى الجماعة وصدق رضي الله عنه فان بمجانبة الظلمة تقع السلامة فى الدين لان صحبة الظلمة تكشف نور الايمان ومجانبتهم أيضا تكون سببا للنجاة من عقوبة الله تعالى لقوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وقوله وايثار أهل الآخرة ان يكون الفقير والمتسبب الغالب عليه التردد الى أولياء الله والاقتباس منهم ليتقوى بذلك على كدرة الاسباب فتنفح عليه نفحاتهم وتظهر عليه بركاتهم وربما وصلت اليه فى سببه أمدادهم وحفظه من المعصية ودهم واعتقادهم وقوله رضي الله عنه ومواساة ذوى الفاقة وذلك لانه يجب على العبد أن يشكر نعمة الله عنده فاذا فتح لك فى الاسباب فاذكر من أغلقت عليه أبوابها واعلم ان الله سبحانه وتعالى اختبر الاغنياء بوجدان أهل الفاقة كما اختبر أهل الفاقة بوجود الاغنياء وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا ووجود أهل الفاقة من نعمة الله على ذوى الغنى اذ وجدوا من يحمل عنهم أزوادهم الى الدار الآخرة واذ وجدوا من اذا أخذ منهم أخذ الله منهم والله هو الغنى الحميد فلو لم يخلق الفقير فكيف كان تقبل منهم صدقاتهم وأين كانوا يجدون من يأخذها منهم ولذلك قال عليه السلام من تصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله تعالى الا الطيبا كان كأنما يضعها فى كف الرحمن يربيها له كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى ان اللقمة لتعود مثل جبل احد ولذلك كان من اشراط الساعة أن لا يجد الرجل من يقبل صدقته وقوله وملازمته الخمس فى جماعة وذلك ان الفقير المتسبب لما فاته التخلى والتجرد لعبادة الله تعالى فيدخل مدخل الخصوص بدوام الخدمة وملازمة الموافقة فينبغى ان لا تفوته ملازمة الخمس فى الجماعة ليكون ملازمته لها سببا لتجديد الانوار وموجبا لوجود الاستبصار وقد قال عليه السلام تفضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ بخمس وعشرين درجة وفى الحديث الآخر بسبع وعشرين جزأ ولو شرع للعباد أن يصلي كل انسان فى حانوته وداره لتعطلت المساجد التي قال فيها الحق سبحانه وتعالى فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال

كلك فقرا انما الصدقات للفقراء والمساكين تكون فى وسط النهر وأنت عطشان تكون معه فى الحضرة وأنت تطلب الاتصال كان العباد لم يتواصلوا للآخرة الا بكثرة المأكل والمشرب أوقيل لهم هذه توصلكم الى الآخرة ولكن ما أرخص نفسك عليك لولا هو انها عليك ما عرضتها لعذاب الله تعالى وما أغلاها فى طلب الدنيا وجمعها والعجب كل العجب فيمن يسأل المنجم عن حاله ولا يسأل كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ضعفت عن العبادة فرفع عبادتك بالبكاء والتضرع اذا قيل لك من يبكى عليه فقل عبد عوفى فانفق عافيته فى معصية الله اذا نمت على تخليط رأيت التخليط فى منامك بل ينبغى لك أن تنام على طهارة وتوبة فيفاح قلبك بنوره ولكن من كان فى نهاره لاغيا كان فى ليله عن الله ساهيا اذا رأيت وليا لله تعالى فلا يمنعك إجلاله من أن تقعد بين يديه متأدبا وتتبرك به واعلم ان السماء والارض لتتأدب مع الولى كما يتأدب معه بنو آدم فمن فرح بالدنيا اذا جاءته فلقد ثبت حمقه وأحمق منه من اذا فاتته حزن عليها فمثالك كمن جاءته حية لتلدغه ثم مضت وسلمه الله منها فحزن عليها ان لم تضره من علامات الغفلة وصغر العقل هو ان تعول هما هل يقع أولا وتترك رجال ان تعول هما لا تدرى وقوعه وتصبح وتقول كيف يكون السعر غدا وكيف يكون الحال فى هذه السنة وألطاف الله تأتى من حيث لا تعلم

رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولان في ملازمة الصلاة جماعة اجتماع القلوب و تناصرها والتئامها ورؤية المؤمنين واجتماعهم وقد قال ﷺ يد الله مع الجماعه ولان الجماعة اذا اجتمعت انبسطت بركات قلوبهم على من حضرهم وامتدت أنوارهم لمن شهدهم وكان اجتماعهم وتضامهم كالجيش اذا اجتمع وتضام كان ذلك سببا في وجود نصرته وهو أحد التأويلين في قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص * (استلحاق) * وعليك أيها المؤمن بغض طرفك من حين خروجك الى سبيلك الى حين ترجع ولتذكر قول الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم وليعلم أن بصره نعمة من الله عليه فلا يكن لنعم الله كفورا وأمانة من الله عنده فلا يكن لها خائنا وليذكر قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وقوله تعالى ألم يعلم بان الله يري واذا أردت أن ترى فاعلم أنه يري وليعلم أنه اذا غض بصره فتح الله بصيرته جزاء وفاقا من ضيق على نفسه في دائرة الشهادة وسع الله عليه في دائرة الغيب وقال بعضهم ما غض أحد بصره عن محارم الله الا وجد نورا في قلبه يجد حلاوة ذلك * (انعطاف) * اعلم أن التدبير مع الله عز وجل عند أولي البصائر انما هو مخاصمة للربوبية وذلك لانه اذا نزل بك أمر تريد رفعه أو رفع عنك أمر تريد وضعه أو تهممت بامر أنت عالم أنه متكفل بذلك وقائم به اليك كان ذلك منازعة للربوبية وخروجا عن حقيقة العبودية واذكر ههنا قوله سبحانه وتعالى أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ففي هذه الآية توبيخ للانسان لما غفل عن أصل نشأته وخاصم منشئه وغفل عن سر بدايته ونازع مبدأه وكيف يصلح لمن خلق من نطفة أن ينازع الله في احكامه وان يضادده في نقضه وابرامه فاحذر رحمك الله التدبير مع الله * واعلم أن التدبير من أشد حجب القلوب عن مطالعة الغيوب وانما التدبير للنفس ينبع من وجود المواددة لها ولو غبت عنها فناء وكنت بالله بقاء لغيبك ذلك عن التدبير لنفسك أو بنفسك وما أقبح عبدا جاهلا بافعال الله غافلا عن حسن نظر الله ألم تسمع قوله تعالى قل كفى بالله فاين الاكتفاء بالله لعبد مدبر مع الله ولو اكتفى بتدبير الله له لا قتطعه ذلك عن التدبير مع الله * (تنبيه واعلام) * اعلم أن التدبير أكثر طريانه على العباد المتوجهين وأهل السلوك من المريدين قبل الرسوخ في اليقين ووجود القوة والتمكين وذلك لان أهل الغفلة والاساءة قد أجابوا الشيطان في الكبائر والمخالفات واتباع الشهوات فليس للشيطان حاجة ان يدعوهم الى التدبير ولو دعاهم اليه لاجابوه بسرعة فليس هو أقوي أسبابه فيهم انما يدخل بذلك على أهل الطاعة والمتوجهين لعجزه عن أن يدخل من غير ذلك عليهم فرب صاحب ورد عطله عن ورده أو عن الحضور مع الله تعالى فيه هم التدبير والفكرة في مصالح نفسه ورب ذي ورد استضعفه الشيطان فالقي اليه دسائس التدبير ليكدر عليه صفاء وقته لانه حاسد والحاسد أشد ما يكون لك حسدا اذا صفت لك الاوقات وحسنت منك الحالات ثم ان وساوس التدبير ترد على كل أحد من حيث حاله فمن كان تدبيره في تحصيل كفاية يومه أو غده فعلاجه أن يعلم أن الله تعالى قد تكفل له برزقه لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وسيأتي بسط القول في أمر الرزق بعد هذا في باب منفرد ان شاء الله تعالى ومن كان تدبيره في دفع ضرر العدو الذي لا طاقة له به فيعلم أن الذي يخافه ناصيته بيد الحق تعالى وأنه لا يصنع الا ما صنعه الحق فيه وليذكر قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقوله تعالى أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه وقوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم واصغ بسمع

والشك في الرزق شك في الرازق وما سرق السارق وما غصب الغاصب الا الارزاق فما دمت حيا لا ينقص من رزقك شيا كفى بك جهلا ان تعول الهم الصغير وتترك الهم الكبير على هم هل تموت مسلما أو كافرا على هم هل انت شقي (٢١) او سعيد على هم النار الموصوفة بالابدية التي لا انتهاء لها على هم أخذ الكتاب باليمين او بالشمال هذا هو الهم الذى يقال لا تعل هم لقمة تاكلها أو شربة تشربها أيستخدمك الملك ولا يطعمك أتكون في دار الضيافة وتضيع أن أحب ما يطاع الله به الثقة به لان تكون خاملا في الدنيا خير لك من ان تكون خاملا يوم القيامة هذه صفاوة العمر وغربلته يامن لا ياكل الحنطة الا مغربلة لابد لك ان يغربل عملك فلا يبقى لك الا ما أخلصت فيه وما عدا ذلك يرمى وا كثر ما يخاف عليك بمخالطة الناس ولا يكفك أن تسمع باذنك بل تشاركهم في الغيبة وهي تنقض الوضوء وتفطر الصائم كفى بك جهلا ان تغار على زوجتك ولا تغار على ايمانك كفى بك خيانة ان تغار عليها لاجل نفسك ولا تغار على قلبك لاجل ربك اذا كنت تحفظ ما هو لك ألا تحفظ ما هو لربك اذا رأيت من يصبح مهموما لاجل الرزق فاعلم انه بعيد من الله فانه لو قال لك مخلوق لا تشتغل غدا بسببٍ وأنا أعطيك خمسة دراهم وثقت به وهو مخلوق فقير فما تكتفي بالغني الكريم الذي ضمن لك رزقك مع أجلك أنشد لسان:

قلبك الى قوله تعالى فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني واعلم أن الحق تعالى أولى من استجير به فاجار لقوله تعالى وهو يجير ولا يجار عليه وأولى من استحفظ حفظ لقوله تعالى فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين وان كان التدبير من اجل ديون حلت لا وفاء لها ولا صبر لاربابها فاعلم أن الذي يسر عليك بلطفه من أعطاكه هو الذي ييسر بلطفه الوفاء عنك هل جزاء الاحسان الا الاحسان وأف لعبد يسكن لما في يده ولا يسكن لما في يد الحق تعالى له وان كان التدبير من أجل عائلة تركتهم وراء ظهرك لاشيء تقوم بهم فاعلم أن الذي يقوم بهم بعد مماتك هو الذي يقوم بهم في حضورك وغيبتك في حياتك واسمع ما قال رسول الله عليه السلام اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل فالذي ترجوه أمامك هو الذي ترجى لما وراءك واسمع قول بعضهم ان الذي وجهت وجهي له هو الذي خلفت في أهلي لم يخف عنه حالهم ساعة وفضله أوسع من فضلي وان الله ارحم بهم منك فلا تهتم بمن هو في كفالة غيرك وان كان تدبيرك واهتمامك من أجل مرض نزل بك تخاف أن تتطاول ساعاته وتمتد أوقاته فاعلم أن البلايا والاسقام أعمار فكما لا يموت حيوان الا عند انقضاء عمره كذلك لا تنقضي بلية حتى ينقضي ميقاتها واذكر قوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون *وكان ولد لبعض المشايخ فتوفي أبوه وبقي الولد بعده فامتسكت عليه امداد الوقت وكان لابيه أصحاب قد تفرقوا بالعراق فتفكر أي أصحاب أبيه يقصد ثم أجمع عزمه على أن يقصد أوجههم عند الناس فلما قدم عليه أكرمه وأجل محله ثم قال ياسيدي وابن سيدي ما الذي جاء بك قال وقفت على أسباب الدنيا فاريد أن تتحدث لي عند أمير البلدة لعل أن يجعلني على جهة من جهاته فيكون فيها تمشية حالي فاطرق الشيخ مليا ثم رفع نفسه اليه وقال ليس في قدرتي أن أجعل أول الليل سحرا أين أنا منك اذا وليت حكم العراقين فخرج ولد ذلك الشيخ من عنده متغيظا ولم يفهم ما قال له الرجل الصالح فاتفق أن طلب الخليفة من يعلم ولده فدل عليه وقيل له ولد فلان فاحضر لتعليم ولد الخليفة فمكث يعلم ولد الخليفة مدة التعلم ويجالسه بعد ذلك حتى تكملت أربعين عاما فتوفي الخليفة واستخلف والده الذي كان هذا معلماله فولاه حكم العراقين وان كانت الفكرة لاجل زوجة أو امة فقدتها كانت توافقك في أحوالك وتقوم بمهمات أشغالك فاعلم ان الذي يسرها لك لم ينفد فضله واحسانه لم ينقطع وهو قدير على أن يهبك من منته ما يزيد حسنا ومعرفة على ما فقدت فلا تكن من الجاهلين ووجوه التدبير لا تتعدد عاجلاتها فاستقصاء وجوهها وعاجلاتها لاسبيل اليه لانتشارها وعدم انحصارها ومتى أعطاك الله الفهم عرفك كيف تصنع * (تنبيه واعلام) *اعلم أن التدبير انما يكون من النفس لوجود الحجاب فيها ولو سلم القلب من مجاورتها وصين من عادتها لم تطرقه طوارق التدبير *وسمعت شيخنا أبا العباس المرسي رضي الله عنه يقول ان الله سبحانه وتعالى لما خلق الارض على الماء اضطربت فارساها بالجبال فقال والجبال أرساها كذلك لما خلق النفس اضطربت فارساها بجبال العقل انتهى كلام الشيخ أبي العباس رضي الله عنه فاي عبد توفر عقله واتسع نوره تنزلت عليه السكينة من ربه فسكنت في نفسه عن الاضطراب ووثقت بولي الاسباب فكانت مطمئنة أي خامدة ساكنة لاحكام الله ثابتة لاقداره ممدودة بتأييده وأنواره خارجة عن التدبير والمنازعة للمقادير مسلمة لمولاها لعلمها بانه يراها أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد فاستحقت أن يقال لها ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وفي هذه الآية خصائص عظيمة ومناقب لهذه النفس المطمئنة جسيمة منها أن النفوس ثلاثة أمارة ولوامة مطمئنة فلم يواجه الحق سبحانه وتعالى واحدة من الانفس الثلاث الا المطمئنة فقال في الامارة ان النفس

اذا العشرون من شعبان ولت * فواصل شرب ليلك بالنهار ولا تشرب باقداح صغار * فقد ضاق الزمان عن الصغار ومعناه عنده اذا مضت العشرون من شعبان فقد قرب (٣٢) رمضان يقطع علينا الشراب ومعناه عند أهل الطريق اذا خلفت أربعين سنة وراء ظهرك فواصل العمل الصالح بالليل والنهار لان الوقت قد قرب الى لقاء الله عز وجل فليس عملك كعمل من كان شابا ولم يضيع شبابه ونشاطه وأنت قد ضيعت شبابك ونشاطك هب أنك تريد الجد ولكن لاتساعدك القوى فاعمل على قدر حالك ورقع الباقي بالذكر فانه لاشيء أسهل منه يمكنك في حال القيام والقعود والمرض والاضطجاع فهذا أسهل العبادات وهي التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وليكن لسانك رطبا بذكر الله وأي دعاء أو ذكر سهل عليك فواظب عليه فان مدده من الله عز وجل فما ذكرته الا بره وما أعرضت عنه الا بسطوته وقهره فاعمل واجتهد فالغفلة في العمل خير من الغفلة عنه تري حالك حال الزاهدين في الفضل لان الطالب لا ينقطع عن الابواب بل تجده واقفا عليها فمثاله كالثكلى التي مات ولدها أتراها تحضر الاعراس والافراح والولائم بل هي مشغولة بفقد ولدها وكم يرسل لك المولي الصنائع وأنت عبد شرود فمثالك كالطفل في المهد كلما حرك تام ولو أرسل لك الملك خلعة لامارة ما أصبحت الاعلى بابه فاغتنم أوقات الصلوات واصطبر عليها ان طلبت ان تعصيه فاطلب مكانا لا يراك فيه أحد واطلب قوة من غير

تعصيه بها ولن تستطيع شيا من ذلك لان الكل من نعمه تاخذ نعمه وتعصيه بها بل تفننت فى المخالفات مرة بالغيبة ومرة بالنميمة ومرة
بالنظر وما بنيته فى سبعين سنة تهدمه فى نفس واحد ياهادم الطاعات ماسلط الله عليك الفاقة الا لترفع حالتك اليه ولتنجمع

لامارة بالسوء وفى اللوامة ولا أقسم بالنفس اللوامة وأقبل على هذه بالخطاب فقال ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى ﴿الثاني﴾ تكنيته اياها والتكنية فى لغة العرب تجليل فى الخطاب وفخر عند أولى الالباب ﴿الثالث﴾ مدحه اياها بالطمأنينة ثناء منه عليها بالاستسلام اليه والتوكل عليه ﴿الرابع﴾ وصفه هذه النفس بالطمأنينة والمطمئن هو المنخفض من الارض فلما انخفضت بتواضعها وانكسارها أثنى عليها مولاها اظهار الفخرها لقوله ﷺ من تواضع لله رفعه الله ﴿الخامس﴾ قوله تعالى ارجعى الى ربك راضية مرضية فيه اشارة الى أنه لا يؤذن للنفس الامارة واللوامة بالرجوع الى الله تعالى رجوع الكرامة بل انما ذلك للنفس المطمئنة لاجل ماهى عليه من الطمأنينة قيل لها ارجعى الى ربك راضية مرضية فقد أبحناك الدخول الى حضرتنا والخلود فى جنتنا فكان فى ذلك تحريض للعبد على مقام الطمأنينة ولا يصل اليه أحد الا بالاستسلام الى الله تعالى وعدم التدبير معه (السادس) قوله ارجعى الى ربك ولم يقل الى الرب ولا الى الله فيه اشارة الى ان رجوعها اليه من حيث لطف ربوبيته لا الى قهر الاهيته فكان ذلك تأنيسا لها وملاطفة وتكريما ومواددة (السابع) قوله تعالى راضية أى عن الله فى الدنيا باحكامه وفى الآخرة بجوده وانعامه فكان فى ذلك تنبيه للعبد انه لا يحصل له الرجعى الى الله الا مع الطمأنينة بالله والرضا عن الله والا فلا وفى ذلك اشارة الى أنه لا يحصل ان يكون مرضيا عند الله فى الآخرة حتى يكون راضيا عنه فى الدنيا * فان قلت هذه الآية تقتضي أن يكون الرضا من الله نتيجة الرضا من العبد والآية الأخرى تدل على ان الرضا من العبد نتيجة الرضا من الله عنه * فاعلم ان لكل آية ما أثبتت فلا خفاء فى الجمع بين الآيتين وذلك ان قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه يدل من وجود ترتيبه على أن الرضا من العبد نتيجة الرضا من الله والحقيقة تقتضي بذلك لانه لو لم يرض عنهم أولا لم يرضوا عنه آخرا والآية الاخري تدل على أن من رضى عن الله فى الدنيا كان مرضيا عنده فى الآخرة وذلك بين لا اشكال فيه ﴿الثامن﴾ قوله تعالى مرضية وذلك مدحة عظمى لهذه النفس المطمئنة وهى أجل المدح والنعوت ألم تسمع قوله تعالى ورضوان من الله أكبر بعد أن وصف نعيم أهل الجنه أي رضوان من الله عنهم فيها أكبر من النعيم الذي هم فيه (التاسع) قوله تعالى فادخلى فى عبادى فيه بشارة عظمى للنفس المطمئنة اذ نوديت ودعيت الى ان تدخل فى عباده وأى عباد هؤلاء هم عباد التخصيص والنصر لا عباد الملك والقهر هم العباد الذين قال الله فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وقال تعالى الا عبادك منهم المخلصين لا العباد الآخرون الذين قال فيهم ان كل من فى السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا فكان فرح هذه النفس المطمئنة بقوله فادخلى فى عبادي اشد من فرحها بقوله تعالى وادخلى جنتى لان الاضافة الاولى اليه تعالى والاضافة الثانية الى جنته (العاشر) قوله تعالي وادخلى جنتي فيه اشارة الي ان هذه الاوصاف التي اتصفت بها النفس المطمئنة هى التي أهلتها الى أن تدعى أن تدخل فى عبادي والى أن تدخل فى جنته جنة الطاعة فى الدنيا والجنة المعلومة فى الآخرة والله أعلم (فائدة) قد تضمنت الآية صفتين كل واحدة منهما تدل على هدم قواعد التدبير وذلك انه سبحانه وتعالي وصف هذه النفس التى خصصها بهذه الخصائص التى ذكرناها باوصاف منها الطمأنينة والرضا وهما لا يكونان الا مع اسقاط التدبير اذ لا تكون مطمئنة حتى تترك التدبير مع الله تعالى ثقة منها بحسن تدبيره لها اذا رضيت عن الله استسلمت له وانقادت لحكمه وأذعنت لامره فاطمأنت لربوبيته وقرت بالاعتماد على الاهيته فلا اضطراب اذ ما أعطاها من نور العقل يثبتها فلا حركة لها خامدة لاحكامه مفوضة له فى نقضه وابرامه (فائدة)

عليه فيا من يغرق نفسه فى الشهوات والمعاصي ليتك أعطيتها ذلك فى المباحات فمن عاملته بالدنيا وعاملك بالمنن كيف لا تحبه من عاملك بالكرم وعاملته باللؤم كيف لا تحبه ما أحد يصحبك فينفعك وكل من يصحبك انما يصحبك لنفسه وانما تحبك الزوجة لتجتنى منك مطايب العيش والملابس وكذلك الولد يقول أشد بك ظهري فاذا كبرت ولم تبق فيك قوة ولا بقية رفضوك لو انقطعت عن الخلق لفتح لك باب الانس به تعالى لان الاولياء قهروا أنفسهم بالخلوة والعزلة فسمعوا من الله وأنسوا به فان أردت ان تستخرج مرآة قلبك من الاكدار فارفض مارفضوا وهو الانس بالخلق وانس جرى لفلان واتفق لفلان ولا تقعد على ابواب الحارات فمن استعد استمد فاذا هيألك الاستعداد فتح لك باب الاسعداد ومن أحسن قرع الباب فتح له قرب طالب أساء قرع الباب

(٥ - تنوير) فرد لسوء ادبه ولم يفتح له وا كثرما أوتي العباد من قلة الصمت فلو تقربت الى الله لسمعت مخاطبته على الدوام فى سوقك وبيتك ولكن من استيقظ شهد ومن نام لم تسمع اذناقلبه ولم تشهد بصيرته ولكن الحجاب مرخي ولو ان العباد فطنوا لم يقبلوا الا على الله

ولم يجلسوا الا بين يديه ولم يستفتوا غيره لقوله ﷺ استفت قلبك وان افتوك لان الخواطر الالهية تاتي من الله تعالى فهي موافقة وربما أخطأ المفتي والقلب (٣٤) لايخطىء وهذا مخصوص بالقلوب الطاهرة وانما يستفتى عالم ولا علم لمن غفل عن الله تعالى (كانوا رضي الله عنهم) لايدخلون في شيء بنفوسهم ولكن من الله وبالله وان المسافة بعدت بين الاولياء والصحابة فجعلت الكرامات جبرا لما فاتهم من قرب المتابعة التامة فان من الناس من يقول ان الاولياء لهم الكرامات والصحابة لم يكن لهم ذلك بل كانت لهم الكرامات العظيمة بصحبتهم له صلى الله عليه وسلم وأي كرامة أعظم منها واعلم أن كل صلاة لاتنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر لاتسمى صلاة لقوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وأنت تخرج من الصلاة ومن مناجاة الحق سبحانه وتعالى في قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين ومناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم بقولك السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وهذا في كل صلاة ثم تخرج الي الذنوب بعد هذه النعم التي أنعم الله بها عليك (عن الشيخ أبي الحسن) الشاذلي رضى الله تعالى عنه انه كان يحضر عنده فقهاء الاسكندرية والقاضي فجاؤا مرة مختبرين للشيخ ورفعها .. فتفرس فيهم وقال يافقهاء هل صليتم قط فقالوا ياشيخ وهل يترك أحدنا الصلاة فقال لهم قال الله تعالى ان الانسان خلق

اعلم ان سر خلق التدبير والاختيار ظهور قهر القهار وذلك انه سبحانه وتعالى أراد أن يتعرف الى العباد بقهره فخلق فيهم تدبيرا واختيارا ثم فسح لهم بالحجة حتى أمكنهم ذلك اذ لوكانوا في وجود المواجهة والمعاينة لم يمكنهم التدبير والاختيار كما لايمكن الملأ الاعلى ذلك فلما دبر العباد واختاروا توجه بقهره الى تدبيرهم واختيارهم فزلزل أركانهم وهدم بنيانهم فلما تعرف للعباد بقهر مراده علموا انه القاهر فوق عباده فما خلق الارادة فيك لتكون لك الارادة ولكن لتدحض ارادته ارادتك فتعلم انه ليس لك ارادة كذلك لم يجعل التدبير فيك ليكون لك دائما فيك وانما جعله فيك لتدبر ويدبر فيكون مايدبر لاماتدبر ولذلك قيل لبعضهم بماذا عرفت الله قال بنقض العزائم

(فصل) كنا قدوعدنا بان نفرد للتدبير في شأن الرزق بابا وذلك ان أكثر دخول التدبير على القلوب من جهته فاعلم ان سلامة القلوب من التدبير في شأن الرزق منة عظمى لايسلم منها الا الموفقون الذين صدقوا الله في حسن الثقة فاطمأنت قلوبهم اليه وتحققوا بالتوكل عليه حتى لقد قال بعض المشايخ أحكموا لي أمر الرزق ولا عليكم من سائر المقامات وقال بعض المشايخ أشد الهموم هموم الاقتضاء * وتبيين ماقال هذا الشيخ ان الله تعالى خلق هذا الآدمي محتاجا الى مدد يمسك بنيته وبمدقوته لما كانت الحرارة الغريزية التي هي فيه تحلل أجزاء بدنه كان هذا الغذاء تطبخه المعدة فتاخذ خلاصته فتعود جزء بدنه خلفا لما حللته الحرارة الغريزية منه ولوشاء الحق تعالى لاغنى وجود الآدمي عن المدد الحسي وتناول الاغذية ولكن أراد سبحانه وتعالى أن يظهر حاجة الحيوان الى وجود التغذية واضطراره الى ذلك وغناه سبحانه وتعالى عما هو الحيوان محتاج اليه فلذلك قال سبحانه وتعالى قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم فتمدح سبحانه وتعالى بوصفين أحدهما أنه يطعم غيره لان كل العباد آخذ من احسانه وآكل من رزقه وامتنانه والآخر انه لايطعم لانه المقدس عن الاحتياج الى التغذية بل هو الصمد والصمد هو الذي لايطعم وانما خص الحق تعالى الحيوان بالافتقار الى التغذية دون غيره من الموجودات لانه سبحانه وتعالى وهب الحيوان من صفاته مالو تركه من غير فاقة لادعى أو داعى فيه فاراد الحق سبحانه وتعالى وهو الحكيم الخبير أن أن يحوجه الى مأكل ومشرب وملبس وغير ذلك ليكون تكرار الحاجة منه سببا لخمود الدعوى عنه أو فيه (فائدة) اعلم ان الحق تعالى أراد أن يجعل الحاجة لهذا النوع وهو الحيوان من الآدمي وغيره اما ليعرفه او ليعرف به الاترى ان الحاجة باب الي الله وسبب يوصلك اليه ألم تسمع قوله تعالى ياأيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد فجعل الفقر الى الله سببا يؤدي الى الوصول اليه والدوام بين يديه ولعلك أن تفهم ههنا قوله ﷺ من عرف نفسه عرف ربه أي من عرف نفسه بحاجتها وافتقارها وذلتها وفاقتها ومسكنتها عرف به بعزه وسلطانه وجوده واحسانه الى غير ذلك من أوصاف الكمال لاسيما هذا النوع من الآدمي فان الحق سبحانه وتعالى كرر فيه أسباب الحاجة وعدد فيه أنواع الفاقة لانه محتاج الى صلاح معاشه ومعاده وافهم ههنا قوله تعالي لقد خلقنا الانسان في كبد أي من أمر دنياه وأخراه فلكرامته عند الله كرر أسباب الحاجة فيه ألم تر ان لاصناف الحيوان غنية باصوافها وأوبارها وأشعارها عن لباس دثارها وغنية بمرابضها وأوكارها عن أن تتخذ بيتا لقرارها (فائدة أخرى) وهو ان الحق تعالى أراد أن يختبر هذا الآدمي فاحوجه لامور شتى لينظر أن يدخل في استجلابها بعقله وتدبيره أو يرجع الى الله في قسمته وتقديره * (فائدة أخرى) * وهو انه سبحانه وتعالى أراد أن يتحبب الى هذا العبد فلما أورد عليه أسباب الفاقة

ورفعها عنه وجد العبد لذلك حلاوة فى نفسه وراحة فى قلبه فاوجب له ذلك تجديدا لحب لربه قال صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه فكلما تجددت النعم تجدد له من الحب بحسبها (فائدة أخري) وهو انه سبحانه وتعالي أراد أن يشكر فلذلك أورد الفاقة على العباد وتولى رفعها ليقوموا له بوجود شكره وليعرفوه باحسانه وبره قال الله تعالي كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور (فائدة أخري) وذلك أنه تعالي أراد ان يفتح للعباد باب المناجاة فكلما احتاجوا الى الاقوات والنعم توجهوا اليه برفع الهمم فشرفوا بمناجاته ومنحوا من هباته ولو لم تسقهم الفاقة الى المناجاة لم يفقهها عقول العموم من العباد ولولا الحاجة لم يستفتح بابها الا عقول أهل الوداد فصار ورود الفاقة سببا للمناجاة والمناجاة شرف عظيم ومنصب من الكرامة جسيم ألا تري ان الحق سبحانه وتعالى أخبر عن موسي عليه السلام بقوله سبحانه وتعالى فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال على رضي الله عنه والله ما طاب الا خبزا يأكله ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله فانظر رحمك الله كيف سأل من ربه ذلك لعلمه انه لا يملك شيئا غيره وكذلك ينبغى للمؤمن أن يكون كذلك يسأل الله تعالى ما قل وجل حتى قال بعضهم انى لأسأل الله فى صلاتي حتى ملح عجينى ولا يصدنك أيها المؤمن عن طلب ما تحتاج اليه من الله قلة ذلك فانه ان لم تساله فى القليل لم تجد ربا يعطيك ذلك غيره والمطلب وان كان قليلا فقد صار افتتحه باب المناجاة جليلا حتى قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله لا يكن همك فى دعائك الظفر بقضاء حاجتك فتكون محجوبا عن ربك وليكن همك مناجاة مولاك وفى هذه الآية فوائد (الفائدة الاولى) وهو أن يكون المؤمن طالبا من ربه ما قل وجل وقد ذكرناه آنفا (الفائدة الثانية) انه صلى الله عليه وسلم نادي متعلقا باسم الربوبية لانه المناسب فى هذا المكان لان الرب من رباك باحسانه وغذاك بامتنانه فكان فى ذلك استعطاف لسيده اذ ناداه باسم الربوبية التي ما قطع عنه عوائدها ولا حبس فوائدها (الفائدة الثالثة) قوله انى لما أنزلت الى من خير فقير ولم يقل انى الى الخير فقير وفى ذلك من الفائدة انه لو قال انى الى خيرك أو الى الخير فقير لم يتضمن انه قد أنزل رزقه ولم يهمل أمره فاتى بقوله انى لما أنزلت الى من خير فقير ليدل على انه واثق بالله عالم بانه لا ينساه فكانه يقول رب انى أعلم انك لا تهمل أمرى ولا أمر شيء مما خلقت وانك قد أنزلت رزقي فسق لى ما أنزلت لى كيف تشاء على ما تشاء محفوفا باحسانك مقرونا بامتنانك فكان فى ذلك فائدتان فائدة الطلب وفائدة الاعتراف بان الحق سبحانه وتعالى قد أنزل رزقه ولكنه أبهم وقته وسببه وواسطته ليقع اضطرار العبد ومع الاضطرار تكون الاجابة لقوله تعالى أمن يجب المضطر اذا دعاه ولو تعين السبب والوقت والوسائط لم يقع للعباد الاضطرار الذى وجوده عند ابهامها فسبحان الاله الحكيم والقادر العليم (الفائدة الرابعة) تدل الآية على ان الطلب من الله تعالى لا يناقض مقام العبودية لان موسي عليه السلام له الكمال فى مقام العبودية وبعد ذلك طلب من الله فدل على أن مقام العبودية لا يناقضه الطلب فان قلت ان كان مقام العبودية لا يناقضه الطلب فكيف لم يطلب ابراهيم خليل الله ﷺ حين رمى به فى المنجنيق وتعرض له جبريل عليه السلام فقال ألك حاجة قال أما فيك فلا وأما الى الله فبلى قال سله قال حسبي من سؤالى علمه بحالى فاكتفى بعلم الله تعالى به عن اظهار الطلب منه * فالجواب ان الانبياء صلوات الله عليهم يعاملون فى كل موطن بما يفهمون عن الله انه اللائق به فقهم ابراهيم عليه السلام ان المراد به فى ذلك الموطن عدم اظهار الطلب والاكتفاء بالعلم فكان بما فهمه عن ربه وكان هذا لان الحق سبحانه أراد ان يظهر سره وعنايته به للملأ الاعلى الذين

هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين فبل أنتم كذلك اذ مسكم الشر لا تجزعوا واذا مسكم الخير لا تمنعوا قال فسكتوا جميعا فقال لهم الشيخ ما صليتم هذه الصلاة قط ان تفضل عليك بالتوبة (٣٥) فمن فضله سبحانه وتعالى تبت اليه وانك تذنب سبعين سنة فتتوب اليه فى نفس واحد فيمحو ما عملته فى تلك المدة التائب من الذنب كمن لا ذنب له فالمؤمن كلما ذكر ذنبه حزن وكلما ذكر طاعته فرح قال لقمان الحكيم المؤمن له قلبان يرجو باحدهما ويخاف بالآخر يرجو قبول عمله ويخاف أن لا يقبل منه لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا من أراد الجمع على الله فعليه بقيام أوامر الله اذا اطلعت على زوجتك بخيانة فانك تغضب عليها فكذلك نفسك قد خانتك فى عمرك وأجمع العقلاء على ان الزوجة اذا خانت لا يأويها زوجها بل يطلقها فطلق نفسك سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال عليه الصلاة والسلام تقوى الله وحسن الخلق فقيل له فما أكثر ما يدخل الناس النار فقال عليه الصلاة والسلام الاجوفان الفم والفرج فاغسل قلبك بالندم على ما فاتك من الله عز وجل غلطوا والله فى النوائح على زوجة أو زوج أو والد أو ولد بل كان من حقهم ان يقيموا النوائح على فقدانهم تقوى الله من قلوبهم تقهقه بالضحك كانك جاوزت الصراط وعبرت النيران اذا لم يكن بينك وبين الله ورع يحجزك عن المعاصي اذا خلوت والا فضع التراب

على رأسك لقوله صلى الله عليه وسلم من لم يكن له ورع يحجزه عن معاصي الله اذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله لاشيء يخجلك يوم
القيامة مثل درهم انفقته فى حرام ليس (٣٦) الشأن فيمن يرفق بك اذا وافقته بل الشان فيمن يرفق بك اذا خالفته ومما
يخاف عليك موالاة الذنوب ليستدرجك فيها ويمكنك منها قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لايعلمون ان كانت معك عناية ينفعك القليل وان لم تكن لك عناية لم ينفعك الكثير لو كشف عنك الحجاب لرأيت كل شيء ناطقا مسبحا لله تعالى ولكن النقص فيك والحجاب منك ما أكثر احتراسك على بدنك وما أرخص دينك عليك لو قيل لك أن هذا الطعام مسموم لامتنعت منه ثم لوحلف لك بالطلاق انه ليس بمسموم لتوقفت عنه بل لوغسلت الوعاء الذي هو فيه مرارا لنفرت منه نفسك فلم لاتكون كذلك فى دينك وكم لله عليك من أياد أكثر من أمك انها اذا أخذتك وأنت صغير تلبسك أحسن الملابس فان وسختها تخلع عليك ثيابا أخر فى الوقت وأنت تأتي الى مملكة مزينة ليس فيها موضع شبر الا ويصلح للسجود عليه تتلف ثوبك وتوسخه بالمعصية تجلى عليك المحاسن فتجعل
فيها مايكدرها من المعصية ليس كل من صحب الاكابر اهتدى بصحبتهم فلا تجعل صحبة المشايخ علة فى أمنك ذلك
فمن اغتر بالله فقد عصاه لانك أمنت عقوبته كما يقول الجهل صحبت سيدي فلانا ورأيت سيدى فلانا ويدعون دعاوى كلها كاذبة

لما قال لهم اني جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم مالا تعلمون فاراد الحق تعالى ان يظهر سر قوله اني أعلم مالا تعلمون يوم زج بابراهيم عليه السلام فى المنجنيق كأنه يقول يامن قال أتجعل فيها من يفسد فيها كيف رأيتم خليلي نظرتم الي مايكون فى الارض من صنع أهل الفساد كنمرود ومن ضاهاه من أهل الفساد وما نظرتم الى مايكون فيها من أهل الصلاح والرشاد كما كان ابراهيم عليه السلام ومن تابعه من أهل الوداد وأما موسى صلوات الله عليه فانه علم ان مراد الحق تعالى منه فى ذلك الوقت اظهار الفاقة وابداء لسان المسئلة فقام بما يقتضيه وقته ولكل وجهة هو موليها فكل على بينة وهداية وتوفيق من الله ورعاية (الفائدة الخامسة) انظر الي طلب موسى عليه السلام من ربه وجود الرزق ولم يواجهه بالطلب بل اعترف بين يدى الله بوصف الفقر والفاقة وشهد له سبحانه وتعالى بالغنى لانه اذا عرف نفسه بالفقر والفاقة عرف ربه بالغنى والملاءة وهذا من بسط المناجاة وهى كثيرة فتارة يجلسك على بساط الفاقة فتناديه ياغني وتارة على بساط الذلة فتناديه ياعزيز وتارة على بساط العجز فتناديه ياقوي وكذلك فى بقية الاسماء فاعترف موسى عليه السلام بالفقر والفاقة الى الله تعالى فكان فى ذلك تعريض للطلب وان لم يطلب وقد يكون التعريض للطلب بذكر أوصاف العبد من فقره الي الله تعالي وحاجته وقد يكون التعريض بذكر أوصاف السيد من جوده وأحديته كما جاء فى الحديث أفضل دعائي ودعاء الانبياء من قبلي لا اله الا الله وحده لاشريك له فجعل الثناء على الله تعالى دعاء لان فى الثناء على السيد الغنى بذكر أوصاف كماله تعرضا لفضله ونواله كما قال الشاعر

كريم لايغيره صباح * عن الخلق الكريم ولا مساء
اذا اثنى عليه المرء يوما * كفاه من تعرضه الثناء

وقال الله تعالى حاكيا عن يونس عليه السلام فنادي فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ثم قال سبحانه وتعالى مخبراً عن نفسه فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ويونس عليه السلام لم يطلب صريحا ولكن لما أثنى على ربه عز وجل واعترف بين يديه فقد أظهر الفاقة اليه فجعل الحق تعالى ذلك طلبا (الفائدة السادسة) وكان من حقها أن تكون أولى أن موسي عليه السلام فعل المعروف مع ابنتى شعيب عليه السلام ولم يقصد منهما أجراً ولا طلب منهما جزاء بل لما سقى لهما أقبل على ربه فطلب منه ولم يطلب منهما وانما طلب من مولاه الذي مهما طلب منه أعطاه والصوفى من يوفى من نفسه ولا يستوفى لها ولنا فى هذا المعنى شعر

لا تشتغل بالعتب يوما للورى * فيضيع وقتك والزمان قصير
وعلام تعتبهم وأنت مصدق * ان الامور جري بها المقدور
هم لم يوفوا للاله بحقه * أتريد توفية وأنت حقير
فاشهد حقوقهم عليك وقم بها * واستوف منك لهم وأنت صبور
واذا فعلت ٧ فاشهد بمين من * هو بالخفايا عالم وخبير

فموسي عليه السلام وفى من نفسه ولم يستوف لها فكان له عند الله الجزاء الاكمل وعجل له سبحانه فى الدنيا زائداً على ما ادخره له فى الآخرة ان زوجه احدي الابنتين وجعله صهراً لنبيه عليه السلام وآنسه به حتى جاء أوان رسالته فلا تجعل معاملتك الا مع الله تعالي أيها العبد تكن من الرابحين ويكرمك بما أكرم به العباد المتقين (الفائدة السابعة) انظر الى قوله سبحانه وتعالى فسقى لهما ثم تولى الى الظل ففى

باطلة بل كان ينبغي لهم أن يزيدهم صحبة المشايخ خوفاً ووجلا فقد صحبت المشايخ رسول الله ﷺ وكانوا أكثر وجلا ومخافة وربما كان الغنى دفعاً والفقر جمعا لان الفاقة تحوجك أن تتضرع الى الله والفاقة تجمعك على الله خير من غنى يقطعك

ذلك دليل على أنه يجوز للمؤمنين أن يؤثروا الظلال على الضواحي وبارد الماء على سخنه وأسهل الطريقين على أشقهما وأوعرها ولا يخرجه ذلك عن مقام الزهد الاترى أن الحق سبحانه وتعالى أخبر عن موسى عليه السلام أنه تولى الى الظل أى قصده وجاء اليه * فان قلت قد جاء عن بعضهم انه دخل عليه فوجد أنه قد انبسطت الشمس على قلته التي يشرب منها فقيل له فى ذلك فقال انى لما وضعتها لم يكن شمس واني لاستحى أن أمشي بحظ نفسي * فاعلم رحمك الله أن هذا حال عبد يتطلب الصدق من نفسه ويمنعها مناها ليشغلها بذلك عن الغفلة عن مولاها ولو اكتمل مقامه لرفع الماء عن الشمس قاصدا بذلك قيامه بحق نفسه التى أمر الله تعالى أن يقوم بها الا استجلابا لحظه ولكن ليقوم بحق ربه فى نفسه وقد قال سبحانه وتعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا ولذلك كان عند الفقهاء اذا نذر المشي الى مكة شرفها الله حافيا جاز له أن ينتعل ولا يلزمه الحفاء لانه ليس للشرع فى متاعب العباد قصد خاص ولم تأت الشرائع بمنع الملاذ للعباد وكيف وهى مخلوقة من أجلهم * قال الربيع بن زياد الحارثي لعلى رضي الله عنه أسعدني على أخى عاصم قال ماباله قال لبس العباء يريد النسك فقال على رضي الله عنه على به فاتي به مؤتزرا بعباءة مترديا باخرى شعث الرأس واللحية فعبس فى وجهه وقال ويحك أما استحييت من أهلك أما رحمت ولدك أترى أن الله تعالى أباح لك الطيبات وهو يكره أن تنال منها شيئا بل أنت أهون على الله أما سمعت من الله يقول فى كتابه والارض وضعها للانام الى قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أفترى من الله أباح هذا للعباد الا ليتبذلوه ويحمدوا الله عليه فيثيبهم وان ابتذالك نعم الله بالعمل خير منه بالمقال قال عاصم فما بالك فى خشونة مأكلك وخشونة ملبسك قال ويحك ان الله فرض على أئمة الحق أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس فقد تبين لك من على رضى الله عنه أن الحق تعالى لم يطالب العباد بعدم تناول الملذوذات وانما طالبهم بالشكر عليها اذا تناولوها فقال تعالى كلوا من رزق ربكم واشكروا له وقال يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا له وقال يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ولم يقل لاتأكلوا وانما قال كلوا واعملوا * فان قلت الطيبات فى هاتين الآيتين المراد بها الحلال اذ هو الطيب باعتبار نظر الشرع * فاعلم أنه يمكن أن يكون المراد بالطيبات الحلال لانه طيب باعتبار أنه لم يتعلق به اثم ولا مذمة ولا حجبة ويمكن أن يكون المراد بالطيبات الملذوذات من المطاعم ويكون سر اباحتها والامر باكلها ليجد متناولها لذاذتها فتنشط همته للشكر فيقوم بوجود الخدمة ويرعى حق الحرمة * قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله قال لى شيخى يابنى برد الماء فان العبد اذا شرب الماء السخن قال الحمد لله بكزازة واذا شرب الماء البارد فقال الحمد استجاب كل عضو فيه بالحمد لله ثم قال وأما الذي دخل عليه فوجد قد انبسطت الشمس على قلته فقيل له ألا ترفعها فقال حين وضعتها لم تكن شمس وأنا استحى أن أمشي لحظ نفسي فانه صاحب حال لا يقتدى به (انعطاف) قد مضي قولنا فى سر احوج الحيوان وهذا الآدمى خصيصا الى وجود تغذية ممدة له فالآن نتحدث فى تكفل الحق تعالى بهذه التغذية وقيامه بايصالها فاعلم أن الحق تعالى لما احوج الحيوان الى مدد ممد له وتغذية يكون بها حفظ وجوده وكان هذان الجنسان اللذان هما الانس والجان خلقا ليأمرهما بعبادته ويطالبهما بطاعته وموافقته فقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ماأريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فبين تعالى انه انما خلق هذين الجنسين لعبادته

عنه كما أمرت أن تعرض عن المعصية أمرت أن تعرض عمن عصي وتدعو له فى الغيبة والناس اليوم على العكس وما عسي أن ينفعك صومك وصلاتك وأنت تقع فى عرض اخيك المسلم قال ﷺ جددوا أيمانكم بقول لااله الا الله فدل ذلك على أنه يحصل له غبار المعصية ودنس المخالفة وما كل غش يطهره الماء بل رب غش لا يطهره الا النار كالذهب اذا كان فيه الغش فكذلك العصاة من هذه الامة لا يصلحون لدخول الجنة حتي تطهرهم النار لا تحسد الا عبدا قد التف فى ملابس التقوي هذا هو العيش وما أطيب عيش المحب مع الحبيب اذا لم يطلع عليه رقيب فان أحب أن يطلع عليه رقيب فما صدق فى حبه وكل من أراد ان يعلم أحد بحاله فقد خدع ولا تكن كارباب الدنيا الذين طلقتهم الدنيا بل كن من الذين طلقوها وفارقوها قبل افراقهم

فمثالك اذا آثرت الدنيا على الآخره كمن له زوجتان احداهما عجوز خائنة والاخرى شابة وفية فاذا آثرت العجوزة الخائنة على الشابة الوفية أفما تكون أحمق ربما قضي عليك بالذنب ليخرج منك الكبر والعجب يصلى الرجل الركعتين فيعتمد عليهما ويركن

اليهما ويعجب بهما فهذه حسنة أحاطت بها سيآت وآخر يفعل المعصية فتكسبه الذلة والانكسار ويديم المسكنة والافتقار فهذه سيئة
أحاطت بها حسنات كفى بك جهلا نظرك الى صغير اساءة غيرك وتعاميك عن كبير اساءتك لا تنتقد على الناس

بظاهر الشرع ولا تنكر عليهم فلو خوطبوا اليوم بما كانت عليه الصحابة والسلف الصالح لم يستطيعوا لان أولئك حجج الله على خلقه مثال الذنب عند أرباب البصائر كجيفة أدخلت الكلاب خراطيمها فيها أرأيت اذا غمس رجل فمه فى جيفة انما تعيب عليه فاذا كان الحق سبحانه قد جعل ميزانا للبيع والشراء فما تجعل ميزانا للحقائق المتنجس القدم لا يصلح للمحاضرة فكيف بمن تنجس فمه من خان هان قيمة اليد خمسمائة دينار قطعت فى ربع دينار اذا خانت ومن تجرأ على صغيرة وقع فى كبيرة اعرف كائن نفسك ولا تثق بها اذا قالت لك تزور فلانا فربما رحت الى نار تتأجج وترمى نفسك فيها عمدا هذا زمان اجتماع قل ماتجلس مجلسا الا وتعصي الله فيه فكثير من السلف آثروا الجلوس فى بيوتهم وتركوا صلاة الجماعة

فان طالبتك النفس بالخروج فاشغلها بالقعود فى الدار بشيء الرزق
من الطاعة فان الغيبة أشد من ثلاثين زنية فى الاسلام ولكن الكلاب لا ترقد على الحيطان بل على المزابل من أراد أن ينظر

أى ليأمرهم بها كما تقول لعبدك ما اشتريتك أيها العبد الا لتخدمني أى لآمرك بالخدمة فتقوم بها وقد يكون العبد مخالفا متأبيا ولم يكن شراؤك اياه لذلك وانما كان ليقوم بمهماتك ولقضاء حاجاتك وأهل الاعتزال يجعلون الآية على مظاهرها فيقولون الحق خلقهم للطاعة والكفر والمعصية من قبل أنفسهم وقد أبطلنا هذا المذهب قبل * وفى تبيين سر الخلق والايجاد اعلام للعباد وتنبيه لما ذا خلقوا كى لا يجهلوا مراد الله تعالى فيهم فيضلوا عن سبيل الهداية ويهملوا وجود الرعاية وقد جاء ان أربعة من الملائكة يتجاوبون كل يوم فيقول أحدهم ياليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر ويا ليتهم اذا خلقوا علموا لماذا خلقوا ويقول الآخر ويا ليتهم اذا علموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا ويقول الرابع ويا ليتهم اذا لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا فبين الحق تعالى أنه ما خلق العباد لانفسهم انما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه فانك لا تشتري عبدا ليخدم نفسه انما تشتريه ليكون لك خادما فهذه الآية حجة على كل عبد اشتغل بحظ نفسه عن حق ربه وبهواه عن طاعة مولاه ولذلك سمع ابراهيم بن أدهم رحمة الله عليه وهو كان سبب توبته لما خرج متصيدا هاتفا يهتف به من قربوس سرجه ياابراهيم ألهذا خلقت أم بهذا أمرت ثم سمع الثانية ياابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فالفقيه من فهم سر الايجاد فعمل له وهذا هو الفقه الحقيقي الذي من أعطيه فقد أعطى المنة العظمى وفيه قال مالك رحمه الله ليس الفقه بكثرة الرواية وانما الفقه نور يضعه الله فى القلب * وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول الفقيه من أنفقأ الحجاب عن عيني قلبه فمن فقه عن الله سر الايجاد بانه ما أوجده الا لطاعته وما خلقه الا لخدمته كان هذا الفقه منه سببا لزهده فى الدنيا واقباله على الاخرى واهماله لحظوظ نفسه واشتغاله بحقوق سيده مفكرا فى المعاد قائما بالاستعداد حتى قال بعضهم لو قيل لى غدا تموت لم أجد مستزادا وقال بعضهم وقد قالت له أمه يابنى مالك لا تأكل الخبز فقال بين مضغ الخبز واكل الفتيت قراءة خمسين آية فهؤلاء قوم أذهل عقولهم عن هذه الدار ترقب هول المطلع وأهوال يوم القيامة وملاقات جبار السموات والارض فنفيهم ذلك عن الاستيقاظ لملاذ هذه الدار والميل الى مسراتها حتى قال بعض العارفين دخلت على بعض المشايخ بالمغرب فى داره فقمت لاملأ ماء للوضوء فقام الشيخ ليملأ عنى فابيت فابى الا أن يملأ وأمسك طرف الحبل بيده وفى الدار عنده بجانب البئر شجرة زيتون قد خيمت على الدار فقلت ياسيدى لم لا تربط طرف هذا الحبل بهذه الشجرة فقال أوههنا شجرة ان لى فى هذه الدار ستين عاما ما أعرف ان فى هذه الدار شجرة * فافتح رحمك الله سمعك لهذه الحكاية وأمثالها تعلم ان لله عبادا أشغلهم به عن كل شيء ولم يشغلهم عنه شيء أذهل عقولهم عظمته وأدهش نفوسهم هيبته فاستغرق أسرارهم وده ومحبته جعلنا الله منهم ولا أخرجنا عنهم ومثل هذه الحكاية كان رجل بالصعيد من الاولياء بمسجد طلب منه أحد من يخدمه ان يأخذ جريدة من احدي نخلتين كانتا فى المسجد فاذن له فقال ياسيدى من أيهما آخذ من الصفراء أو من الحمراء فقال يابنى ان لي بهذا المسجد أربعين عاما لا أعرف الحمراء من الصفراء * ويحكى عن بعضهم انه كان يعبر عليه أولاده فى داره فيقول أولاد من هؤلاء أولاد من هؤلاء فيقال له أولادك فكان لا يعرفهم حتى يعرفهم لاشتغاله بالله تعالى وكان بعض المشايخ يقول فى أولاده اذا رآهم هؤلاء الايتام وان كان أبوهم حيا والاسترسال عن هذه اللامعة يخرجنا عن غرض الكتاب * (انعطاف) لما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون علم سبحانه وتعالى ان لهم بشريات تطالبهم بمقتضاها تشوش عليهم صدق التوجه الي العبودية فضمن لهم

الى امثلة القلوب فلينظر الى الديار فدار خربت وقد بقيت مبولة للبوالين وقلب كالدار العامرة وقلب كالدار الخراب لاتظهر شمسك حتي تعامل الله فتصدق كل يوم ولو بربع درهم حتى يكتبك الله فى ديوان المتصدقين واتل من القرآن كل يوم

الرزق كى لا يتفرغو الخدمته وكى لا يشتغلوا بطلبه عن عبادته فقال ما أريد منهم من رزق اي ما اريد منهم ان يرزقوا أنفسهم فقد كفيتهم ذلك بحسن كفايتى وبوجود ضمانى وما أريد أن يطعمون لانى أنا القوى الصمد الذى لا يطعم ولذلك عقبه بقوله تعالى ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين أى ما أريد منهم ان يرزقوا أنفسهم لاني أنا الرزاق لهم وما أريد ان يطعمون لاني أنا ذو القوة ومن له القوة فى ذاته غنى عن ان يطعم أو يطعم فتضمنت هذه الآية الضمان للعباد بوجود أرزاقهم بقوله تعالي ان الله هو الرزاق والزم المؤمنين أن يوحدوه فى رزقه وان لا يضيفوا شيئاً منه الى خلقه وان لا يضيفوا ذلك الى أسبابهم وان لا يستندوه الى اكتسابهم * وقد قال الراوي أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثر سماء كانت من الليل فقال أتدرون ماذا قال ربكم قلنا لا يا رسول الله قال قال ربكم اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي فاما من قال مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا أو بنجم كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب ففى هذا الحديث فائدة عظمى للمؤمنين وبصيرة كبرى للموقنين وتعليم الادب مع رب العالمين ولعل هذا الحديث يكون أيها المؤمن ناهيا لك عن التعرض الى علم الكواكب واقترانا تها وما نعالك ان تدعى وجود تأثيراتها * واعلم ان الله تعالى فيك قضاء لا بد أن ينفذه وحكما لا بد أن يظهره فما فائدة التجسس على علم علام الغيوب وقد نهانا سبحانه أن نتجسس على عباده فقال ولا تجسسوا فكيف لنا أن نتجسس على غيبه ولقد أحسن من قال

خبرا عن المنجم اني * كافر بالذي قضته الكواكب
عالم أن مايكون وما كا * ن قضاء من المهيمن واجب

(فائدة) اعلم أن مجيء هذه الصيغة على بناء فعال يقتضي المبالغة فيما سيقت له فرزاق أبلغ من رازق لان فعال فى باب المبالغة أبلغ من فاعل فيمكن أن تكون هذه المبالغة لتعداد اعيان المرزوقين ويمكن أن تكون لتعداد الرزق ويحتمل أن يكون المراد هما جميعا (فائدة) أخرى ترجع الى علم البيان * اعلم ان الدلالة على المعنى المقصود به وجود الثناء بالصفة أبلغ من الدلالة عليه بالفعل فقولك زيد محسن أبلغ من قولك زيد يحسن أو قد أحسن وذلك لان الصفة تدل على الثبوت والاستقرار والافعال أصل وضعها التجدد والانقراض فلذلك كان قوله تعالى ان الله هو الرزاق أبلغ من قوله ان الله هو يرزق ولو قال ان الله هو يرزق لم يفد الا اثبات الرزق له ولم يفد حصر ذلك فيه فلما قال ان الله هو الرزاق أفاد ذلك انحصار الرزق فيه فكانه لما قال ان الله هو الرزاق فقد قال لا رزاق الا الله * الآية الثانية فى أمر الرزق قوله تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم تضمنت هذه الآية الكريمة فائدتين (الاولى) ان الخلق والرزق مقترنا ان أى كما سلمتم لله بانه الخالق من غير دعوى منكم للخالقية معه فكذلك سلموا له انه الرزاق ولا تدعوا ذلك معه أي كما انفرد فيكم بالخلق والايجاد كذلك هو المنفرد بالرزق والامداد فقرنهما للاحتجاج على العباد ونهيا لهم ان يشهدوا رزقه من غيره واحسانه من خلقه وانه تعالى كما خلق من حيث لا وسائط ولا أسباب كذلك هو الرزاق من غير ان يتوقف رزقه على واسطة أو وجود سبب (الفائدة الثانية) انه افاد تعالى بقوله الله الذي خلقكم ثم رزقكم ان الرزق قد امضى شأنه وأبرم أمره وليس للقضاء فيه أمر يتجدد فى الاحيان ولا يتعاقب بتعاقب الزمان وانما يتجدد ظهوره لا ثبوته والرزق يطلق على قسمين على ما سبق فى الازل فضاؤه على ماظهر بعد وجود العبد ابداؤه الآية تحتمل الوجهين فان كان المراد ما سبقت الاقدار

ولو آية حتى يكتبك الله فى ديوان التالين وصل فى الليل ولو ركعتين حتى يكتبك الله مع القائمين واياك تغلط وتقول من عنده قوت يو بيوم كيف يتصدق قال تعالى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله فمثال المسكين اذا تصدق عليه كالمطية تحمل زادك للآخرة من أراد النهايات فعليه بتصحيح البدايات من صدق مع الله كفاه الله مضرة الاعداء وحمل عنه مؤنة الارداء قد هان كل الهوان من احتاج الى الخلق أتظن ان الدواء حلو تا كله ان لم تهجم عليه هجما لم يحصل لك الشفاء فاهجم على التوبة ولا تغلبنك حلاوة المعصية واذا رأيت نفسك متطلعة الى الشهوة فاهرب الى الله واستغث به فانه ينجيك منها بدل ماتقول أين اصحاب الخطوة أين الاولياء أين الرجال قل أين البصيرة هل يصلح

المتلطخ بالعذرة أن يرى بنت السلطان عن الشيخ مكين الدين الاسمر رضي الله عنه أنه قال كنت بالاسكندرية فرأيت شمسا قد طلعت مع الشمس فتعجبت من ذلك فدنوت منه فاذا شاب قد خط عذاره قد غلب نوره على نور الشمس فسلمت عليه فرد على السلام

ثم لترتيب الاخبار وان كان المراد رزق لاظهار فهي تنبيه للاعتبار وسر الآية التي سيقت من أجله اثبات الالهية لله تعالى كأن يقول يامن يعبد غير الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم فهل تجدون هذه الاوصاف لغيره أم يمكن أن تكون لاحد من خلقه فمن انفرد بها ينبغى ان يعترف بالاهيته ويوحد فى ربوبيته ولذلك قال بعد ذلك هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون * الآية الثالثة فى أمر الرزق قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوي * وفى هذه الآية فوائد (الاولي) يجب أن تعلم أن النبي عليه السلام وان كان هو المخاطب بهذه الآية فحكمها ووعدها متعلق بامته أيضا فكل عبد مقول له وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوي واذقد فهمت هذا فاعلم ان الله أمرك أيها العبد ان تأمر أهلك بالصلاة لانه كما يجب عليك ان تصل ارحامهم باسباب الدنيا والابثار بها كذلك يجب عليك ان تصلهم ان تهديهم الى طاعة الله وتجنبهم وجود معصيته وكما كان اهلك اولي ببرك الدنيوى كذلك هم أولى ببرك الاخروي ولانهم رعيتك وقد قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته وقال تعالى فى الآية الاخري وانذر عشيرتك الاقربين كما قال ههنا وأمر أهلك بالصلاة (الفائدة الثانية) انظر الى انه تعالى امره عليه السلام فى الآية ان يأمر اهله قبل أن يأمره فى نفسه بالاصطبار عليها ليعلمك ان الآية سيقت للامر بامر الاهل بالصلاة وان غير هذا انما جاء بطريق التبع وان كان مقصودا فى نفسه لكنه لما علم العبد انه مامور فى نفسه بالصلاة علما لاشك فيه فاراد الحق تعالى ان ينبه العباد على ما الملهم انهم ملوه فامر رسوله بذلك ليسمعوا بذلك فيتبعوا يكونوا لذلك مسارعين على القيام به مثابرين (تنبيه) اعلم انه يجب عليك ان تأمر أهلك بالصلاة من زوجة أو أمة أو ابنة أو غير ذلك ولك ان تضربهم على تركها وليس لك عند الله من حجة ان تقول أمرت فلم يسمعوا فلو علموا انه شق عليك ترك الصلاة كما يشق عليك اذا افسدوا طعاما او تركوا اشيئا من أمر مهماتك ماتركوا بل اعتادوا منك ان تطالبهم بحظوظ نفسك ولا تطالبهم بحقوق الله تعالى فلاجل ذلك أهملوها ومن كان محافظا على الصلاة وعنده أهل لايصلون وهو غير آمر لهم بها حشر يوم القيامة فى زمرة المضيعين للصلاة فان قلت انى أمرتهم فلم يفعلوا او نصحتهم فلم يقبلوا وعاقبتهم على ذلك بالضرب فلم يكونوا له فاعلين فكيف أصنع فالجواب انه ينبغى لك مفارقة من يمكن مفارقته ببيع أو طلاق والاعراض عمن لا يمكن بينونته عنك بذلك وان تهجرهم فى الله فان الهجر فى الله يوجب الصلة به * (الفائدة الثالثة) * قوله تعالى واصطبر عليها فيه اشارة الى ان فى الصلاة تكليفا للنفوس شاقا عليها الا انها تاتى فى أوقات ملاذ العباد واشغالهم فتطالبهم بالخروج عن ذلك كله الى القيام بين يدى الله تعالى والفراغ عما سوي الله ألاترى ان صلاة الغداة تاتيهم فى وقت منامهم فى وقت ألذما يكون المنام فيه فطالب الحق منهم ترك حظوظهم لحقوقه ومرادهم لمراده ولذلك كان فى نداء الصبح خاصا به الصلاة خير من النوم مرتين وأما صلاة الظهر فانها تأتيهم فى وقت قيلولتهم ورجوعهم من تعب أسبابهم وأما صلاة العصر فانها تاتيهم وهم فى متاجرهم وصنائعهم منهمكون وعلى أسباب دنياهم مقبلون واما صلاة المغرب فانها تاتى فى وقت تناولهم لاغذيتهم وما يقيمون به وجود بنيتهم وأما صلاة العشاء فانها تأتي وقد كثرت عليهم متاعب الاسباب التي كانوا فيها فى بياض نهارهم فلذلك قال سبحانه واصطبر عليها وقال حافظوا على الصلوات والصلاة وقال ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقد قال واقيموا الصلاة

فقلت له من أين فقال صليت الصبح فى المسجد الاقصي ببيت المقدس وأصلي الظهر عندكم والعصر بمكة والمغرب بالمدينة فقلت لو تكون ضيفي قال لاسبيل الى ذلك ثم ودعني وانصرف من أكرم مؤمنا فكأنما أكرم الله ومن آذي مؤمنا فقد آذي سيده ومولاه فاياك أن تؤذي مؤمنا فان نفسك قد امتلأت بمساويها يكفيك حملك ما مثالك الا كالبصلة اذا قشرت خرجت كلها قشور اذا أردت تنظيف الماء قطعت عنه أسبابه الخبيثة فمثال الجوارح كالسواقى تجري الي القلب فاياك ان تسقى قلبك بالردي كالغيبة والنميمة والكلام السيء والنظر الى مالا يحل وغير ذلك فان القلب لا يحجبه ما خرج منه وانما يحجبه ماقام فيه فاستنارة القلب با كل الحلال والذكر وتلاوة القرآن وصونه عن النظر الي الكائنات المباحات والمكروهات والمحرمات فلا تطلق صالك بصرك الا لمزيد علم أو حكمة عوض ماتقول هذه المرآة صدئت قل عيني بها رمد يكون بك حب الرياسة والجاه وغيرها وتقول الشيخ ما يجذب قلوبنا قل العائق مني لو استعددت فى أول يوم لما احتجت الى حضور مجلس ثان وانما احتجت الي التكرار لقوة صداء قلبك حتى تكون لكل جلسة صقلة عليك بالحوالة على جاه مولاك واترك من لايستطيع أن ينفع غيره أقطع اياسك من الخلق ووجه رجاءك الي الملك الحق وانظر ماذا عمك وماذا عمل معك من أول نشأتك ماصنع معك الا جوداً واحساناً وانظر ما ذا صنعت ومما

ومما يدلك على ان في القيام بالصلاة تكاليف العبودية وان القيام بها على خلاف ماتقتضيه البشرية قول الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين فجعل الصبر والصلاة مقترنين اشارة الى انه محتاج في الصلاة الى الصبر صبر على ملازمة أوقاتها وصبر على القيام بواجباتها ومسنوناتها وصبر بمنع القلوب فيها من غفلاتها ولذلك قال الله تعالى بعد ذلك وانها لكبيرة الا على الخاشعين فافرد الصلاة بالذكر ولم يفرد الصبر به اذ لو كان كذلك لقال وانه لكبير فذلك يدل على ماقلناه أو لان الصبر والصلاة مقترنان متلازمان فكان أحدهما هو عين الآخر كما قال في الآية الاخرى والله ورسوله أحق أن يرضوه وقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وقال تعالى واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها فافهم والصلاة شأنها عظيم وأمرها عند الله جسيم ولذلك قال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل أي الاعمال أفضل قال الصلاة لوقتها وقال صلى الله عليه وسلم المصلي يناجي ربه وقال أقرب مايكون العبد من ربه في السجود ورأينا أن الصلاة اجتمع فيها من العبادات مالم يجتمع في غيرها منها الطهارة والصمت واستقبال القبلة واستفتاح بالتكبير والقراءة والقيام والركوع والسجود والتسبيح في الركوع والسجود والدعاء في السجود الي غير ذلك فهي مجموع عبادات عديدة لان الذكر بمجرده عبادة والقراءة بمجردها عبادة وكذلك التسبيح والدعاء والركوع والسجود والقيام فكل واحد منها بمجرده عبادة ولولا خشية الاطالة لبسطنا الكلام في أسرارها وشوارق انوارها وهذه اللمعة ههنا كافية والحمد لله (الفائدة الرابعة) قوله تعالى لانسألك رزقا نحن نرزقك أي لا نسألك ان ترزق نفسك ولا اهلك وكيف نأمرك بذلك ونكلفك ان ترزق نفسك وأنت لاتستطيع ذلك وكيف يحمد بنا أن نأمرك بالخدمة ولا نقوم لك بالقسمة فكانه سبحانه علم أن العباد بما يشوش عليهم طلب الرزق في دوام الطاعة وحجبهم ذلك عن التفرغ للموافقة فخاطب رسوله ﷺ ليسمعوا فقال وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك أي قم بخدمتنا ونحن نقوم لك بقسمتها وهما شيآن شيء ضمنه الله لك فلا تتهمه وشيء طلب منك فلا تهمله فمن اشتغل بما ضمن له عما طلب منه فقد عظم جهله واتسعت غفلته وقل ماينتبه لمن يوقظه بل حقيق على العبد أن يشتغل بما طلب منه عما ضمن له اذا كان سبحانه قد رزق أهل الجحود فكيف لا يرزق أهل الشهود واذا كان قد أجرى رزقه على أهل الكفران كيف لا يجرى رزقه على أهل الايمان فقد علمت أيها العبد ان الدنيا مضمونة لك مضمون لك منها مايقوم باودك والآخرة مطلوبة منك أي العمل لها بقوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى فكيف يثبت لك عقل أو بصيرة واهتمامك فيما ضمن لك اقتطعك عن اهتمامك بما طلب منك حتى قال بعضهم ان الله ضمن لنا الدنيا وطلب منا الآخرة فليته ضمن لنا الآخرة وطلب منا الدنيا وأتى قوله تعالى نحن نرزقك على هذه الصيغة ليدل ذلك على الاستقرار والدوام لان قولك أنا أكرمك ليس كقولك أنا أكرمتك لان قولك أنا أكرمك يدل على اكرام بعد اكرام وقولك أنا أكرمتك لا يدل الا على ان ثم اكراما كان وقوعه فيما مضي من غير ان يدل على التكرار والدوام فقوله تعالى نحن نرزقك أي رزقا بعد رزق لا نعطل عنك مننا ولا نقطع عنك نعمتنا وكما تفضلنا على العباد بالايجاد فكذلك أيضا قمنا لهم بدوام الامداد ثم قال تعالى والعاقبة للتقوى كأنه تعالى يقول نحن نعلم اذا تبتلت لخدمتنا وتوجهت لطاعتنا معرضا عن أسباب الدنيا تاركا للدخول فيها والاشتغال بها لا يكون رزقك فيها رزق المترفين ولا عيشك عيش المتوسعين ولكن اصطبر على ذلك فان العاقبة للتقوى كما قال تعالى في أول الآية الاخرى ولا

معه فلا ترى الا جفاء وعصيانا ما أكثر موالاتك للمخلوقين وما أقل موالاتك لله جوارحك غنمك وأنت الراعي والله هو المالك فان رعيتها في المرعى الخصيب حتى أرضيت المالك استوجبت الرضا وان رعيتها في المرعى الوخيم حتى أعجف أكثرها جاء الذئب فاخذ بعضها استوجبت العقوبة من المالك فان شاء انتقم منك وان شاء عفا عنك اما ثواب الى الجنة واما عقابك بالنار فان صرفتها فيما يرضاه كنت ساعيا في طريق الجنة والا كنت ساعيا في طريق النار فهذه موازين الحكمة فزن بها عقلك كما تزن بها الاشياء المحسوسات فان أردت أن تعرف كيف تمر على الصراط فانظر حالك في الاسراع الى المساجد فيكون جزاء الذي يأتي المسجد قبل الاذان ان يمر على الصراط كالبرق الخاطف والذي يأتي في أول الوقت يمر عليه كاجاويد الخيل وههنا صراط الاستقامة لا يشهد بالابصار ولكن تشهد القلوب قال الله تعالي وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولم يشر الا الى موجود فمن أضاءت له الطريق يتبعها ومن كانت طريقه مظلمة لم يشهدها فيبقى متحيرا فان كنت قد أطلقت سمعك وبصرك ولسانك برهة من عمرك

 فقيد الآن ما أطلقت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام وذلك لانهم سبقوا في الدنيا بالعبادات وأنت تترك الجماعة وتصلي وحدك واذا صليتها نقرتها نقر الديك وهل يهدي للملوك الا ماحسن

وانتخب فماسبق الفقراء الى الجنة الا لانهم سبقوا الى خدمة المولى فى الدنيا والمراد بالفقراء الصبر الذين صبروا على مرالفاقة حتى ان أحدهم ليفرح بالشدة كما تفرح أنت (٤٢) بالرخاء فدخول الفقراء الجنة يدل على تحضيضهم على الفاقة كفى بك جهلا ان تترددالى مخلوق وتترك باب الخالق فقد ارتكبت المعاصي من كل جانب أفلا تكون محزونا على نفسك والعجب كل العجب من عبد يقبل على صحبة نفسه ولايأتيه الشر الامنها ويترك صحبة الله ولايأتيه الخير الامنه فان قيل كيف الصحبة لله فاعلم ان صحبة كل شيء على حسبه فصحبة الله تعالي بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وصحبة الملكين أن يمليهما الحسنات وصحبة الكتاب والسنة أن يعمل بهما وصحبة السماء بالتفكر فيهما وصحبتك الارض بالاعتبار لما فيها وليس من لازم الصحبة وجود الرتبة فالمعنى فى صحبة الله صحبة أياديه ونعمه فمن صحب النعم بالشكر وصحب البلايا بالصبر وصحب الاوامر بالامتثال والنواهي بالانزجار والطاعة بالاخلاص فقد صحب الله تعالى فاذا تمكنت الصحبة كانت خلة اياك ان تقول ذهب الخير وانطوي بساطه فلسنا نريد من يقنط الناس من رحمة الله ويؤيسهم منه تعالى ففى زبور داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ارجم ماأكون بعبدى على اذا اعرض عنى فرب مطيع هلك بالعجب ورب مذنب غفرله بسبب كسر قلبه عن الشيخ مكين الدين الاسمر انه قال رأيت بالاسكندرية

بمدن عينيك الى مامتعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى فان قلت لماذا خص التقوى بالعاقبة وأهل التقوى لهم مع العاقبة العيشة الطيبة فى الدنيا لقوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة فاعلم أنه تعالى يخاطب العباد على حسب عقولهم فكأنه يقول أيها العباد ان نظرتم ان لاهل الغفلة والعدوان بداية فلاهل التقوى والايمان نهاية والعاقبة للتقوى يخاطب العباد على حسب ماتصل اليه عقولهم وتدركه افهامهم كما جاء الله أكبر وان كان غيره لم يشاركه فى الكبرياء لكن لما كانت النفوس قد تشهد كبرياء الآثار كما قال تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس فكأنه يقال لها ان كان ولا بد وشهدت لشيء كبرياء فالله عز وجل أكبر من كل كبير كما جاء الصلاة خير من النوم فلو قيل ليس فى النوم خير قالت النفوس قد أدركت لذاذته وراحته فسلم لها ما أدركت ثم قيل لها مادعوناك اليه خير مما هو خير عندك الصلاة خير من النوم لان ماملت اليه من المنام عرض يفنى ومادعوناك اليه معاملة يبقى جزاؤها مايفنى وماعند الله خير وأبقى (فائدة جليلة) اعلم ان الآية علمت أهل الفهم عن الله كيف يتطلبون رزقه فاذا توقفت عليهم أسباب المعيشة اكثروا من الخدمة والموافقة لان هذه الآية دلتهم على ذلك ألاترى انه قال تعالي وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك فجاء الوعد بالرزق بعد امرين أحدهما أمر الاهل بالصلاة والآخر اصطبار عليها ثم بعد ذلك قال نحن نرزقك ففهم أهل المعرفة بالله انه اذا توقفت عليهم أسباب المعيشة قرعوا باب الرزق بمعاملة الرزاق لا كأهل الغفلة والعمى اذا توقفت عليهم أسباب الدنيا ازدادوا كدحا عليها وتهافتا فيها بقلوب غافلة وعقول عن الله ذاهلة وكيف لايكون أهل الفهم عن الله تعالى كذلك وقد سمعوا الله تعالى يقول وأتوا البيوت من أبوابها فعلموا ان باب الرزق طاعة الرزاق فكيف يطلب منه رزقه بمعصيته أم كيف يستمطر فضله بمخالفته وقد قال عليه السلام انه لاينال ماعند الله بالسخط اى لايطلب رزقه الابالموافقة له وقال سبحانه وتعالى مبينا لذلك ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب وقال تعالي وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا الى غير ذلك من الآيات الدالة على ان التقوى مفتاح الرزقين رزق الدنيا ورزق الآخرة كما قال الله تعالي ولو ان أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيآتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم فبين سبحانه وتعالي انهم لو أقاموا التوراة والانجيل أى عملوا بما فيهما لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم أى لوسعنا عليهم أرزاقهم وأدمنا عليهم اتفاقنا لكنهم لم يفعلوا ما نحب فلاجل ذلك لم نفعل بهم مايحبون * (الآية الرابعة) * فى أمر الرزق قوله تعالى ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين فهذه الآية صرحت بضمان الحق الرزق وقطعت ورود الهواجس والخواطر على قلوب المؤمنين فان وردت على قلوبهم كرت عليها جيوش الايمان بالله والثقة به فهزمتها بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق فقوله تعالى ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها ضمان تكفل به لعباده تعريفا بوداده ولم يكن ذلك واجبا عليه بل أوجبه على نفسه ايجاب كرم وتفضل ثم انه عم الضمان فكأنه يقول أيها العبد ليست كفالتي ورزقي خاصا بك بل كل دابة فى الارض فانا كافلها وأرزاقها وموصل اليها قوتها فاعلم بذلك سعة كفالتي وغنى ربوبيتي وان الاشياء لاتخرج عن احاطتي وثق بي كفيلا واتخذني وكيلا فاذا رأيت تدبيري لاصناف الحيوانات ورعايتي لها وقيامي بحسن الكفالة بها وأنت أشرف هذا النوع فانت أولى بان تكون بكفالتي واثقا ولفضلي رامقا ألاترى كيف قال تعالى ولقد كرمنا بنى آدم

على سائر أجناس الحيوان أي اذ دعوناهم الي خدمتنا ووعدناهم دخول جنتنا وخطبناهم الى حضرتنا ومما يوضح لك كرامة الادمى على غيره من المكنونات ان المكنونات مخلوقات من أجله وهو مخلوق من أجل حضرة الله تعالى * سمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله تعالى يقول قال الله سبحانه يا ابن آدم خلقت الاشياء كلها من اجلك وخلقتك من أجلي فلا تشتغل بما هو لك عما انت له وقال سبحانه وتعالى والارض وضعها للانام وقال تعالى وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه وسمعت الشيخ رحمه الله يقول الاكوان كلها عبيد سخرها لك وأنت عبيد الحضرة وقال تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما فقد بين لك أن السموات والارض مخلوقة من أجلى ان تعلم أيها الآدمى فاذا علمت ان الاكوان مخلوقة من أجلك اما انتفاعا واما اعتبارا وهو تعم أيضا فينبغى لك ان تعلم ان الله تعالى اذا رزق من هو مخلوق من أجلك كيف لا يكون لك رازقا ألم تسمع كيف قال تعالى وفاكهة وأبا متاعا لكم ولا نعامكم وقوله تعالي ويعلم مستقرها ومستودعها تأكيدا لانه المتكفل بها أى لا يخفى عليه مكانها ولا ينبهم عليه شأنها بل يعلم مكانها فيوصل اليها ما قسم لها * (الآية الخامسة) * فى شأن الرزق قوله تعلى وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون وهذه الآية هى التى غسلت الشكوك من قلوب المؤمنين وأشرقت فى قلوبهم انوار اليقين فاوردت على قلوبهم الزوائد لما تضمنته من الفوائد وذلك انها تضمنت ذكر الرزق ومحله والقسم عليه والتشبيه له بامر لاخفاء به ولنتبع ذكر هذه الفوائد فائدة فائدة * (الفائدة الاولى) * اعلم أنه تعالي لما علم كثرة اضطراب النفوس فى شأن الرزق كرر ذكره لما تكررت ورود عوارضه على القلوب كما تكرر الحجة اذا علمت ان الشبهة متمكنة فى نفس خصمك كما كرر تعالى الاستدلال على المعاد فى آيات عديدة لما اضطربت فيه الملحدون واستبعدوا ان يعود الانسان بعد ان تمزقت أوصاله واضمحل بناؤه وصار ترابا أو أكلته السباع والهوام فاحتج عليهم فى كتابه العزيز حججا كثيرة منها قوله تعالى وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشأها اول مرة وبقوله فى الآية الاخرى وهو أهون عليه وبقوله تعالى أن الذي أحياها لمحى الموتي الي غير ذلك وكذلك لما علم الحق شدة اضطراب النفوس فى أمر الرزق أكد الحجة فى ذلك فى آيات عديدة منها ما تقدم ذكره ومنها ما لم يذكره فلما علم الحق تعالى ذلك من نفوس العباد وقال تارة ان الله هو الرزاق وقال أخرى الله الذي خلقكم ثم رزقكم وقال أخري نحن نرزقك وقال أخري أمن هذا الذي يرزقكم ان أمسك رزقه وقال ههنا وفى السماء رزقكم وما توعدون ليبين محل الرزق فتسكن اليه القلوب وليس الضمان مع ابهام المحل كالضمان مع تبيينه فكانه تعالى يقول لم يكن يجب علينا أن نبين لكم محل رزقكم لكم عندنا رزق نوصله لكم اذا جاء ابانه وليس علينا بيانه ولكن بلطفه ورحمته وفضله ومنته بين محل الرزق ليكون ذلك أبلغ فى ثقة النفوس به وأقوى فى دفع الشك فيه وفيه فائدة أخري وهو انه تضمن تبيين المحل رفع همم الخلق عن الخلق وأن لا يطلبوا الا من الملك الحق وذلك اذا وقع فى قلبك طمع فى مخلوق أو حوالة على سبب قال لك الحق تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون أى يا هذا المتطلع للرزق من المخلوق الضعيف العاجز فى الارض ليس رزقك عنده انما رزقك عندي وأنا الملك القادر ولاجل هذا انه لما سمع بعض الاعراب هذه الآية نحر ناقته وخرج فارا الى الله تعالي وهو يقول سبحان الله رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الارض فانظر رحمك الله كيف فهم عن الله مراده بهذه الآية أن يدفع هم عباده اليه وان يكون رغبتهم

عبد امع سيده وعليهما لواء قد أطبق ما بين السماء والارض فقلت ياترى هذا اللواء للسيد أم للعبد فتبعتهما حتى اشترى له سيده حاجة وفارقه فلما ذهب العبد ذهب اللواء معه فعلمت أنه ولى من أولياء الله تعالى (٤٣) فجئت الى سيده وقلت له أتبيعني هذا العبد فقال لماذا فازال بي حتي ذكرت له أمره فقال لى ياسيدي الذي تطلبه أنت أنا أولى به وأعتقه وكان وليا كبيرا فمنهم من يعرف الاولياء بالشم من غير وجود طيب ومنهم من يعرف بالذوق اذا رأى وليا ذاق طعم الحلاوة فى فمه واذا رأي صاحب قطيعة ذاق طعم المرارة فى فمه من لم يترك المحرمات لم ينفعه القيام بالواجبات من لم يحتم لم ينفعه الدواء ما أقل بركة مال وقعت فيه أيدى الناهبين فهذا والله عمر الغافلين منهوب مثال الدنيا كعجوز جذماء برصاء سترت بثوب حرير فالمؤمن نافر ومنفر عنها لانكشافها له وما لبس أحد لباسا أنتن من لباس الدعوي بان يقول فى المخاصمة أنت مثلى وأنت يصلح لك ان تكلمنى ومن أنت حتى أكلمك فاول من أهلك بذلك ابليس فاياك وهذا ولو كان أعرج أجزم أجرب فلا تحقره لحرمة لااله الا الله فى قلبه وحسن ظنك بكل أحد تفلح أتحسب أن حسن الخلق هو أن يكون الانسان حسن الملتقي ومن أكرم الناس وضيع حقوق الله ليس هذا بخلق حسن بل لا تكون ممدوحا بحسن الخلق حتى تكون قائما بحقوق الله تعالى وقائما باحكامه مستسلما لاوامر الله مجتنبا لنواهيه فمن

منع نفسه معاصي الله وأدي حقوق الله فقدحسن خلقه ماسلط الله عليك ألسنة العباد الا لترجع اليه لا تزال لك قيمة عندالله حتى تعصي فاذاعصيت فلاقيمة لك التقوي (٤٤) هي ترك معصية الله حيث كنت لا تراك أحد كان النبي ﷺ اذاشرب الماء قال الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحاً أجاجا بذنوبنا وهو صلى الله عليه وسلم مقدس عن الذنوب ولكن تواضعا منه وتعليما وكان يمكنه ان يقول بذنوبكم وما أكل صلى الله عليه وسلم ولا شرب الا ليعلمنا الادب والا فكان عليه الصلاة والسلام يطعم ويسقى فالعارف ينكس رأسه اذا شرب وربما تقطر عيناه بالدموع ويقول هذا تودد من الله تعالى كان بعضهم لا يخرج لصلاة الجماعة لما يعرض له فى طريقه منهم مالك بن انس رضي الله عنه لان الجماعة ربح والربح لا يحسب الا بعد الاحاطة على رأس المال ليس السباع فى البرية بل السباع فى الاسواق والطرق وهى التى تنهش القلوب نهشا مثال من يكثر الذنوب والاستغفار مثل من يكثر شرب السم ويكثر استعمال الترياق فيقال له قد لا تصل الى الترياق مرة ؟ فيهجم عليك الموت قبل الوصول اليه من مرض قلبه منع ان يلبس لباس التقوي فلوصح قلبك من مرض الهوي والشهوة تحملت اثقال التقوي فمن لم يجد حلاوة الطاعة دل على مرض قلبه من الشهوة وقدسمى الله تعالى الشهوة مرضا بقوله تعالى فيطمع الذي

فبالديه كما قال فى الآية الاخرى وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم لتجاش الهمم الي بابه ولتجنح القلوب الى جنابه فكن رحمك الله سماويا علويا ولا تكن سفليا أرضيا ولذلك قال بعضهم

اذا أعطشتك أكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا جسمه فى الثري * وهامة همته فى الثريا
فان اراقة ماء الحيا * ة دون اراقة ماء المحيا

وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول والله ما رأيت العز الا فى رفع الهمم عن الخلق واذكر أيها الاخ رحمك الله ههنا قوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فمن العزة التي أعزالله بها المؤمن رفع همته الى مولاه وثقته به دون ما سواه واستح من الله أن تكون بعد ان كساك حلة الايمان وزينك بزينة العرفان ان تستولي عليك الغفلة والنسيان حتى تميل الى الاكوان أو تطلب من غيره وجود احسان ولذلك قال بعضهم

أبعد نفوذي فى علوم الحقائق * وبعد انبساطي فى مواهب خالقى
وفى حين اشراقى على ملكوته * أري باسطا كفى الى غير رازقى

فان كلفتك النفس الغافلة عن مولاها بان ترفع حاجتك الي المخلوقين فارفعها الى من يرفع ذلك المخلوق حاجته اليه وهين على النفس ان تهين ايمانك لتحصيل هواها وان تذللت لتبلغ مناها كما قال بعضهم

تكلفت اذلالا لنفسي لعزها * وهان عليها ان أهان لتكرما
تقول سل المعروف يحيى بن أكثم * فقلت سلى ربا ليحى بن اكثما

وقبيح بالمؤمن أن ينزل حاجته بغير الله مع علمه بوحدانيته وانفراده بربوبيته ويسمع قوله تعالى أليس الله بكاف عبده وذلك من كل أحد قبيح ومن المؤمن أقبح وليذكر قوله تعالي يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ومن العقود التى عاقدته عليها أن لا ترفع حوائجك الا اليه ولا تتوكل الا عليه وذلك لازم اقرارك له بالربوبية يوم المقادير يوم الست بربكم قالوا بلى فكيف تعرفه وتوحده هنالك وتجهله هنا وقد تواتر عليك احسانه وغمرك فضله وامتنانه كما قال بعضهم

فى القلب لكم منزلة عليه * لا تسكنها سعدى ولا لبناء
فى الذر عرفتكم فهل يجمل بي * ان أنكركم ولحيتى شمطاء

ورفع الهمة عن الخلق هو ميزان الفقراء ومسبار الرجال وكما توزن الذوات كذلك توزن الاحوال والصفات وأقيموا الوزن بالقسط فيظهر الصادق بصدقه والمدعى بمذقه وما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وقد ابتلى الله بحكمته ووجود منته الفقراء الذين ليسوا بصادقين باظهار ما كمنوا من الرغبة وأسروا من الشهوة فابتذلوا أنفسهم لابناء الدنيا مباسطين لهم ملائمين لهم موافقين لهم على مآربهم مدفوعين على أبوابهم فتري الواحد منهم يتزين كما يتزين العروس مفتونون باصلاح ظواهرهم غافلون عن اصلاح سرائرهم ولقد وسمهم الحق سبحانه وتعالى بسمة كشف بها عوارهم وأظهر أخبارهم فبعد ان كان نسبته ان لو صدق مع الله أن يقال فيه عبد الكبير فاخرج عن هذه النسبة بعدم صدقه فصار يقال فيه شيخ الامير أولئك الكذابون على الله الصادون للعباد عن صحبة أولياء الله لان ما يشهده العموم منهم يحسبونه على كل منتسب الى الله صادق وغير صادق فهم حجب أهل التحقيق وسحب شموس اهل التوفيق ضربوا طبولهم ونشروا أعلامهم ولبسوا دروعهم فاذا وقعت الحملة ولو

على أعقابهم ناكسين ألسنتهم منطلقة بالدعوى وقلوبهم خالية من التقوى ألم يسمعوا قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم أترى اذا سأل الصادقين أيترك المدعين من غير سؤال ألم يسمعوا قول الله تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون فهم في أظهار زي الصادقين وعملهم عمل المعرضين كما قيل

أما الخيام فانها كخيامهم * وأرى نساء الحي غير نسائها
لا والذي حجت قريش بيته * مستقبلين الركن من بطحائها
ماأبصرت عيني خيام قبيلة * الا بكيت أحبتي بفنائها

فقد علمت رحمك الله ان رفع الهمة عن الخلق هو زينة أهل الطريق وسيمة أهل التحقيق ولنا في هذا المعنى

بكرت تلوم على زمان أجحفا * فصدفت عنها علما ان تصدفا
لا تكثري عتبا لدهرك انه * ماان يطالب بالوفاء ولا الصفا
ماضرني أن كنت فيه خاملا * فالبدر بدران بدا أوان خفا
الله يعلم انني ذو همة * تأبى الدنايا عفة وتظرفا
لم لا أصون عن الوري ديباجتي * وأريهم عز الملوك وأشرفا
أأريهم اني الفقير اليهم * وجميعهم لايستطيع تصرفا
أم كيف أسأل رزقه من خلقه * هذا لعمري ان فعلت هو الجفا
شكوى الضعيف الى ضعيف مثله * عجز أقام بحامليه على شفا
فاسترزق الله الذي احسانه * عم البرية منة وتلطفا
والجأ اليه تجده فيم ترتجي * لا تعد عن أبوابه متحرفا

﴿ الفائدة الثانية ﴾ يحتمل أن يكون قوله سبحانه وتعالى وفي السماء رزقكم ان يكون المراد اثبات رزقكم أي اثباته في اللوح المحفوظ فان كان المراد كذلك فهو تطمين للعباد واعلام لهم أن رزقكم أي الشيء الذي منه رزقكم كتبناه عندنا واثبتناه في كتابنا وقضيناه بآياتنا من قبل وجودكم وعيناه من قبل ظهوركم فلأي شيء تضطربون ومالكم الي لاتسكنون وبوعدي لاتثقون ويحتمل أن يكون المراد وفي السماء رزقكم أي الشيء الذي منه رزقكم وهو الماء كما قال تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه هو المطر فيكون قوله وفي السماء رزقكم اي الشيء الذي منه أصل رزقكم ولان الماء في نفسه رزق ﴿ الفائدة الثالثة ﴾ يمكن أن يكون مراد الحق سبحانه وتعالى بهذه الآية تعجيز العبادة عن دعوي القدرة على الاسباب لان الله تعالى لو أمسك الماء عن الارض لتعطل سبب كل ذي سبب من حارث وزارع وتاجر وخائط وكاتب وغير ذلك فكانه يقول ليست أسبابكم هي الرازقه لكم ولكن أنا الرازق لكم وبيدي تيسير أسبابكم لاني أنا المنزل لكم ما به كانت اسبابكم وتمت اكسابكم ﴿ الفائدة الرابعة ﴾ في اقتران الرزق بالامر الموعود فائدة جليلة وهو ذلك أن المؤمنين ليعلموا أن ماوعدهم الحق لا بد من كونه ولا قدرة لهم على تعجيله ولا تأجيله ولا حيلة لهم في جلبه فكانه سبحانه وتعالى يقول كما لا شك عندكم أن عندنا ما توعدون كذلك لا يكن عندكم شك في أن عندنا ما ترزقون وكما أنكم على استعجال ماوعدنا قبل وقته عاجزون كذلك انتم عاجزون

في قلبه مرض ولك في علاجه طريقان استعمال ماهو لك نافع وهو الطاعة واجتناب ماهو لك مضر وهو المعصية فان فعلت ذنبا أعقبته بالتوبة والندم والانكسار والانابة كان ذلك سبب وصلتك به وان فعلت طاعة فاعقبتها بالعجب والكبر كان ذلك سببا القطيعة عنه عجبا لك كيف تطلب صلاح قلبك وجوارحك تعمل ماشاءت من المحرمات كالنظر والغيبة والنميمة وغير ذلك فمثالك كمن يتداوى بالسم أو كمن أراد تنظيف ثوبه بالسواد فعليك بالخلوة والعزله فمن كانت العزله دأبه كان العزله فمن صدقت عزلته ظفر بمواهب الحق له بالمن وعلامتها كشف الغطاء واحياء القلب وتحقيق المحبة فعليك بحسن العمل لا بكثرته كثرة العمل مع عدم الحسن فيه كالثياب الكثيرة الوضيعة الثمن وقلة العمل مع حسنه كالثياب القليلة الرفيعة الثمن كالياقوتة صغير جرمها كثير ثمنها فمن أشغل قلبه بالله وعالجه مما يطرأ عليه من الهوى كان أفضل ممن يكثر من الصلاة والصوم مثال من صلى الصلاة بغير حضور قلب كان كمن أهدي للملك مائة صندوق فارغه فيستحق العقوبة من الملك يذكره عليها دائما ومن صلاها بحضور القلب كان كمن أهدي له ياقوتة تساوي ألف دينار فان الملك يذكره عليها دائما اذا دخلت في الصلاة فانك تناجي الله سبحانه وتعالى وتكلم رسوله صلى الله عليه وسلم لانك تقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ولا يقال أيها الرجل عند العرب الا لمن يكون حاضرا

عن ان تستعجلوا ارزاقاً أحلته ربوبيتنا وقتته الاهيتنا ﴿الفائدة الخامسة﴾ قوله سبحانه وتعالى فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون في ذلك حجة عظيمة على العباد ان يكون الوفى الوعد الذي لا يخلف الميعاد يقسم للعباد على ماضمن لهم لعلمه بما النفوس منطوية عليه من الشك والاضطراب ووجود الارتياب فلذلك قالت الملائكة حين سمعت هذه الآية هلك بنو آدم أغضبوا ربهم الجليل حتى أقسم وقال بعضهم حين سمع هذه الآية سبحان الله من الجأ الكريم الى القسم ومن علمت ثقته بك لم تحتج الى القسم معه واذا علمت اضطرابه في وعدك أقسمت له فهذه الآية سرت اقواما وأخجلت آخرين أما الذين سرتهم فهم الذين في المقام الاول اذ يزيد بها ايمانهم ويرسخ بها ايقانهم فينتصروا بها على وساوس الشيطان وشكوك النفس وأما الذين أخجلتهم فانهم علموا ان الحق سبحانه وتعالى علم منهم عدم الثقة ووجود الاضطراب فاقامهم مقام أهل الشك فاقسم لهم فاخجلهم ذلك حياء منه وذلك بما أفادهم الفهم عنه ورب شيء واحد أوجب سرور اقوام وحزن آخرين على حسب تفاضل الافهام وواردات الالهام ألم تر انه لما أنزل قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فرح بها الصحابة وحزن بها أبو بكر رضي الله عنهم أجمعين لانه فهم منها نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى وأخذ من ذلك أن الشيء اذا استتم خيف عليه من التراجع الى وجود النقصان كما قال

اذا تم شيء دنا نقصه * توقع زوالا اذا قيل تم
اذا كنت في نعمة فارعها * فان المعاصي تزيل النعم

واعلم ان الامر لا يتقاصر مادام الرسول عليه السلام حيا وفرح الصحابة رضي الله عنهم لظاهر البشارة التي فيها ولم ينفذوا لما نفذ اليه أبو بكر رضي الله عنه فظهر لذلك سر قوله ﷺ ماسبقكم أبو بكر بصوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره والذي كان سابقا هو بعينه الذي أوجب أن يفهم مالم يفهم غيره ومثل ذلك قوله سبحانه وتعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وسمعت الشيخ أبا محمد المرجاني رحمه الله يقول قوم سمعوا هذه الآية الكريمة فاستبشروا بهذه المبايعة فابيضت وجوههم سرورا بها اذ أهلهم الحق أن اشترى منهم واذ أجل أقدارهم اذ رضيهم للشراء وسرورا بالثمن الجليل والثواب الجزيل وقوم اسفرت وجوههم خجلا من الله اذا اشترى منهم ماهو ماله فلولا انه علم منهم وجود الدعوى الكامنة في أنفسهم ودعوى المالكية منهم لما قال ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم فكان للذين ابيضت وجوههم جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما وكان للذين اسفرت وجوههم جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما انتهى كلام الشيخ فلو سلم المؤمنين من بقايا المنازعة ما أوقع عليهم مبايعة ولذلك قال الله تعالى أن الله اشترى من المؤمنين ولم يقل من الانبياء والمرسلين ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله النفوس على ثلاثة أقسام نفس لا تشترى لخستها ونفس تشترى لكرامتها ونفس لا يقع عليها الشراء لثبوت حريتها (فالاولى) نفوس الكافرين لا يقع عليها الشراء لخستها (والثاني) نفوس المؤمنين وقع عليها الشراء لكرامتها (والثالث) نفوس الانبياء والمرسلين لم يقع عليها الشراء لثبوت حريتها ﴿الفائدة السادسة﴾ وهو انه تعالى أقسم بالربوبية الكافلة للسماء والارض ولم يقسم بغيرها من الاسماء وذلك لان الربوبية الكافلة للسماء والارض لا ينبغي أن يشك في الثقة بها ومن شأنها كفالة هذا العالم العظيم الذي أنت فيه واذا نسبت اليه كنت كلا شيء موجود فيه. فذلك أبلغ في وجود
الثقة

ركعتان بالليل خير من الف بالنهار وأنت لا تصلي فيه ركعتين الا لتجد ذلك في ميزانك وهل تشتري عبدا الا للخدمة هل رأيت عبدا يشترى ليأكل وينام ما أنت الا عبد اشتريت قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون من لم يلزم نفسه لزمته ومن لم يطالبها طالبته فلو جعلت عليها الاثقال بالطاعة لما طالبتك بالمعصية ولما كانت تتفرغ لها وهل رأيت الصالحين والعباد يتفرجون في الاعياد من شغل نفسه بالفرح والمباحات شغل عن قيام الليل فيقال له شغلت نفسك عنا فشغلناك عن عبادتنا ركعتان في جوف الليل أثقل عليك من جبل أحد فاعضاء يبست عن الطاعة لا تصلح الا للقطع فان الشجرة اذا يبست لا تصلح الا للنار من أحب الدنيا بقلبه كان كمن بنى بناء حسنا فوقه مرحاض فرشح عليه فلا يزال كذلك حتى يرى ظاهره كباطنه ومنهم من ينقيه فلا يزال قلبه أبيض وتنقيته بالتوبة والاذكار والندم والاستغفار كذلك أنت في حضرة الله ملوث بمعصيتك تأكل الحرام وتنظر المحرم لمن يفعل المخالفات والشهوات يظلم قلبه فان لم تتب في حال الصحة ربما ابتلاك بالامراض والمحن حتى تخرج نقيا من الذنوب كالثوب اذا غسل فاصقل مرآة قلبك بالخلوة

الثقة من أن يقول فهو السميع أو العليم أو الرحمن أو غير ذلك من الاسماء فافهم ﴿الفائدة السابعة﴾
قوله سبحانه وتعالى فورب السماء والارض انه لحق والحق هو ضد الباطل والباطل هو المعدوم الذي لاثبات له والرزق حق كما ان الرزاق حق والشك فى الرزق شك فى الرزاق حتى كان بعضهم ينبش المقابر ثم تاب فقال لبعض العارفين نبشت ألف قبر فوجدتهم كلهم وجوههم محولة عن القبلة فقال عارف ذلك الزمان انما حول وجوههم عن القبلة تهمه الرزق ﴿الفائدة الثامنة﴾ قوله تعالى مثل ما انكم تنطقون تأكيد فى اثبات الرزق وتقرير لحقيقة وانه لاينبغى أن يرتاب فيه مؤمن ولا يشك فيه موقن وان ثبوته بمشهد بصائر القلوب كثبوت المنطق الظاهر بمشهد الابصار فنقل المعنى الى الصورة ومثل الغيب بالشهادة وقطع شك العباد فى أمر الرزق أى فكما انكم تنطقون لاتشكون فى ذلك لما أثبته العيان كذلك لاترتابوا فى أمر الرزق فقد أثبته نور الايمان فانظر رحمك الله اعتناء الحق سبحانه وتعالى بأمر الرزق وتكراره له وتبيين مواطنه وتنظيره وتمثيله بالامور المحسوسة التى لايرتاب فيها شاهدها واقسامه على ذلك بالربوبية المحيطة بالسماء والارض وكذلك تكرر فى كلام صاحب الشرع صلوات الله عليه فقال ان روح القدس نفث فى روعى ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب وقال عليه السلام لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال عليه الصلاة والسلام طالب العلم تكفل الله رزقه الى غير ذلك من الاحاديث الواردة فى ذلك (فائدة) اعلم انه لاينافى التوكل على الله فى أمر الرزق وجود السبب كما أشار اليه رسول الله عليه السلام لانه قال فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب فقد أباح الطلب ولو كان منافيا لمقام التوكل على الله لما أباحه لانه لم يقل لاتطلبوا انما قال أجملوا فى الطلب فكانه قال اذا طلبتم فاطلبوا فاطلبوا مجملين أى كونوا مع الله فى الطلب متأدبين واليه مفوضين فقد أباح صلوات الله عليه وسلامه وجود الطلب والطلب من الاسباب وقد سبق قوله عليه السلام أحل ما أكل المرء من كسب يمينه الى غير ذلك من الاحاديث الدالة على جواز الاسباب بل على الحث عليها والندب اليها وفى الاسباب فوائد منها ان الحق تعالى علم ضعف قلوب العباد وقصورهم عن مشاهدة القسمة وعجزهم عن صدق الثقة فاباح لهم الاسباب إسناداً لقلوبهم وتثبيتا لنفوسهم فكان ذلك من فضله عليهم ﴿الفائدة الثانية﴾ ان فى الاسباب صيانة للوجوه عن الابتذال بالسؤال وحفظا لبهجة الايمان أن تزول بالطلب من الخلق فما يعطيك الله من الاسباب فلا منة فيه لمخلوق عليك اذ لا يمن عليك احد ان اشتري منك أو استأجرك على عمل شىء فانه فى حظه سعى وبنفع نفسه قصد فالسبب أخذ منه بغير منه ﴿الفائدة الثالثة﴾ ان فى شغل العباد باسبابهم شغلا عن معصيته والتفرغ الى مخالفته ألا ترى انهم اذا تعطلت أسبابهم فى أعيادهم وغيرها كيف يتفرغ أهل الغفلة لمخالفة الله تعالى وينهمكون فى معصية الله فكان شغلهم بالاسباب رحمة من الله عليهم ﴿الفائدة الرابعة﴾ ان فى الاسباب والقيام بها رحمة بالمتجردين ومنة من الله على المتوجهين لطاعته والمتفرغين لها ولولا قيام أهل الاسباب بها فكيف كان يصح لصاحب الخلوة خلوته ولصاحب المجاهدة مجاهدته فجعل الحق تعالى الاسباب كالخدمة للمتوجهين اليه والمقبلين عليه ﴿الفائدة الخامسة﴾ ان الحق تعالى أراد من المؤمنين ان يتآلفوا لقوله تعالى انما المؤمنون اخوة فكانت الاسباب سببا لتعارفهم وموجبة لتوادهم ولا ينكر الاسباب الا جاهل أو عبد عن الله غافل ولم يبلغنا ان رسول الله عليه السلام لما دعا الناس الى الله أمرهم بالخروج عن أسبابهم ولكن أقرهم على مايرضاه الله منها ودعاهم الى وجود الهدي والقرآن والسنة

والذكر حتى تلقى الله تعالى وليكن قلبك زاكرا فينبع لك الانوار ولا تكن كمن يريد ان يحفر بئرا فيحفر ذراعا هنا وذراعا هنا فلا ينبع له ماء أبدا بل احفر فى مكان واحد فينبع لك الماء ياعبد الله دينك هو رأس مالك فان ضيعت رأس مالك فاشتغل لسانك بذكره وقلبك بمحبته وجوارحك بخدمته وأحرث وجودك بالمحارث حتى يجيء البذر فينبت ومن فعل بقلبه كما يفعل الفلاح بارضه أثار قلبه مثالك مثال رجلين اشتريا أرضا قياسا واحدا فاخذها الواحد فنقاها من الشوك والحشيش وأجرى بها الماء وبذرها فنبتت وجنى منها وانتفع بها فهذا كمن نشأ فى الطاعة قد أشرقت أنوار قلبه وأما الآخر فانه أهملها حتى نبت فيها الشوك والحشيش وبقيت مأوى للافاعى والحيات فهذا قد أظلم قلبه بالمعاصي اذا حضرت المجلس وخرجت الى المخالفات والغفلات فاياك تقول ماذا يفيد الحضور بل احضر يكون بك مرض أربعين سنة فتريد ان يذهب عنك فى ساعة واحدة أو فى يوم واحد فمثاله كرمل رمي فى موضع أربعين عاما أفتريد أن يزول فى ساعة واحدة أو فى يوم واحد فمن فعل المعاصي وتقلب فى الحرام لو انغمس فى سبعة أبحر لم تطهره حتى يعقد مع الله عقدة التوبة للظاهر جنابة تمنعك من دخول بيته وتلاوة كتابه وللباطن جنابة تمنعك من دخول حضرته وفهم كلامه وهى بالغفلة فاذا طلبت النفس الشهوات فالجمها بلجام الشرع فمثالها كالدابة اذا مالت

لزرع غيرك فغمض الابصار عن ميلها الى المستحسنات والقلوب عن ميلها الى الشهوات وليكن قلبك معمورا لا يصلح لها على الدوام والحق سبحانه وتعالى اختار لحضرته من (٤٨) يصلح لها ٧ ومن رماد الكائنات فمثالهم كالعبيد يعرضون على الملك فمن أخذه الملك أعزه ومن لا يصلح بقي للرعية ما أتيت لموطن حكمة أو معصية الا وفي عنقك سلسلة نورانية أو ظلمانية فان كنت لا تشهدها أنت فغيرك يشهدها ألا ترى ان الشمس يشهدها الناس أجمعون الا من كان أعمى ما فائدة العلم الا العمل به مثاله كمن كتب الى نائبه كتابا فما فائدة الكتاب أن تقرأه فقط انما فائدته العمل به مثال من يشتغل بالعلم وليس له بصيرة كمثل مائة ألف أعمى سلكوا طريقا متحيرين فيها فلو كان فيهم واحد بعين واحدة لتبعه الناس أجمعون وتركوا مائة ألف أعمى ومثال العلم مع ترك العمل كالشمعة تضيء للناس باحراق نفسها علم فيه الغفلة عن الله الجهل خير منه فمن أعمرت جوارحه فقد امطر قلبه ولسانه بالذكر وعينيه بالغض واذنيه بالاستماع الى العلم ويديه ورجليه بالسعي الى الخيرات من اكثر من مجالسة أهل هذا الزمان فقد تعرض لمعصية الله تعالى مثاله كمن جعل الحطب اليابس في النار ويريد أن لا تتقد فقد أراد محالا لانه قد فيقول
ورد خص بالبلاء من عرف الناس وعاش فيهم من لم يعرفهم فربما جالست غير متق وكنت أنت متقيا فجرك الى الغيبة

محشوان باثبات الاسباب ولقد أحسن من قال

ألم تر أن الله قال لمريم * اليك فهزى الجزع يساقط الرطب
ولو شاء أدنى الجذع من غير هزها * اليها ولكن كل شيء له سبب

اشارة الى قوله تعالى وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وظاهر صلوات الله عليه بين درعين يوم أحد وأكل عليه الصلاة والسلام القثاء بالرطب وقال هذا يدفع اضرر هذا وذلك كثير * وفي قوله صلى الله عليه وسلم تغدو خماصا وتروح بطانا اثبات لاسباب أيضا لان غدوها ورواحها سبب أقيمت فيه فهو كغدو الآدميين الى مكاسبهم ورواحهم اليها والقول الفصل في ذلك انه لا بد لك من الاسباب وجودا ولا بد لك من الغيبة عنها شهودا فاثبتها من حيث أثبتها بحكمته ولا تستند اليها لعلمك باحديته * فان قلت فما هو الاجمال في الطلب في قوله عليه السلام فاتقوا الله واجملوا في الطلب * فاعلم ان الاجمال في الطلب يحتمل وجوها كثيرة ونحن نذكر لك منها ما فتح الله به بفضله فاعلم رحمك الله أن الطالب للرزق على قسمين عبد يطلبه منهمكا عليه ومتوجها بكل همته اليه وذلك مما يصرف وجهته عن الله لان الهمة اذ توجهت لشيء انصرفت عما عداه * قال الشيخ أبو مدين رحمه الله ليس للقلب الا وجهة واحدة ان وجهته اليها انصرف عن غيرها وقد قال الحق سبحانه وتعالى ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه أي ماجعل له من وجهتين في وقت واحد وذلك لضعف البشرية عن التوجه الى وجهتين فما توجه انسان الى وجهتين الا ويقع الخلل في احدى الوجهتين والقيام بالاوجه كلها في الوقت الواحد من غير أن يقع في شيء منها خلل انما ذلك من شأن الالاهية ولذلك قال سبحانه وتعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله فافاد بذلك أنه متوجه لاهل السماء ولاهل الارض لا يشغله توجهه لاهل السماء عن توجهه لاهل الارض ولا توجهه لاهل الارض عن توجهه لاهل السماء ولا شيء عن شيء فلذلك كرر سبحانه وتعالى ذكر الالاهية في الآية ولو لم يكررها لم يفد ذلك من هذا اللفظ بل مما يوجبه ما هو الحق عليه سبحانه فتبين لك من هذا ان من طلب الرزق مكبا عليه مشتغلا عن الله تعالى به فليس مجملا في الطلب ومن طلبه على غير ذلك فهو مجمل * ووجه ثان وهو ان الاجمال في الطلب أن يطلب من الله تعالى ولا يعين قدرا ولا سببا ولا وقتا فيرزقه الحق ما شاء كيف شاء في أي وقت شاء وذلك من حسن الادب في الطلب ومن طلب وعين قدرا أو سببا أو وقتا فقد تحكم على ربه وأحاطت الغفلة بقلبه * ويحكى عن بعضهم أنه كان يقول وددت لو اني تركت الاسباب وأعطيت كل يوم رغيفين يريد بذلك أن يستريح من تعب الاسباب قال فسجنت ثم كنت في السجن يؤتى لي كل يوم برغيفين فطال ذلك علي حتى ضجرت ففكرت يوما في أمري فقيل لي أنك طلبت منا كل يوم رغيفين ولم تطلب منا العافية فاعطيناك ماطلبت فاستغفرت الله من ذلك ورجعت الى الله فاذا بباب السجن يقرع فتخلصت وخرجت فتأدب بهذا أيها المؤمن ولا تطلب أن يخرجك من أمر ويدخلك فيما سواه اذا كان ما أنت فيه مما يوافق لسان العلم فان ذلك من سوء الادب مع الله فاصبر لئلا تطلب الخروج بنفسك فتعطى ماطلبت وتمنع الراحة فيه فرب تارك سببا وداخل في غيره ليجد الثروة والراحة فاتعب وقوبل بوجود التعسر عقوبة لوجود الاختيار * وفي كلام كتبناه في غير هذا الكتاب طلبك للتجريد مع اقامة الله اياك في الاسباب من الشهوة الخفية وطلبك الاسباب مع اقامة الله اياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية فافهم رحمك الله أن من شأن هذا العدو أن يأتيك فيما أنت فيه مما أقامك الله فيه فيحقره عندك لتطلب غير ما أقامك الله فيه فيتشوش قلبك ويتكدر وقتك وذلك أنه يأتي للمتسببين

وقهرك فى نفسك ما خرب القلوب الا قلة الخوف القلب الحسن هو الذى لا يشغله عن الله نحسن ان أردت شفاء قلبك فاخرج الى صحراء التوبة وحول حالك من الغيبة الى الحضور والبس ثياب الذلة والمسكنة فان القلب يشفى و لكنك تحشر بطنك وتتفاخر بالسمن فمثالك كالخروف الذي يسمن للذبح ألا فقد ذبحت نفسك وأنت لا تشعر لا يفتك مجلس الحكمة ولو كنت على معصية فلا تقل ما الفائدة فى سماع المجلس ولا أقدر على ترك المعصية بل على الرامى أن يرمى فان يا خذ اليوم يا خذ غدا ولو كنت كيسا فطنا لكانت حقوق الله عندك أحظى من حظوظ نفسك ما يطلع على الاسرار الا أمين وأنت تعطى نفسك حظها من المآكل والمشارب حتى تملأ بيت الخلاء او يكفيك حب الدنيا ومن أحب الدنيا فقد خان ومن خان فهل يطلعه الملك على أسراره فاستعمل الافكار وعليه أنزل الانوار ما نفع القلب شيء مثل خلوة يدخل بها ميدان فكرة كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة فى مرآته أم كيف يرحل الى الله وهو منكب على شهواته أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته أم كيف يرجو

فيقول لو تركتم الاسباب وتجردتم لاشرقت لكم الانوار ولصفت منكم القلوب والاسرار قائلا وكذلك صنع فلان وفلان ويكون هذا العبد ليس مقصودا بالتجريد ولا طاقة له به وانما صلاحه فى الاسباب فيتركها فيتزلزل ايمانه ويذهب ايقانه ويتوجه الي الطلب من الخلق والى الاهتمام بامر الرزق فيرمى فى بحر القطيعة وذلك قصد العدو منه لانه انما يأتيك فى صورة ناصح اذ لو أتاك فى غيرها لم تقبل منه كما أتى آدم وحواء عليهما السلام فى صورة ناصح وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين كما تقدم بيانه وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين كما تقدم بيانه وكذلك يأتي للمتجردين و يقول لهم الى متى تتركون الاسباب ألم تعلموا أن ترك الاسباب تتطلع معه القلوب الى ما فى أيدي الناس و يفتح باب الطمع ولا يمكنك الاسعاف ولا الايثار ولا القيام بالحقوق وعوض ما تكون منتظرا ما يفتح به عليك من الخلق فلو دخلت فى الاسباب بقي غيرك منتظرا ما يفتح عليه منك الى غير ذلك و يكون هذا العبد قد طاب وقته وانبسط نوره ووجد الراحة بالانقطاع عن الخلق فلا يزال به حتى يعود الى الاسباب فيصيبه كدرتها و تغشاه ظلمتها و يعود الدائم فى سببه أحسن حالا منه لان ذلك ما سلك طريقا ثم رجع عنها ولا قصد مقصدا ثم انعطف عنه فافهم واعتصم بالله منه ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم وانما قصد الشيطان بذلك أن يمنع العباد من الرضا عن الله فيما هم فيه وأن يخرجهم عما اختاره الله تعالى لهم الى مختارهم لانفسهم وما أدخلك الله تعالى فيه تولى اعانتك عليه وما دخلت فيه بنفسك وكلك اليه وقل ربي أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا فالمدخل الصدق أن تدخل به لا بنفسك والمخرج الصدق أيضا كذلك فافهم والذى يقتضيه الحق منك أن تمكث حيث أقامك حتى يكون الحق تعالى هو الذى يتولى اخراجك كما تولى ادخالك وليس الشأن أن تترك السبب انما الشأن أن يتركك السبب قال بعضهم تركت السبب كذا كذا مرة فعدت اليه ثم تركني السبب فلم أعد اليه ٭ ودخلت على الشيخ أبي العباس المرسي وفى نفسي العزم على التجريد قائلا فى نفسي ان الوصول الي الله تعالى على هذه الحالة بعيد من الاشتغال بالعلم الظاهر ووجود المخالطة للناس فقال لى من غير أن أسأله صحبني انسان مشتغل بالعلوم الظاهرة وهو متصدر فيها فذاق من هذه الطريق شيأ فجاء الى فقال ياسيدى أخرج عما أنا فيه وأتفرغ بصحبتك فقلت له ليس الشأن ذا ولكن امكث فيما أنت فيه وما قسم الله لك على أيدينا فهو اليك واصل ثم قال الشيخ ونظر الى وقال هكذا شأن الصديقين لا يخرجون عن شيء حتى يكون الحق تعالى هو الذي يتولى اخراجهم فخرجت من عنده وقد غسل الله تعالى من قلبي تلك الخواطر ووجدت الراحة بالتسليم الي الله ولكنهم كما قال رسول الله عليه السلام هم القوم لا يشقى بهم جليسهم (وجه ثالث) وقد يكون الاجمال فى الطلب أن تطلب من الله تعالى ويكون قصدك مناجاته لا عين ما طلبت وانما يكون الطلب توسلا لها ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله لا يكن همك فى دعائك الظفر بقضاء حاجتك فتكون محجوبا عن ربك ولتكن همتك مناجاة مولاك وقيل ان موسى عليه السلام كان يطوف فى بنى اسرائيل ويقول من يحملني رسالة الي ربي وذلك لتطول مناجاته مع الله تعالى (وجه رابع) وقد يكون الاجمال فى الطلب أن تطلب وأنت تشهد انك مطلوب بما قسم لك وانك مقصود به وليس طلبك موصلا اليه فيكون طلبك وأنت غريق فى بحر العجز مغموس فى وجود الفاقة وقد يكون الاجمال فى الطلب ان لا تطلب بحظ البشرية ولكن لاظهار العبودية كما حكى أن سمنون المحب رحمه الله كان يقول

وليس لى فى سواك حظ ٭ فكيفما شئت فاختبرني

(٧ـ تنوير) أن يفهم دقائق الاسرار وهو لم يتب من هفواته أصل كل معصية وغفلة وسهو الرضا عن النفس وأصل كل طاعة ويقظة وعفة وعدم الرضا عنها لا ترحل من كون الي كون فتكون كالحمار فى الرحى يسير والذى ارتحل اليه هو الذى ارتحل منه ولكن ارحل

من الاكوان الى المكون وان الي ربك المنتهى انما الانوار مطايا القلوب والاسرار والنور جند القلب كما أن الظلمة جند النفس فاذا أراد الله أن ينصر عبده أمده بجنود الانوار (٥٠) وقطع عنه مدد الظلم والاغيار النور له الكشف والبصيرة لها الحكم والقلب له الاقبال والادبار الاكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة فالنفس تنظر الى ظاهر غرتها والقلب ينظر الي باطن عبرتها متى أوحشك من خلقه فاعلم انه يريد أن يفتح لك باب الانس به الصلاة محل المناجاة ومعدن المصافاة يتسع فيها ميادين الاسرار وتشرق فيها شوارق الانوار علم وجود الضعف منك فقلل أعدادها وعلم احتياجك الى فضله فكثر امدادها الناس يمدحونك بما يظنون فيك فكن أنت ذاما لنفسك لما تعلم منها فان أجهل الناس من ترك يقين ماعنده لظن ماعند الناس غيبك نظر الخلق اليك بنظر الله اليك وغيب عن اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك علم ان العباد يتشوفون الى ظهور سر العناية فقال تعالي يختص برحمته من يشاء وعلم أنه لو أخلاهم من ذلك لتركوا العمل اعتمادا على الازل فقال تعالي ان رحمة الله قريب من المحسنين ان أردت ورود المواهب عليك فصحح الفقر والفاقة لديك انما الصدقات للفقراء والمساكين انوار اذن ذلك لها في الدخول وأنوار اذن لها في الوصول ربما وردت عليك الانوار فوجدت القلب محشوا بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت

فابتلي بعلة الامر وهو احتباس البول فصبر وتجلد قطعا وله ذلك فصبر وتجلد الى أن جاءه بعض أصحابه فقال يا أستاذي سمعتك البارحة وأنت تطلب من الله الشفاء والعافية ولم تكن هو طلب ثم جاء ثان ثم ثالث ثم جاء رابع فعلم أن مراد الحق منه اظهار الحاجة والفاقة فسأل الله الشفاء ثم صار يدور على صبيان المكاتب ويقول ادعوا لعمكم الكذاب (وجه خامس) وقد يكون الاجمال فى الطلب أن تطلب من الله مايكفيك ولا تطلب منه مايطغيك غير متطلع الي ماسوى الكفاية بالشره ولا منبسطا اليه بالرغبة وقد علمنا ذلك رسول الله عليه السلام اذ قال اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا والطالب لما زاد على الكفاية ملوم وطالب الكفاية غير ملوم بذلك جاء فى الحديث عنه ﷺ ولا تلام على كفاف ويكفيك فى ذلك ماقال رسول الله لثعلبة ابن حاطب لما قال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال رسول الله عليه السلام ياثعلبة بن حاطب قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فكرر عليه ثعلبة فاعاد عليه السلام ماقال أولا قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فما زال الى أن دعا له رسول الله عليه السلام بما اختار لنفسه فكان عاقبة اختياره لنفسه ومخالفته لمختار رسول الله عليه السلام أن كثر ماله حتى تعطل عن بعض الصلوات ان يصليها خلف رسول الله عليه السلام ثم كثر ماله حتى تعطل الصلوات ان يصليها مع رسول الله عليه السلام الا صلاة الجمعة ثم كثرت أغنامه ومواشيه حتى لم يمكنه صلاة الجمعة أيضا ثم جاءه مصدق رسول الله عليه السلام يأخذ منه الزكاة فقال ماأراها الا الجزية أو أخت الجزية وامتنع من دفع الزكاة وقصته مشهورة فانزل الله تعالى فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون * (وجه سادس) وقد يكون الاجمال فى الطلب أن يطلب العبد حظوظ دنيا قال تعالى فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (وجه سابع) وقد يكون الاجمال فى الطلب أن يكون طلبك غير شاك فى القسمة ولا تاركا حفظ الحرمة (وجه ثامن) وقد يكون الاجمال فى الطلب أن تطلب ولا تستعجل الاجابة وغير الاجمال أن تستعجلها وقد نهى النبي عليه السلام عن ذلك بقوله يستجاب لاحدكم مالم يقل دعوت فلم يستجب لى وقد دعا موسى وهرون عليهما السلام على فرعون فيما حكاه الله تعالى عنهما بقوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فقال سبحانه وتعالى قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لايعلمون وكان بين قول الله تعالى لهما قد أجيبت دعوتكما وأهلاك فرعون أربعون عاما قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله فى قوله سبحانه وتعالى فاستقيما أى على عدم استعجال ماطلبتما ولا تتبعان سبيل الذين لايعلمون قال هم المستعجلون الاجابة (وجه تاسع) وقد يكون الاجمال فى الطلب أن يطلب وهو شاكر لله تعالى ان أعطى وشاهد حسن اختيار ربه اذا منع فرب طالب لا يشكر ان أعطي ولا يشهد حسن اختيار ربه فى المنع بل طالب من الله جازم أن المصلحة له ان يعطى ومن أين لهذا العبد الجاهل أن يحكم على علم الله وأن يعلم مافيه غيب الله وكفي بالعبد جهلا أن يتخير على مولاه بل اذا سأل له فليكن مفوضا اليه غير مدبر معه ولا مختار عليه وربك يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة هذا فيما أبهم أمره * والبيان فى ذلك أن المدعو به على ثلاثة أقسام ماهو خير قطعا فاطلبه من الله تعالى من غير استثناء كالايمان وجميع الطاعات وماهو شر قطعا فاطلب من الله السلامة منه من غير استثناء كالكفر والمعصية وماهو مبهم الامر كالغنى والعز والرفعة فاطلب ذلك من الله تعالى قائلا ان علمت

ذلك خير الى كذلك سمعته من الشيخ رحمه الله * (وجه عاشر) * وقد يكون الاجمال فى الطلب ان يكونوا فى الطالب على سابق قسمته معتمدين ولا يكونوا الي طلبهم مستندين وقد يكون الاجمال فى الطلب ان يطلبوا وهم لعدم الاستحقاق شاهدون فاولئك حرى بهم أن يستوجبوا منه رب العالمين قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله ماطلبت شيأ الا وقدمت اساءتي أمامي يريد رحمه الله حتى لايطلب من الله بوصف يستحق العطاء بل لايكون طلبه وجود فضله الا بفضله * فهذه عشرة أوجه فى الاجمال فى الطلب وليس القصد بها انحصار الامر أوسع من ذلك ولكن بحسب ماناول الغيب وأنعم به المولي سبحانه وتعالى وهو كلام صاحب الانوار المحيطة فما ياخذ الآخذ منه الا على حسب نوره ولا ياخذ من جواهر بحره الا على قدر قوة غوصه وكل يفهم على حسب المقام الذى أقيم فيه تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ومالم ياخذوه أكثر مما أخذوا واسمع قوله عليه السلام وأوتيت جوامع الكلم واختصرلى الكلام اختصارا فلو عبر العلماء بالله أبد الآباد عن اسرار الكلمة الواحدة من كلامه لم يحيطوا بها علما ولم يقدروها فهما حتى قال بعضهم عملت بهذا الحديث سبعين عاما وما فرغت منه وهو قوله عليه السلام من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه وصدق رضي الله عنه ولو مكث عمر الدنيا أجمع وأبد الآباد لم يفرغ من حقوق هذا الحديث وما أودع فيه غرائب العلوم وأسرار الفهوم * (انعطاف) * انظر الى قوله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا تراه يدل على الامر بالتوكل على الله تعالى لاعلى نفي الاسباب بل يدل على اثباتها لقوله عليه السلام تغدو خماصا وتروح بطانا فقد أثبت لها غدوها ورواحها وهو سببها ونفي عنها الادخار فكانه ﷺ يقول لو توكلتم على الله حق توكله لما ادخرتم ولاغناكم التوكل على الله عن الادخار معه ورزقكم كما يرزق الطير تؤتى برزق يومها ولا تدخر لغدها ثقة منها بان الله تعالى لا يضيعها فانتم أيها المؤمنون أولى بذلك فافاد عليه السلام ان الادخار انما هو من ضعف اليقين * فان قلت أكل ادخار هذا حكمه أوهو مختلف الحال * فاعلم ان الادخار على ثلاثة أقسام ادخار الظالمين وادخار المقتصدين وادخار السابقين فاما القسم الاول فهم المدخرون بخلا واستكثار المسكون مباهاة وافتخارا فقد استحكمت الغفلة على قلوبهم واستولى الشره على نفوسهم لاتفرغ من الدنيا نهمتهم ولا تتوجه الى غيرها همتهم الثابت فقرهم وان كانوا أغنياء الظاهر ذلهم وان كانوا أعزاء فهم من الدنيا لا يشبعون وعن طلبها لا يفترون تلاعبت بهم الاسباب وتفرقت بهم الارباب أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون لم يبق فى قلوبهم متسع لوعي الحكمة واستماع الموعظة فقل ان ترفع أعمالهم أو تزكى أحوالهم لان خوف الفقر قد سكن قلوبهم وقد قال ﷺ من سكن خوف الفقر قلبه قلما يرفع له عمل فيجب على المؤمن المعافى مما هم فيه داخلون والسالم مما هم فيه منصرفون والمتطهر مما هم به متدنسون أن يحمد الله تعالى على ماخصه به من افضاله وأنعم به عليه من نواله وقل اذا رأيتهم الحمد لله الذى عافاني مما ابتلاهم به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا كما انك اذا رأيت مصابا فى بدنه حمدت الله الذي عافاك وشهدت ما أنعم به عليك مولاك كذلك يجب عليك واحرى أن تشكر الله اذا عافاك من أسباب الدنيا والخوض فيها وابتلى بذاك غيرك وان لاتحقرهم بل اجعل عوض احتقارك بهم رحمتك بهم وعوض دعائك عليهم دعاءك لهم واقتد بافضل العارف بالله معروف رحمه الله فافعله هو عين المعروف عبر هوو أصحابه على دجلة فرأى أصحابه مما ريقها قوم أهل لهو وفسوق وطرب فقالوا يا أستاذ دع الله عليهم فرفع يديه وقال اللهم كما فرحتهم فى الدنيا فرحهم فى الاخرة فقالو ياستاذ انما قلنا لك ادع عليهم فقال اذا فرحهم

فرغ قلبك من الاغيار تملؤه بالمعارف والاسرار المؤمن يشغله الثناء على الله عن ان يكون لنفسه شاكرا وتشغله حقوق الله عن ان يكون لحظوظه ذاكرا جعلك الله فى العالم الاوسط بين ملكه وملكوت ليعلمك جلاله قدرك بين مخلوقاته وانك جوهرة انطوت عليها اصداف مكوناته أنت مع الاكوان مالم تشهد المكون فاذا شهدته كانت الاكوان معك العاقل بما هو أبقى أفرح منه بما هو يفنى قد اشرق نوره وظهرت تباشيره فصد عن هذه الدار موليا واعرض عنها مغضيا فلم يتخذها موطنا ولا جعلها سكنا بل نهض الهمة فيها الى الله تعالى وسار اليه مستعينا به فى القدوم عليه فما زالت مطية عزمه لايقر قرارهم دائما تسيارها الى ان أناخت بحضرة القدس وبساط الانس محل المفاتحة والمواجهه والمجالسة والمحادثة والمشاهدة والملاطفة وصارت الحضرة معشش قلوبهم اليها ياوون وفيها يستوطنون فلن نزلوا الى سماء الحقوق وأرض الحظوظ فبالاذن والتمكين والرسوخ فى اليقين فلم ينزلوا الي الحقوق بسوء الادب والغفلة ولا الي الحظوظ بالشهوة والمتعة بل دخلوا فى ذلك كله بالله ولله ومن الله والى الله فاياك يا أخي ان تصغى الى الواقعين فى هذه الطائفة لئلا تسقط من عين الله وتستوجب المقت من الله فان هؤلاء القوم جلسوا مع الله على حقيقة الصدق واخلاص الوفاء ومراقبة الانفاس مع الله فقد سلموا قيادهم اليه والقوا أنفسهم لما بين

ـديه وتركوا الانتصار لا نفسهم حياء من ربهم فكان هو المحارب عنهم لمن حاربهم والغالب لمن غالبهم ولقد ابتلى الله هذه الطائفة بالخلق خصوصا ولا سيما أهل العلم فقل (٥٢) أن تجد منهم من شرح الله صدره للتصديق بولي معين بل يقول لك نعم ان الاولياء موجودون ولكن أين هم فلا يذكر له أحد الا وأخذ يدفع خصوصية الله فيه طلق اللسان بالاحتجاج عاريا من التصديق فاحذر ممن هذا وصفه وفر منه فرارك من الاسد قال الشيخ أبو الحسن رضي الله تعالى عنه ليس الفقيه من فقأ الحجاب عن عيني قلبه وانما الفقيه من فهم سر الايجاد وأنه ما أوجده الا لطاعته ولا خلقه الا لخدمته فاذا فهم هذا كان هذا الفقه منه سببا لزهده فى الدنيا واقباله على الاخرة واهماله لحظوظ نفسه واشتغاله بحقوق سيده مفكرا فى المعاد قائما بالاستعداد قال رسول الله صلى الله علية وسلم المؤمن القوى خير عند الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير والمؤمن القوي هو الذي أشرق فى قلبة نور اليقين قال الله تعالى والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم سبقوا الى الله لخلص قلوبهم مما سواه فلم تعقبهم العوائق ولم تشغلهم عن الله الخلائق فسبقوا الى الله اذ لا مانع لهم وانما منع العباد من السبق جواذب التعلق بغير الله فكلما همت قلوبهم أن ترحل الى الله سبحانه وتعالى جذبها ذلك التعلق الذي به تعلقت فكرت راجعة اليه ومقبلة عليه

فى الآخرة تاب عليهم ولا يضركم من ذلك شيء فالصقت السارية فى الوقت الى البر وتزل الرجال ناحية والنساء ناحية فتطهر هؤلاء وهؤلاء وخرجوا الى الله تائبين فكان منهم زهاد وعباد ببركة دعوة معروف فاذا نظرت أهل التخليط والاساءة فاعلم انه محكوم عليهم بسابق العلم ونافذ المشيئة وان لم تفعل خيف عليك ان تبتلى بمثل محنتهم وأن تقطع كقطعتهم * واسمع ما قال الشيخ ابو الحسن رحمه الله اكرم المؤمنين وان كانوا عصاة فاسقين وامرهم بالمعروف وانههم عن المنكر واهجرهم رحمة بهم لا تعززا عليهم * وقال رحمة الله عليه لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والارض فما ظنك بنور المؤمن المطيع ويكفيك فى تعظيم المؤمنين وان كانوا عن الله غافلين قول رب العالمين ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فانظر كيف أثبت لهم الاصطفاء مع وجود ظلمهم ولم يجعل ظلمهم مخرجا لهم عن اصطفائيته ولا من وراثة كتابه واصطفاهم بالايمان وان كانوا ظالمين بوجود العصيان فسبحان الواسع الرحمة والعظيم المنة واعلم انه لا بد فى مملكته من عبادهم نصيب الحلم ومحل ظهور الرحمة والمغفرة ووقوع الشفاعة وافهم ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم وقوله عليه السلام شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى * وجاء رجل الى الشيخ أبى الحسن رحمه الله فقال يا سيدى كان البارحة بجوارنا من المنكرات كيت وكيت وظهر من ذلك الرجل استغراب أن يكون هذا فقال يا هذا كانك تريد أن لا يعصي الله فى مملكته من احب أن لا يعصى الله فى مملكته فقد أحب أن لا تظهر مغفرته وأن لا تكون شفاعة رسول الله عليه السلام انتهى كلام الشيخ وكم من مذنب كثرت اساءته وزلة مخالفته أوجبت له الرحمة من ربه فكن له راحما وبقدر ايمانه وان عصى عالما (القسم الثانى) من أقسام الادخار ادخار المقتصدين وهم الذين لم يدخروا استكثارا ولا مباهاة ولا افتخارا انما علموا من نفوسهم الاضطراب عند الفقر فعلموا أنهم ان لم يدخروا تشوش عليهم ايمانهم وتزلزل ايقانهم فادخروا لضعفهم عن حال المتوكلين وعلما منهم بعجزهم عن مقام اليقين وقد قال رسول الله عليه السلام المؤمن القوي خير عند الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير * فالمؤمن القوي هو الذي أشرق فى قلبه نور اليقين فعلم ان الله تعالى سائق اليه رزقه ادخر أو لم يدخر وانه ان لم يدخر أدخر له الحق تعالى وان المدخرين محالون على مدخراتهم وأهل التوكل محالون على الله لا على شيء دونه فالمؤمن القوي من لم يستند الى الاسباب سواء كان فيها أو لم يكن والمؤمن الضعيف الداخل فى الاسباب مع المراكنة والخارج عنها مع التطلع اليها * (القسم الثالث) * بالنسبة الى الادخار وعدمه السابقون وهم الذين سبقوا الى الله ليخلص قلوبهم مما سواه فلم تعقهم العوائق ولم تشغلهم عن الله العلائق فسبقوا الى الله اذ لا مانع لهم وانما منع العباد من السبق الى الله تعالى جواذب التعلق بغير الله فكلما همت قلوبهم أن ترحل الى الله جذبها ذلك التعلق الى ما به تعلقت فكرت راجعة اليه ومقبلة عليه فالحضرة محرمة على من هذا وصفه وممنوعة ممن هذا نعته * قال بعض العارفين أتظن أن تدخل الى الحضرة الالهيه وشيء من ورائك يجذبك وافهم ههنا قوله سبحانه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم وان القلب السليم هو الذي لا تعلق له بشيء دون الله تعالى وقوله سبحانه وتعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة يفهم منه أيضا أنه لا يصح مجيئك الى الله تعالى بالوصول اليه الا اذا كنت فردا مما سواه وقوله تعالى الم يجدك يتيما فاوى يفهم منه انه لا يأويك اليه الا اذا صح يتمك مما سواه وقوله عليه السلام ان الله وتر يحب الوتر أي يحب القلب الذي

لا يشفع بمشوبات الآثار فكانت هذه القلوب لله وبالله تركوا لله يتصرف لهم فلم يكلهم الى أنفسهم ولم يدعهم لتدبيرهم فهم أهل الحضرة المفاتحون بين المنة لا تقطعهم عن الله محاسن الآثار ولا تشغلهم عنه بهجة الحسن المعار ولنا في هذا المعنى

يابهجة الحسن التى ماءثلها * من بهجة طرحت على الاكوان
لى فيك معنى ماتبدى سره * الا انثنى طرفى ومد عنانى

وقال بعضهم لو كلفت ان أرى غيره لم استطع لانه لا غير معه حتى أشهده معه وهذا حال اقوام تولتهم الرعاية واكتنفتهم العناية فاني تدبير بهؤلاء أم كيف يمكن هؤلاء ان يكونوا من المدخرين وهم في حضرة رب العالمين وان أدخروا لم يكونوا على ما ادخروه معتمدين أم كيف يمكنهم أن يكونوا الى سواه مستندين وهم لوجود الاحدية شاهدون * قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رحمه الله قوى على الشهود مرة فسألت أن يستر ذلك عنى فقيل لو سألته بما سأله موسى كليمه وعيسى روحه ومحمد صفيه لم يفعل ولكن سله أن يقويك فسألته فقوانى فمن كان هذا حاله فكيف يحتاج الى الادخار أم كيف يمكنه أن يستند الى الاغيار وكفى بالمؤمن أن يدخر اعتمادا بالله وثقة به وتوكلا عليه وأهل الفهم عن الله توكلوا على الله فكان هو المدخر لهم واستحفظوه فكان هو الحافظ لهم وكانوا له وبه فكان بمونته لهم بكفاهم ما أهمهم وصرف عنهم ما أغمهم اشتغلوا بما أمرهم عما ضمن لهم لعلمهم انه لا يكلهم اليهم ومن فضله لا يمنعهم فدخلوا في الراحة ووقعوا في جنة التسليم ولذاذة التفويض فرفع الله بذلك مقدارهم وكمل انوارهم ويحق أن يرفع المحاسبة عنهم بفضله كما قال رسول الله عليه السلام سبعون الفا من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يارسول الله قال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون وكيف يحاسب من لا شيء له أم كيف يسأل عن فعله من شهد انه لا فعل له وانما يحاسب المدعون ويناقش الغافلون الذين يشهدون أنهم مالكون أو مع الله فاعلون ومن لم يدخر ثقة بالله وتوكلا عليه ساق الله له رزقه بوجود المنا أو وجد في قلبه وجود الغنا * أفلس بعض العارفين فقال لزوجته أخرجي كل ما في البيت نتصدق به ففعلت الا الرحا فانها قالت لعلنا نحتاج اليها ولا نجد مثلها فهي قد فعلت واذا بالباب قد دق فقيل هذا قمح أرسل الى الشيخ فملأت الدار قمحا فلما رجع العارف ونظر قال أخرجت كل ما في البيت قالت نعم قال وليس الامر كذلك فقالت ما تركت الا الرحا خيفة أن نحتاج اليها فقال لو أخرجت الرحا لجاءك دقيق ولكن أبقيتها فجاءك ما به تتعبين فان ادخر السابقون فلا لانفسهم ولكن ادخار امانة لانهم خزان أمناء وعبيد كبراء ان امسكوا الدنيا أمسكوها بحق وان بذلوها بذلوها بحق وليس المسك لها بحق بدون الباذل لها بحق ولا يشهدون انهم مع الله مالكون بل ما في أيديهم يشهدونه من ودائع الله ويتصرفون فيها بالنيابة عن الله سمعوا قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فعلموا انه لا ملك له مع الله وانما هي نسبة أضيفت اليك واضافة منة من بها عليك ليرى كيف تعمل وهو العليم الخبير اتقف مع ظاهرها أم تنفذ الى أسرارها ولذلك كان الانبياء عليهم السلام لا تجب عليهم الزكاة لانهم لا ملك لهم مع الله حتى تجب عليهم الزكاة فيه وانما تجب عليك زكاة ما انت له مالك انما يشهدون ما في أيديهم من ودائع الله تعالى لهم يبذلونه في أوان بذله ويمنعونه من غير محله ولان الزكاة انما هي طهرة لما عساه أن يكون ممن وجبت عليه لقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها والانبياء عليهم السلام مبرؤن من الدنس لوجود العصمة ولاجل ذلك لم يوجب أبو حنيفة رحمه الله على الصبيان زكاة لعدم دنس المخالفة والمخالفة

فالحضرة محرمة على من هذا وصفه وممنوعة على من هذا نعته وافهم ههنا قوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم والقلب السليم هو الذي لا تعلق له بشيء غير الله تعالى وقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم يفهم منه انه لا يصلح مجيئك الى الله ولا الوصول اليه الا اذا كنت فردا مما سواه وقوله تعالى ألم يجدك يتيما فآوى يفهم منه انه لا يأويك الله الا اذا صح يتمك مما سواه وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله وتر يحب الوتر أى يحب القلب الذي لا يشفع بمثليات الآثار فكانت هذه القلوب لله وبالله فهم أهل الحضرة المخاطبون بين المنة فكيف يمكنهم ان يكونوا لسواه مستندين وهم لوجود الاحدية مشاهدون قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه قوى على الشهود فسألته أن يستر على ذلك فقيل لى لو سألته بما سأله موسى كليمه عيسى روحه ومحمد حبيبه وصفيه صلى الله عليه وسلم لم يفعل ولكن سله أن يقويك فسألته فقوانى فاهل الفهم اخذوا عن الله وتوكلوا عليه فكانوا بمونته لهم فكفاهم ما أهمهم وصرف عنهم ما أغمهم واشتغلوا بما أمرهم عما ضمن لهم علما منهم بانه لا يكلهم الى غيره ولا يمنعهم من فضله فدخلوا في الراحة ووقعوا في جنة التسليم ولذاذة التفويض فرفع الله بذلك مقدارهم وكمل أنوارهم واعلم رحمك الله تعالى ان العلم حيث ما تكرر في الكتاب العزيز أو في

السنة المطهرة إنما المراد به العلم النافع الذي تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فبين ان العلم تلازمه الخشية فالعلماء هم أهل الخشية وكذلك قوله تعالى ان الذين أوتوا العلم من قبله وقوله تعالى الراسخون فى العلم وقوله تعالى وقل رب زدنى علما وقوله صلى الله عليه وسلم (٥٤) العلماء ورثة الانبياء انما المراد بالعلم فى هذه المواطن كلها العلم النافع القاهر للهوى القامع للنفس وذلك متعين بالضرورة لان كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل من ان يحمل على غير هذا والعلم النافع هو الذي يستعان به على الطاعة ويلزم الخشية من الله تعالى والوقوف على حدود الله تعالي وهو علم المعرفة بالله تعالي ولكن من استرسل باطلاق التوحيد ولم يتقيد بظواهر الشريعة فقد قذف به فى بحر الزندقة ولكن الشأن أن يكون بالحقيقة مؤيداً وبالشريعة مقيداً وكذلك المحقق فلا يكون منطلقاً مع الحقيقة ولا واقفاً مع ظاهر اسناد الشريعة وكان بين ذلك قواما فالوقوف مع ظاهر الإسناد شرك والانطلاق مع الحقيقة من غير تقيد بالشريعة تعطيل ومقام الهداية فيما بين ذلك وكل علم تسبق اليك فيه الخواطر وتتبعها الصور وتميل اليه النفس وتلتذ به الطبيعة فارم به وان كان حقا وخذ بعلم الله الذي أنزله على رسول الله ﷺ واقتد به وبالخلفاء من بعده وبالصحابة والتابعين من بعدهم وبالهداة الى الله تعالى الائمة المبرئين من الهوى فيه ومتابعيهم تسلم من الشكوك والظنون والاوهام والوساوس والدعاوى الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه وحسبك من العلم النافع العلم بالوحدانية ومن العلم محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ومحبة الصحابة واعتقاد الحق للجماعة واذا أردت ان يكون لك نصيب مما

لا تكون الا بعد جريان التكليف وذلك بعد البلوغ وافهم ههنا قوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة يتبين لك ماذكرناه ويتضح ما قررناه واذا كان أهل المعرفة بالله تعالى لا مشاهدون لا حد بته لا يشهدون لهم مع الله ملكا فما ظنك بالانبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأهل التوحيد والمعرفة انما عرفوا من بحارهم واقتبسوا من أنوارهم * يحكى أن الشافعي وأحمد رحمهما الله كانا جالسين اذ أقبل شيبان الراعى رحمه الله فقال أحمد للشافعى أريد أن أسأل هذا المشار اليه فى هذا الزمن فقال الشافعى لا تفعل فقال لا بد من ذلك فقال ياشيبان ماتقول فيمن نسى أربع سجدات من أربع ركعات فقال يا أحمد هذا قلب غافل عن الله عز وجل يجب أن يؤدب حتى لا يعود الى مثل ذلك فخر أحمد مغشيا عليه ثم أفاق ثم سأله فقال ماتقول فيمن له أربعون شاة ما زكاتها فقال على مذهبنا أو مذهبكم فقال وهما مذهبان قال نعم قال أما على مذهبكم ففى الاربعين شاة شاة وأما على مذهبنا فالعبد لا يملك مع سيده شيئا وقد جاء فى الحديث ان النبي عليه السلام ادخر قوت سنة فاما أن يكون ذلك لما قلناه أولا من أن ادخار الانبياء عليهم السلام انما هو امساك بالامانة مختارين له وقتا يصلح اتفاقه وانما ادخر رسول الله عليه السلام لأجل عائلته أو ليبين جواز الادخار لامته فانه اذا لم تقع الحواله عليه لا فى التوكل ومما يدلك على أن المراد انما كان ليبين جوازه انه كان عليه السلام أغلب أحواله عدم الادخار وانما أدخر توسعة على أمته ورحمة بهم واشفاقا على الضعفاء منهم اذ لو لم يدخر لم يكن ذلك المؤمن ان يدخر بعده فقعل ليبين حكمه وقد قال عليه السلام انى لا أنسى او انسى لاسن فبين لك صلى الله عليه وسلم ان النسيان ليس من شأنه ولا من وصفه وانما يدخل فيه ليبين حكمه وما يتعلق به لامته فافهم الحديث ﴿فائدة﴾ قوله عليه السلام طالب العلم تكفل الله برزقه اعلم أن العلم حيثما تكرر فى الكتاب العزيز أو فى السنة انما المراد به العلم النافع الذي تقارنه الخشية وتكتنفه المخافه قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فبين ان الخشية تلازم العلم وفهم من هذا ان العلماء انما هم اهل الخشية وكذلك قوله تعالى قال الذين أوتوا العلم والراسخون فى العلم وقل ربي زدني علما وقوله عليه السلام ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم وقوله عليه السلام العلماء ورثة الانبياء وقوله ههنا طالب العلم تكفل الله برزقه انما المراد بالعلم فى هذا الموطن العلم النافع القاهر للهوى القامع وذلك متعين بالضرورة لان كلام الله تعالي وكلام رسول الله عليه السلام أجل من أن يحمل على غير هذا وقد بينا ذلك فى غير هذا الكتاب والعلم النافع هو الذى يستعان به على طاعة الله تعالى ويلزمك المخافة من الله تعالي والوقوف على حدود الله وهو علم المعرفة بالله ويشمل العلم النافع العلم بالله والعلم بما به أمر الله اذا كان تعلمه لله فقوله عليه السلام طالب العلم تكفل الله برزقه أى تكفل له ان يوصله له مع الهناء والعزة والسلامة من الحجبة وانما أولنا هذا التأويل وأن معنى التكفل تكفل خاص وذلك لان الحق سبحانه وتعالى متكفل برزق العباد أجمع ان طلبوا هذا العلم أو لم يطلبوه فدل على ان هذه الكفالة كفالة خاصة كما ذكرنا لانه أفردها بالذكر * ولهذا المعنى قال الشيخ أبو العباس فى حزبه لما قال وأعطنا كذا وكذا قال والرزق الهنى الذي لا حجاب به فى الدنيا ولا سؤال ولا حساب ولا عقاب عليه فى الآخرة على بساط علم التوحيد والشرع سالمين من الهوى والشهوة والطبع * فسأل من الله الرزق الهنى وهو الرزق المتكفل به لطلب العلم ثم فسر الرزق الهنى بانه الذى لا حجاب معه فى الدنيا ولا حساب له فى الآخرة لان ما وقعت

لاولياء الله تعالى فعليك برفض الناس جملة الا من يدلك على الله تعالى اما باشارة صادقة أو باعمال ثابتة لا ينقضها كتاب ولا سنه فارفع همتك الى مولاك واشتغل به دون غيره سمعت الشيخ أبا العباس المرسي يقول والله مارأيت العز الا في رفع الهمة عن الخلق واذكر رحمك الله ههنا قوله سبحانه وتعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فمن العز الذى أعز الله به المؤمن (٥٥) رفع همته الى مولاه وثقته بدون ماسواه واستح من الله بعد أن يكون كساك حلة الايمان وزينك بزينة العرفان ان تستولي عليك الغفلة والنسيان حتى تميل الى الاكوان أو تطلب من غيره وجود الاحسان وقبيح بالمؤمن ان ينزل حاجته بغير مولاه مع علمه بوحدانيته وانفراده بربوبيته وهو يسمع قوله تعالى أليس الله بكاف عبده وليذكر قوله يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ومن العقود التى عاقدته عليها ان لا ترفع حوائجك الا اليه ولا تتوكل الا عليه ورفع الهمة عن الخلق هو ميزان الفقراء وأقيموا الوزن بالقسط فيظهر الصادق بصدقه والمدعى بكذبه وقد ابتلى الله تعالى بحكمته ووجود منته الفقراء الذين ليسوا بصادقين باظهار ما كتموه من الرغبة وأسروه من الشهوة فابتذلوا أنفسهم لابناء الدنيا مباسطين لهم موافقين لهم على مآربهم مدفوعين عن أبوابهم فترى الواحد منهم يتزين كما تتزين العروس معتنون باصلاح ظواهرهم غافلون عن اصلاح سرائرهم ولقد وسمهم الحق وسمة كشف بها عوارهم وأظهر أخبارهم فبعد ان كانت نسبتهم مع الله ان لو صدق مع الله أن يقال له عبد الكبير فاخرج عن هذه النسبة فصار يقال له شيخ الامير أولئك الكاذبون على الله تعالى الصادون العباد عن صحبة أولياء الله مايشهده العوام منهم يحملونه على كل

فيه الحجبه فلا هناء فيه اذ الحجبة توجب تكسر السر بالمنع عن المحاضرة والصد عن المفاتحة لا على ما يفهمه العموم من ان الرزق الهنى الذى حصل من غير وجود تعب ولا نصب فالهناء عند أهل الغفلة فيما يرجع الى الابدان وعند أهل الفهم فيما يرجع الى القلوب ووقوع الحجبة فى الرزق اما بشهود الغفلة والاسباب عن الله تعالى واما بان تتناوله ليس قصدك التقوى على طاعة الله تعالى فالاول حجبة فى الحصول والثاني حجبة فى التناول وقول الشيخ ولا سؤال ولا حساب ولا عقاب عليه فى الآخره فالسؤال يكون عن حقوق النعم لقوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم وأكل النبي عليه السلام وبعض أصحابه طعاما ثم قال والله لتسألن عن نعيم هذا اليوم وكان الشيخ رحمه الله يقول السؤال على قسمين سؤال تشريف وسؤال تعنيف فسؤال أهل الموافقة والعناية سؤال التشريف وسؤال أهل الغفلة عن الله والاعراض عنه سؤال التعنيف وافهم رحمك الله ان الحق سبحانه وتعالى انما يسأل أهل الصدق وان كان هو العالم باخبارهم ويخفى أسرارهم ليظهر مرتبة صدقهم للعباد وينشر محاسنهم فى المعاد كما يقول السيد لعبده ماذا صنعت فى أمر كذا وكذا وهو يعلم أنه أحكمه وأتقنه ولكن أراد أن يعلم الحاضرون اعتناءه بامره وقيامه وعنايته بشأنه فافهم (وقول الشيخ رحمه الله) ولا حساب فالحساب هو نتيجة السؤال واذا سلموا من السؤال سلموا من الحساب واذا سلموا من السؤال والحساب سلموا من المعاقبة فذكرها الشيخ رحمه الله وان كانت متلازمة ليتبين ما يستلزم هذا الرزق من المنن التى لو انفردت واحدة منها لكان حريا أن تطلب وقول الشيخ رحمه الله على بساط علم التوحيد أي على ان أشهدك فيما رزقتنى أراك فيما أطعمتنى فلا أشهد ذلك من غيرك ولا أضيفه لاحد من خلقك وكذلك أهل الله لا يأكلون الا على مائدة الله أطعمهم من أطعمهم لعلمهم ان غير الله تعالى لا يملك لهم معه شيأ فيسقط بذلك شهود الخلق عن قلوبهم فلم يصرفوا لغير الله حبهم ولا وجهوا المنن سواه وهم ادرأوا انه هو الذي أطعمهم ومنحهم من فضله وأكرمهم قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله يوما انا نحن لا نحب الا الله تعالى أى لا يتوجه الحب منا الى الخلق فقال له رجل قد أبى ذلك جدك ياسيدي بقوله عليه السلام جبلت القلوب على حب من أحسن اليها فقال نعم نحن قوم لا نرى المحسن الا الله تعالى فلذلك جبلت قلوبنا على محبته ومن رأى أن المطعم هو الله سبحانه وتعالى تجدد عنده مزيد الحب على حسب ما يتجدد من تناول النعم لقوله عليه السلام أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وقد سبق بيانه ومن رأى ان الله هو المطعم له صانته هذه المطالعة عن الذل للخلق او أنه يميل قلبه بالحب لغير الملك الحق ألم تسمع قول ابراهيم الخليل عليه السلام والذي هو يطعمنى ويسقينى فشهد لله تعالى بانفراده بذلك واعترف له تعالى بوحدانيته فيه (وقول) الشيخ رحمه الله على بساط علم التوحيد والشرع لان من استرسل من اطلاق التوحيد ورأى ان الملك لله وان لا ملك لغيره معه ولم يتقيد بظواهر الشريعة فقد قذف به فى بحر الزندقة وعاد حاله بالوبال عليه ولكن الشأن ان يكون بالحقيقة مؤيدا وبالشريعة مقيدا وكذلك المحقق فلا منطلقا مع الحقيقة ولا واقفا مع ظاهر اسناد الشريعة وكان بين ذلك قواما فالوقوف مع ظواهر الاسناد شرك والانطلاق مع الحقيقة من غير تقييد بالشريعة تعطيل ومقام اهل الهداية فيما بين ذلك من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين

(فصل) واعلم انه يرد فى شأن الرزق امور ويعرض فيه عوارض وقد ذكر الشيخ رحمه الله كثيرا منها

منتسب الى الله صادق وغير صادق فهم حجب اهل التحقيق و محب شمس أهل التوفيق ضر بوا طبولهم ونشروا أعلامهم ولبسو دروعهم فاذا وقعت الحملة ولوا على أعقابهم نا كصين ألسنتهم منطلقة بالدعوى وقلوبهم خالية من التقوى ألم يسمعوا قوله سبحانه و تعالى ليسأل الصادقين (٥٦) عن صدقهم أترى اذا سال الصادقين أيترك المدعين من غير سؤال ألم يسمعوا قوله تعالى وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون فهم فى اظهار زى الصادقين وعملهم عمل المعرضين قال الله تعالى وأتوا البيوت من أبوابها فاعلم ان باب الرزق طاعة الرازق فكيف يطلب منه بمعصيته أم كيف يستمر فضله بمخالفته وقد قال عليه أفضل الصلاة والسلام لاينال ماعند الله بسخطه أي لايطلب رزقه الا برضاه وقد قال تعالى مبينا لذلك بقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ولهذا المعنى قال الشيخ أبو العباس رضي الله تعالى عنه فى حزبه لما قال وأعطنا كذا وكذا قال والرزق الهنى الذي لاحجاب به فى الدنيا ولا حساب ولا سؤال ولا عقاب عليه فى الآخرة على بساط علم التوحيد والشرع سالمين من الهوى والشهوة والطبع واحذر من التدبير مع الله فمثال المدبر مع الله كعبد أرسله السيد الى بلد ليصنع له ثيابا فدخل العبد تلك البلدة فقال اين أسكن ومن ومن أتزوج فاشتغل بذلك وصرف همته لما هنالك وعطل ما أمره السيد به حتى دعاه اليه فجزاؤه من السيد ان جازاه القطيعه ووجود الحجبة لاشتغاله بامر نفسه عن حق سيده كذلك أنت أيها المؤمن أخرجك الحق الى هذه الدار وأمرك فيها بخدمته وقام لك بوجود التدبير

بقوله وسخر لى أمر هذا الرزق واعصمنى من الحرص والتعب فى طلبه ومن شغل القلب و تعلق الهم به ومن الذل للخلق بسببه ومن التفكر والتدبير فى تحصيله ومن الشح والبخل بعد حصوله وليس العوارض الواردة فى شأن الرزق بمنحصرة حتى تستوفى فلنتكلم على ماقاله الشيخ رحمه الله * فاعلم ان للعبد بالنسبة الى الرزق ثلاثة أحوال حال قبل أن يرزقه وهى حالة السعى وحال بعد ذلك وهى حالة الحصول وحال بعد انقضائه وهى الحالة الثالثة فاما ما عرض قبل حصوله فالحرص والتعب فى طلبه وشغل القلب وتعلق الهم به والذل للخلق بسببه والتفكر والتدبير فى تحصيله فاما الحرص فهو الرغبة القائمة بالنفس فى التحصيل له والانكباب على ذلك وهو ينشأ عن فقد ان الثقة وضعف اليقين وهما ناشئان عن فقدان النور و فقدان النور ناشيء عن وجود الحجبة اذ لو كان القلب بانوار المشاهدة معمورا وبمنن الله مغمورا لم تطرقه طوارق الحرص ولو انبسط نور اليقين على القلب لكشف له عن سابق القسمة فلم يمكنه الحرص وعلم العبد أن له عند الله قسمة لا بد أن يوصلها اليه وأما التعب فى طلبه فاما ان يكون تعب الظواهر و يكون الاستعاذة منه الى الله تعالى لانه اذا استولى على الطالب للرزق التعب فى الظاهر شغله ذلك عن القيام بالاوامر والرزق مع الراحة فيه اعانة على التفرغ الى طاعة الله تعالى والقيام بخدمته وان كان التعب هو تعب القلوب لاتعب الظواهر فهو أولى بان يستعاذ منه وذلك بان القلوب يتعبها تكلفها فى طلب الرزق والفكرة فيه ويثقلها ماحملت من ذلك ولا راحة لها الا بالتوكل على الله لان المتوكل على الله وضع اثقاله والله تعالى يحملها عنه لقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه * ثم قال الشيخ رضي الله عنه ومن شغل القلب وتعلق الهم به فشغل القلب بامر الرزق قاطع عظيم حتى قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله أكثر ما حجب الخلق عن الله تعالي شيآن هم الرزق وخوف الخلق وهم الرزق أشد الحجابين وذلك ان أكثر الناس قد يخلومن هم خوف الخلق ولا يخلو من هم الرزق الا القليل لاسيما وشاهد الفاقة قائم بوجودك وأنت مفتقر الى مايقيم بنيتك ويشد قوتك (قوله) وتعلق الهم به أى تعلق الهمة بامر الرزق توجها واستغراقا حتى لا يبقى فيه متسع لغيره وهذه حالة توجب القطيعة وتكسف أنوار الوصلة وتنادي على صاحبها بخراب قلبه من نور اليقين وفلسه من القوة والتمكين (وقوله) ومن الذل للخلق بسببه فاعلم ان من ضعف يقينه وقل من قسمة العقل نصيبه فانذلة لازمة له لطمعه فى الخلق ولعدم ثقته بالملك الحق وذلك لانه لم يشهد سابق قسمة الله تعالى ولم يظفر بصدق وعده فذل للخلق متملقا ولح اليهم متعلقا وذلك عقوبة الغفلة عن الله تعالى ولعذاب الآخرة أشد ولو صح ايمانه وثقته بالله لكان بذلك عزيزا ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فعزة المؤمن بربه لايعتز بغيره لعلمه ان العزة لله جميعا وانه العزيز فلا عزيز معه والمعز فلا معز معه فاعزته الثقة ونصره التوكل فلم يهن لصدق ثقته بربه فى قسمته ولم يحزن لاعتماده عليه فى وجود منته سامعا قوله تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين فعزة المؤمن بترك الطمع فى الخلق ووجود الثقة بالملك الحق أبي له ايمانه ان يرفع حاجته لغير ربه أوان يصرف لما سواه قلبه ولذلك قال بعضهم

حرام على من وحد الله ربه * وأفرد أن يجدى أحدا رفدا

ويا صاحبي قف لى مع الحق وقفة * أموت بها وجدا وأحيا بها وجدا

وقل لملوك الارض تجهد جهدها * فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدي

منه لك فان اشتغلت فيها بتدبير نفسك عن حق سيدك فقد عدلت عن سبيل الهدى وسلكت مسالك الردى ومثال المؤمن مع الله كعبدين للملك أما أحدهما فمشتغل باوامر سيده لا يلتفت الى ملبس ولا مأكل بل انما همته خدمة السيد فاشغله ذلك عن التفرغ لحظوظ نفسه وأما العبد الآخر فكيف ماطلبه سيده وجده يغسل ثيابه وفي سياسة مركوبه تحسين زيه (٥٧) فالعبد الاول أولى فاقبل سيده من العبد الثاني والعبد انما اشترى للسيد لا لنفسه كذلك العبد البصير الموفق لا تراه الا مشغولا بحقوق الله وامتثال أوامره عن محاب نفسه ومهماتها فلما كان كذلك قام له الحق سبحانه وتعالى بكل أوامره وتوجه له بجزيل عطائه لصدقه في توكله لقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه والغافل ليس كذلك لا تجده الا في تحصيل دنياه وفي الاشياء التي توصله الى هواه ومثال العبد مع الله في هذه الدار كالطفل مع أمه ولم تكن الام لتدع تدبير ولدها في كفالتها ولان تخرجه من رعايتها كذلك المؤمن مع الله قائم له بحسن الكفالة فهو سائق اليه المنن ودافع عنه المحن ومثال العبد في الدنيا كمثل عبد قال له السيد اذهب الى أرض كذا وكذا واحكم أمرك أن تسافر منها في برية كذا وكذا وخذ أهبتك وعدتك فاذا اذن له السيد في ذلك فمعلوم أنه قد أباح له ان

يأكل ما يستعين به على اقامة بنيته ليسعى في طلب العدة وليقوم بوجود الاهبة كذلك العبد مع الله أوجده في هذه الدار وأمره أن يتزود منها لمعاده فقال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى فمعلوم انه اذا أمر بالزاد للآخرة فقد أباح له ان يأخذ من الدنيا ما يستعين به على تزوده الى الآخرة واستعداده وتأهبه لمعاده ومثال العبد مع الله كمثل اجير اتى به ملك الى داره وأمره أن يعمل عملا فما كان الملك ليأتي

ومن حرره الله من رق الطمع وأعزه بوجود الورع فقد أجزل عليه منته وكمل عليه همته واعلم أن الله قد كساك أيها المؤمن خلعا عديدة منها خلعة الايمان والمعرفة والطاعة والسنة فلا تدنسها بالطمع في المخلوقين وبالاستناد الى غير رب العالمين قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله رأيت النبي عليه السلام في المنام فقال لي يا علي طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله في كل نفس فقلت يارسول الله وما ثيابي فقال اعلم ان الله تعالى كساك حلة الايمان وحلة المعرفة وحلة التوحيد وحلة المحبة قال ففهمت حينئذ قوله تعالى وثيابك فطهر فمن عرف الله صغر لديه كل شيء ومن أحب الله هان عليه كل شيء ومن وحد الله لم يشرك به شيأ ومن آمن بالله أمن من كل شيء ومن أسلم لله قل ما يعصيه وان عصاه اعتذر اليه وان اعتذر اليه قبل واعلم رحمك الله ان رفع الهمة لسالكي طريق الآخرة عن الخلق وعدم التعرض لهم أزين لهم من الحلي للعروس وهم أحوج اليه من الماء لحياة النفوس ومن خلعت عليه خلعة الملك فحفظها وصانها أحرى أن تدام له وأن لا تسلب عنه والمدنس لخلع المواهب أحرى أن لا تترك له فلا تدنس أيها الاخ ايمانك بطمعك في المخلوقين ولا تجعلن اعتمادك الا على رب العالمين فان اعتززت بالله دام عزك بدوام من اعتززت به وان اعتززت بغيره فلا بقاء لعزك اذ لا بقاء لمن أنت به معتز أنشد لي بعض الفضلاء لنفسه

ليكن بربك كل عز * ك يستقر ويثبت
فان اعتززت بمن يموت فان عزك ميت

ودخل انسان على بعض العارفين وهو يبكي فقال ما شأنك قال مات استاذي فقال له ذلك العارف ولم جعلت أستاذك من يموت ويقال لك اذا اعتززت بغير الله فقدته واذا استندت الى غيره عدمته وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما وكن أيها العبد ابراهيميا فقط قال أبوك ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه لا أحب الآفلين وماسوى الله تعالى آفل إما وجودا واما امكانا وقد قال الله تعالى ملة أبيكم ابراهيم أي اتبعوا ملة أبيكم ابراهيم فواجب على المؤمن أن يتبع ملة ابراهيم ومن ملة ابراهيم رفع الهمة عن الخلق فانه يوم زج به في المنجنيق تعرض له جبرائيل عليه السلام فقال أما اليك وأما الى الله فبلى قال سله قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فانظر كيف رفع ابراهيم صلوات الله وسلامه همته عن الخلق ووجهها الى الملك الحق فلم يستغث بجبرائيل ولا احتال على السؤال من الله تعالى بل رأى الحق أقرب اليه من جبرائيل ومن سؤاله فلذلك سلمه من النمرود ونكاله وانعم عليه بنواله وأفضاله وخصه بوجود اقباله ومن ملة ابراهيم معاداة كل ما شغل عن الله وصرف الهمة بالرد الى الله تعالى لقوله فانهم عدو لي الا رب العالمين والغنى ان أردت الدلالة عليه فهو في الياس من الناس ولقد قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله أيست من نفع نفسي لنفسي فكيف لا أيأس من نفع غيري لنفسي ورجوت الله لغيري فكيف لا أرجوه لنفسي وهذا هو الكيمياء والاكسير الذي من حصل له غنى لا فاقة فيه وعز لا ذل معه وانفاق لا نفاذ له وهو كيمياء أهل الفهم عن الله تعالى قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله صحبني انسان وكان ثقيلا على فبسطته فانبسط فقلت له ياولدي ما حاجتك ولم صحبتني قال ياسيدي قيل لي أنك تعلم الكيمياء فصحبتك لأتعلم منك فقلت له صدقت وصدق من حدثك ولكن اخالك أن لا تقبل فقال بلى أقبل فقلت له نظرت الى الخلق فوجدتهم على قسمين أعداء وأحباء فنظرت الى الاعداء فعلمت أنهم

بالاجير ويستخدمه فى داره ويتركه من غير تغذية اذهو أكرم من ذلك فكذلك العبد مع الله فالدنيا دار الله والاجير هو أنت والعمل هو الطاعة والاجرة هي الجنة ولم يكن الله ليامرك بالعمل ولا يسوق لك ما به تستعين عليه الا خيرك ومثال العبد مع الله تعالى كمثل عبد أمره الملك أن يقيم فى أرض كذا ويحارب فيها العدو (٥٨) ويجاهده فيها فمعلوم أنه اذا أمره بذلك أباح له أن يأكل من مخازن تلك الارض بالامانة ليستعين به على محاربة العدو وكذلك العباد أمرهم الحق سبحانه وتعالى بمحاربة النفس والشيطان ومجاهدتهما لقوله تعالى وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتبا كم وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فلما أمر العبد بمحاربته أذن له أن يتناول من منابت أرضه ما يستعين به على محاربة الشيطان اذ لو تركت المأكل والمشرب لم يمكنك أن تقوم بطاعته ولا ان تنهض لخدمته ومثال العبد مع الله كمثل ملك له عبد فبنى دارا وبهجها وحسنها وتولى غراسها وكمل المشتهيات فيها فى غير الموطن الذى فيه العبيد وهو يريد أن ينقلهم اليها أترى اذا كانت هذه عنايته بهم فيما ادخر لهم عنده وهيأه لهم بعد الرحلة أيمنعهم ههنا ان يتناولوا من منه وفضلات طعامه وقد هيأ لهم الامر العظيم والفضل الجسيم كذلك العباد مع الله جعلهم فى الدنيا وهيأ لهم الجنة فلا يريد أن يمنعهم من الدنيا ولكن ما يقيم به وجودهم فقال تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال تعالى يا أيها الناس كلوا من طيبات ما رزقنا كم واذا ادخر لك الباقي ومن عليك به لا يمنعك الفاني فانما يمنعك ما لم يقسمه لك وما لم يقسمه لك فليس لك ومثال المهموم بامر

لا يستطيعون أن يشركوني بشوكة لم يردني الله بها فقطعت نظري عنهم ثم تعلقت بالاحياء فرأيتهم لا يستطيعون أن ينفعوني بشيء لم يردني الله به فقطعت اياسي منهم وتعلقت بالله تعالى فقيل لى أنك لن تصل الى حقيقة هذا الامر حتى لا تشك فينا وتيأس من غيرنا أن يعطيك غير ما قسمناه لك * وقال مرة أخري رحمه الله لما سئل عن الكيمياء فقال أخرج الطمع من قلبك واقطع يأسك من ربك أن يعطيك غير ما قسم لك وليس يدل على شعار العبد كثرة عمله ولا مداومته على ورده وانما يدل على نوره غناه بربه وانحياسه اليه بقلبه وتحرره من رق الطمع وتحلية بحليه الورع وبذلك تحسن الاعمال وتزكو الاحوال قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا فحسن الاعمال انما هو بالفهم عن الله والفهم هو ما ذكرناه من الاغتناء بالله والاكتفاء به والاعتماد عليه ورفع الحوائج اليه والدوام بين يديه وكل ذلك من ثمرة الفهم عن الله تعالى وتفقد وجود الورع من نفسك أكثر مما تتفقد ما سواه وتطهر من الطمع فى الخلق فلو تطهر الطامع فيهم بسبعة أبحر ما طهره الا اليأس منهم ورفع الهمة عنهم وقدم على بن ابي طالب رضي الله عنه البصرة فدخل جامعها فوجد القصاص يقصون فاقامهم حتى جاء الى الحسن البصري فقال يافتى انى سائلك عن شيء فان أجبت عنه أبقيتك والا أقمتك كما أقمت أصحابك وكان قد رأى عليه سمتا وهديا فقال الحسن سل عما شئت فقال له على رضي الله تعالى عنه ما ملاك الدين قال الورع قال فما فساد الدين قال الطمع قال اجلس فمثلك من يتكلم على الناس * وسمعت شيخنا ابا العباس رحمه الله يقول كنت فى ابتداء أمرى بثغر الاسكندرية جئت الي بعض من يعرفني فاشتريت منه حاجة بنصف درهم ثم قلت فى نفسى لعله لا يأخذه مني فهتف بي هاتف السلامة فى الدين بترك الطمع فى المخلوقين وسمعته يقول صاحب الطمع لا يشبع أبدا ألا ترى حروفه كلها مجوفة الطاء والميم والعين فعليك أيها المريد برفع همتك عن الخلق ولا تذل لهم فى شأن الرزق فقد سبقت قسمته وجودك وتقدم ثبوته ظهورك واسمع ما قال بعض المشايخ أيها الرجل ما قدر لما ضغيك أن يمضغاه فلا بد أن يمضغاه فكله ويحك بعز ولا تأكله بذل * اعلم أن من عرف الله وثق بضمانه وكفالته وأنه لا يكمل فهم العبد حتى يكون بما فى يد الله أوثق منه بما فى يديه وبضمان الحق وثق منه بضمان الخلق ويكفيك جهلا أن لا تكون كذلك ورأى بعضهم رجلا يلازم الجامع ولا يخرج عنه فتعجب من ملازمته وفكر فى نفسه من أين يأكل فقال له يوما من أين تأكل فقال له ذلك الرجل ان لى صاحبا يهوديا وعدني كل يوم برغيفين فهو يأتيني بهما فقال له ذاك اذا فقال له ذلك العارف يا مسكين وثقت لي بوعد يهودى وما وثقت لى بوعد الله سبحانه وتعالى وهو الصادق الوعد الذي لا يخلف الميعاد وقد قال تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها فاستحيا منه ذلك الرجل وذهب وعن آخر أنه صلى خلف امام أياما فقال له الامام يوما وقد تعجب من ملازمته المسجد وتركه الاسباب من أين تأكل فقال قف حتى أعيد صلاتى فانى لا أصلى خلف من شك فى الله والحكايات فى هذا كثيرة * قيل لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه لو ان انسانا أدخل بيتا وطين ذلك البيت عليه من أين يأتيه رزقه فقال رزقه من حيث يأتيه أجله فانظر هذه الحجة ما أبهرها وهذه البينة ما أظهرها (وقول) الشيخ رحمه الله ومن التفكر والتدبير فى تحصيله فالتفكر أن تستحضر فى نفسك أنه لا بد لك من غذاء يقيم بنيتك والتدبير أن تقول هو من وجه كذا وكذا لا ولكن هو من وجه كذا وكذا ويكثر ذلك ويتردد على القلب

دنياه الغافل عن التزود لاخراه كمثل انسان جاءه سبع وهو يريد أن يفترسه ووقع عليه ذباب فاشتغل بذب الذباب ودفعه عن التحرز من السبع والحق ان هذا عبد أحمق فاقد وجود العقل ولو كان متصفا بالعقل لشغله أمر الاسد وصولته وهجومه عليه عن الفكرة فى الذباب كذلك المهتم بامر دنياه عن التزود للآخرة دل ذلك منه على وجود حمقه اذ لو كان (٥٩) فهما عاقلا لتأهب الدار الآخرة التى هو مسؤل عنها وموقوف عليها فلا يشتغل بامر الرزق فان الاهتمام به بالنسبة للآخرة نسبة الذباب الى مفاجاة الاسد وهجومه ومثال المدخر للامانه كعبد الملك لايرى ان له مع سيده شيأ ولا يعتمد على ادخار ما فى يده ولا بدله منه بل على مايختاره السيد له فاذا فهم هذا العبد ان الامساك مراد السيد أمسك لسيده لا لنفسه حتى يتخير موضع صرفه فيكون له صارفا حين يفهم من سيده ارادة صرفه فهذا بامساكه غير ملوم لانه أمسك لسيده لا لنفسه كذلك أهل المعرفة بالله ان بذلوا ففيه وان أمسكوا فله يبتغون ما فيه رضاه لايريدون ببذلهم وامساكهم الا اياه فهم خزان أمناء وعبيد كبراء وابرار كرماء قد حررهم الحق من رق الآثار فلم يميلوا اليها بحب ولم يقبلوا عليها بود منهم من ذلك ما أسكنه فى قلوبهم من حب الله ووده وما امتلأت به صدورهم من عظمته ومجده فصارت الاشياء فى أيديهم كهى فى خزائن الله من قبل أن تصل اليهم علما منهم بان الله تعالى يملكهم ويملك ماملكهم * بيان للمعتبرين وهداية المستبصرين وهو أن من خرج من تدبيره لنفسه كان الله هو المتولى لحسن التدبير له والتدبير على قسمين تدبير محمود وتدبير مذموم فالتدبير المذموم هو كل تدبير ينعطف على

حتى لاتدري أن كنت مصليا ماذا صليت أو تاليا ماذا تلوت فتتكدر عليك تلك الطاعة التى أنت فيها وتحرم أنوارها وتمنع أسرارها فاذا ورد عليك ذلك فاهدم بناءه بفاس الثقة ودكه بوجود اليقين واعلم رحمك الله ان الله تعالى قد تولى تدبيرك من قبل ان تكون وانك ان أردت نصح نفسك فلا تدبر لها فان التدبير منك لها اضرارها اذ ذلك مما يوجب احالتك عليك ويمنع امداد اللطف أن يصل اليك والمؤمن لا يدعه الحق سبحانه وتعالى لوجود التدبير ولا لمنازعة المقادير فان عرض ذلك عليك أو خطر فلا تثبت له فان نور الايمان لايدعه لذلك وكان حقاً علينا نصر المؤمنين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق (وقول) الشيخ رحمه الله ومن الشح والبخل بعد حصوله فهذان من العوارض بعد الحصول وهما ينشئان عن ضعف اليقين وعدم الثقة فحينئذ يكون الشح ويقع البخل وقد ذم الله تعالى الشح والبخل كليهما فى كتابه العزيز فقال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فمفهومه ان صاحب الشح لافلاح له أي لا نور له والفلاح هو النور وقال تعالى فى وصف المنافقين أشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله أعمالهم وقال تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون وقال تعالى ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والبخل والشح يطلق على أقسام ثلاثة (الاول) أن تبخل بما فى يدك أن تبذله فى واجبات الله تعالى (الثاني) أن تبخل به ولم يتعلق بك الوجوب على عباد الله (الثالث) أن تبخل بنفسك أن تبذلها لله تعالى * والبخل الاول هو أن تبخل فلا تؤتي الزكاة وقد خوطبت بها أو لا تقوم بحق وقد تعين عليك من نفقات الابوين فى فقرهما والاولاد فى فقرهم وصغرهم وكنفقات الزوجات وبالجملة فكل حق أوجب الله عليك القيام به فتخلفك عنه مما يطلق عليك لسان الذم وتستحق به العقوبة وفى ذلك جاء قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم قال أهل العلم الكنز هو المال الذى لا تؤدى زكاته فاذا أديت زكاته لايكون كنزا معناه لايدخل تحت هذا الوعيد ولا يطلق عليه لسان الذم * القسم الثاني البخل بالبذل فيما لم يتعلق به الوجوب كمن أخرج زكاة ماله ثم لم يبذل منه شيئا بعد ذلك وهذا وان كان قد فعل ما أمره الله تعالى به من اخراج ماوجب عليه ينبغى ان لايقتصر عليه فان الاقتصار على الواجبات وترك نوافل الخيرات انما هو حال الضعفاء فلا ينبغى للمؤمن المعتنى باصلاح شأنه مع الله تعالى أن يترك معاملة الله تعالى فيما لم يوجبه الله عليه فانه ان كان كذلك كان حاله كمن يصلى الفرائض ولا يقوم برواتبها ويكفيك أيها العبد قوله تعالى فيما حكاه عنه رسول الله عليه الصلاة والسلام ما تقرب الي المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ولساناً وقلباً وعقلا ويداً ومؤيداً فقد بين سبحانه وتعالى أن تكرار النوافل والقيام بها يوجب للعبد وجود الحب من الله تعالى والنوافل كل ما لم يطلبك بها لسان ايجاب من صلاة أو صدقة أو حج أو غير ذلك ومثل القائم بالفرائض من الصلوات المقتصر عليها والقائم بها وبالنوافل أو المخرج للزكاة المقتصر عليها والمخرج لها والمؤثر معها كعبدين لسيد جعل عليهما كل يوم خراجا على كل عبد درهمين فاما العبد الواحد فانه يؤتى للسيد بذلك ولا تزيد عليه شيئاً ولا يهاديه ولا يوادده وأما العبد الآخر فانه يقوم للسيد كل يوم بما قام به صاحبه لكن يشتري من الطرف والفواكه مايهدي الي سيده زائداً عن خراجه فهذا العبد لامحالة أحظي عند السيد وأوفر نصيبا من الحب وأقرب الى اقبال السيد لان العبد القائم بما

نفسك بوجود حظها ليس لله فيه شيء كالتدبير في تحصيل معصية أو في حظ بوجود غفلة أو طاعة بوجود رياء وسمعة ونحو هذا فهذا أمر مذموم لانه اما موجب عقابا واما موجب حجابا ومن عرف نعمة العقل استحيا من الله سبحانه أن يصرف عقله الى تدبير ما لا يوصله الى قربه ولا يكون

سببا لوجود حبه والعقل أفضل مامن الله به على عباده لانه سبحانه خلق الموجودات وتفضل عليها بالايجاد ودوام الامداد فاشتركت الموجودات فى ايجاده وامداده فلما اشتركت اراد الحق سبحانه ان يميز الآدمى عنهم فاعطاه العقل وايده به وفضله بذلك على الحيوان وأكمل به نعمته على الانسان وبالعقل ووفوره واشراقه ونوره تتم مصالح الدنيا والآخره فصرف نعمة العقل الى تدبير الدنيا التى لاقدار لها عند الله تعالى كفر لنعمة العقل وتوجهه الى الاهتمام باصلاح شأنه فى معاده قياما بشكر المحسن اليه والمفيض من نوره عليه أحق به وأحرى وافضل له واولي فلا تصرف عقلك الذي من الله به عليك فى تدبير الدنيا التى هى كما اخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله الدنيا جيفة قذرة كما قال الضحاك ماطعامك قال اللحم واللبن قال ثم يعود الى ماذا قال الى ماقد علمت يارسول الله قال فان الله قد جعل مايخرج من ابن آدم مثلا للدنيا والتدبير والمحمود هو ما كان تدبيرا فان الي مايقربك الى الله سبحانه وتعالى كالتدبير فى براءة الذمة من حقوق المخلوقين اما وفاء وأما استحلالا وتصحيح التوبة الى رب العالمين والفكرة فيما يؤدي الى قمع الهوى المردى والشيطان المغوي فهذا كله محمود لاشك فيه ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه

خورج عليه غير متودد للسيد وانما أعطاه اشفاقا من عقوبته والعبد الذي أعطى لسيده ماخارجه عليه وهاداه بعد ذلك فهو قد سلك مسلك التودد للسيد والتعرض لحبه فهو حري أن يظفر بقربه وحبه وانما جعل الحق تعالى الايجاب على العباد علما منه بما هم عليه من وجود الضعف وبما نفوسهم متصفة به من وجود الكسل فاوجب عليهم ما أوجب لانه لو خيرهم فيما أوجب عليهم لم يكونوا به قائمين الا قليلا وقليل ماهم فاوجب عليهم وجود طاعته وفى التحقيق ما أوجب عليهم الا دخول جنته فساقهم الي الجنة بسلاسل الايجاب عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل ﴿تنبيه واعلام﴾ اعلم رحمك الله انا تاملنا الواجبات فرأينا الحق تعالى جعل فى كل ما أوجبه تطوعا من جنسه فى أي الانواع كان ليكون ذلك التطوع فى ذلك الجنس جابرا لما عساه أن يقع من الخلل فى قيام العبد بالواجبات وكذلك جاء فى الحديث انه ينتظر فى مفروض صلاة العبد فان نقص منها شيء كمل له من النوافل فافهم رحمك الله هذا ولا تكن مقتصرا على مافرض الله عليك بل ليكن فيك ناهضة حب توجب اكبابك على معاملة الله فيما لم يوجبه عليك ولو كان العباد لا يجدون فى موازينهم الا فعل الواجبات وثواب ترك المحرمات لفاتهم من الخير والمنة مالم يحصره حاصر ولا يحزره حازر فسبحان الفاتح للعباد باب المعاملة والمبين لهم أسباب المواصلة واعلم أن الحق تعالى علم أن فى عباده ضعفاء وأقوياء فاوجب الواجبات وبين المحرمات فالضعفاء اقتصروا على الواجبات والترك للمحرمات وليس فى قلوبهم من سلطان الحب ووجود الشغف ما يحملهم على المعاملة من غير ايجاب فمثلهم كمثل العبد الذي يعلم السيد منه انه ان لم يخارجه لم يهد اليه شيئا فلذلك وقت سبحانه وتعالى الاوراد ووظائف العبودية وعرف ذلك بالطالع والغارب والزوال وصيرورة كل شيء مثله فى الصلاة وبالحول فى الاموال النامية فى العين والحرث والماشية وبوقت حصول المنفعة فى الزرع وآتوا حقه يوم حصاده وبعشر ذي الحجة فى الحج وبشهر رمضان فى الصيام فوظف الوظائف ووقتها وجعل للنفوس فيما سواها فسحة للحظوظ والسعي فى الاسباب وأهل الله تعالى وأهل الفهم عنه جعلوا الاوقات كلها وقتا واحدا والعمر كله نهجا الى الله قاصدا فعلموا ان الوقت كله له فلم يجعلوا شيئا منه لغيره ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله عليك بورد واحد وهو اسقاط الهوى ومحبة المولي أبت المحبة أن تستعمل محبا الا فيما يوافق محبوبه وعلموا ان الانفاس أمانات الحق عندهم وودائعه لديهم فعلموا أنهم مطالبون برعايتها ووجههم اهممهم لذلك وكما ان الربوبية الدائمة كذلك حقوق ربوبيته عليك دائمة فربوبيته عليك غير مؤقتة بالاوقات فحقوق ربوبيته ينبغى أن تكون أيضا كذلك يقول الشيخ أبو الحسن رحمه الله فان لكل وقت سهما فى العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية ولنحبس عنان المقال لئلا نخرج عن غرض الكتاب ﴿القسم الثالث﴾ من أقسام الايثار وهو الايثار بالنفس فهذا هو أفضل الوجوه الثلاثة وانما أوثر بغيره لاجله فمن آثر الله تعالى بما أوجبه عليه فقد لا يؤثره بما فى يديه مما لم يوجبه عليه ومن آثر الله تعالى بما فى يديه مما لم يوجبه عليه فقد لا يؤثره بنفسه ولا يسخو ببذلها فان السخاء بالنفس والبذل لها من اخلاق الصديقين وشأن أهل اليقين الذين عرفوا الله فبذلوا له نفوسهم علما منهم أن العبد لا يملك مع السيد شيئا واذا كان الايثار بالنفس هو أكمل الوجوه فيكون البخل بها أقبح الوجوه فقد تبين من هذا قول الشيخ ومن الشح والبخل بعد حصوله على طريق الالحاح لا الاستقصاء

وسلم فكر ساعة خير من عبادة سبعين والتدبير للدنيا على قسمين تدبير الدنيا للدنيا وتدبير الدنيا للآخرة فتدبير الدنيا للدنيا هو ان يدبر في أسباب جمعها افتخارا بها واستكثارا لها وكلما زيد فيها شيء ازداد غفلة واغترارا فامارة ذلك أن تشغله عن الموافقة وتؤديه الى المخالفة وتدبير الدنيا للآخرة كمن يدبر المتاجر ليأكل منها حلالا (٦١) أو لينعم بها على ذي الفاقة افضالا وليصون بها نفسه عن الناس اجمالا فامارة ذلك عدم الاستكثار والادخار والاسعاف والايثار فقد تبين من هذا انه ليس كل طالب للدنيا مذموما بل المذموم من طلبها لنفسه لا لربه ولدنياه لا لآخرته فالناس اذا على قسمين عبد طلب الدنيا للدنيا وعبد طلب الدنيا للآخرة وسمعت شيخنا أبا العباس المرسي رضي الله عنه يقول العارف لادنيا له ولا آخرة لان دنياه لآخرته وآخرته لربه وعلى هذا تحمل أحوال الصحابة والسلف رضي الله عنهم أجمعين فكلما دخلوا فيه من الاسباب فهم بذلك الي الله متقربون ولرضاه منتسبون لايقصدون بذلك الدنيا وزينتها ووجود لذاتها ولهذا وصفهم الحق سبحانه وتعالى بقوله تعالي محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم الآية وماظنك بقوم يحبهم الله واختارهم لصحبة رسوله ﷺ ولمواجهة خطابه في تنزيله فما أحد من المؤمنين الى يوم القيامة الا وللصحابة في عنقه منن لا تحصي وأيادي لا تنسي لانهم هم الذين حملوا الينا عن النبي ﷺ الحكم والاحكام وبينوا الحلال من الحرام اصحابي الخاص والعام وفتحوا الاقاليم والبلاد وقهروا أهل الشرك والعناد وبحق قوله صلى الله عليه وسلم صلاة وسلاما دائما أبدا اصحابي

فان الكتاب غير موضوع لهذا المعني (القسم الثالث) من أقسام العوارض في شأن الرزق فانا ذكرنا ان العوارض التي تعرض في شأن الرزق على ثلاثة أقسام عوارض قبل الحصول وعوارض في الحصول وقد تقدم ذكرهما في كلام الشيخ فيهما وبينا نحن ذلك وعوارض بعد حصوله وتفاده من الاسف والندم عليه ودوام التطلع اليه فينبغي أن تطهر منها أيضا واسمع قوله تعالى لكيلا تيأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وقول النبي عليه السلام لما توفي ولد لاحدي بناته قال عليه السلام أعلمها أن لله ما أخذ وله ما أعطى ومن أسف على فقد شيء دون الله تعالى فقد نادي على نفسه بوجود الجهل وثبات القطيعة اذ لو وجد الله لم يفقد شيئا دونه فمن وجد الله فلا يجد شيئا دونه حتي يكون له فاقدا وليعلم العبد ان ما فاته ليس له برزق وما كان عنده ففقده فليس له لانه لو كان رزقه ما ذهب عنه الي غيره بل كان عارية عنده أخذ العارية من أعارها واسترجع الشيء من أوجده وكان لبعضهم ابنة عم مسماة عليه من الصغر فلما كبر جري مامنع زواجه اياها ثم تزوجت بزوج غيره فجاء اليه بعض أهل الفهم وقال له يصلح لك أن تعتذر الى هذا الزوج الذى تزوج ابنة عمك اذ كنت أنت المتطلع لزوجته اذ هي زوجته في الازل وكفى بالمؤمن تحذرا من الندم على ما فات قول الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين فقد ذم الحق تعالى من يسكن للاشياء في حين وجدها ألا تراه كيف قال فان أصابه خير اطمأن به أى اطمأن بذلك الخير ولو فهم لما اطمأن بشيء دون الله تعالى ولكانت طمأنينته بالله وحده وكذلك من يحزن عليها عند فقدها لقوله تعالى وان أصابته فتنة والفتنة فقد ذلك المشتهى الذى كان اليه ساكنا انقلب على وجهه أي دهش عقله وذهلت نفسه وغفل قلبه وماذلك الا لعدم معرفته بالله تعالى ولو عرف الله تعالى أغناه وجوده عن كل موجود واستغنى به عن كل مفقود ومن فقد الله لم يجد شيئا ومن وجده لم يفقد شيئا وكيف يفقد شيئا من يجد من بيده ملكوت كل شيء وكيف يفقد شيئا من وجد الموجد لكل شيء وكيف يفقد شيئا من وجد الظاهر في كل شيء فما سوى الله عند أهل المعرفة لا يتصف بوجد ولا بفقد اذ لا يوجد غيره معه لثبوت أحديته ولا فقد لغيره لانه لا يفقد الا ما وجد ولو انهتك حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الاعيان ولا شرق نور الايقان فغطى وجود الاكوان * واذ قد فهمت هذا فينبغي لك أيها العبد أن لا تيأس على فقد شيء وان لا تركن بوجود شيء فان من وجد شيئا فركن اليه أو فقد شيئا فحزن عليه فقد أثبت عبوديته لذلك الشيء الذي أفرحه وجوده وأحزنه فقده * وافهم ههنا قوله عليه السلام تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش فلا تحكم في قلبك أيها المؤمن شيئا الا حب الله وحده فانك أشرف من ان تكون عبدا لغيره فقد جعلك عبدا كريما فلا تكن عبدا لشيء وقد أبي لاهل الفهم عن الله تعالى فهمهم أن يركنوا للوجد أو يتطلعوا للفقد حفظا لعبوديتهم وتصحيحا لحريتهم عما سواه * وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول الكائن في الحال على قسمين عبد هو في الحال بالحال وعبد هو في الحال بالمحول والذي هو في الحال بالحال هو عبد الحال الذي يفرح بها اذا وجدها ويحزن عليها اذا فقدها وعبد هو في الحال بالمحول فذلك عبد الله لا عبد الحال وهو الذي لا يأسى عليها اذا فقدها ولا يفرح اذا وجدها فقوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف أى على

كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد وصفهم الله فى الآية الكريمة بأوصاف الى ان قال يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله دل ذلك من قوله سبحانه وتعالى انهم ما ابتغوا بما حملوه من الدنيا ولم يقصدوا بذلك الا وجهه الكريم وفضله العظيم وقال سبحانه وتعالى فى آية أخرى فى بيوت أذن الله أن (٦٢) ترفع ويذكر فيها اسمه الآية ولم ينف عنهم الاسباب ولا التجارة ولا البيع ولا الشراء فلا يخرجهم عن المدحة غناهم اذا قاموا بحقوق مولاهم قال عبد الله بن عتبة كان لعثمان بن عفان رضي الله عنه عند خازنه يوم قتل زنة مائة ألف وخمسمائة دينار وألف ألف درهم وترك ألف فرس وألف مملوك وخلف ضياعا بأريس وخيبر ووادي القرى ماقيمته مائتا ألف دينار وخلف عمرو بن العاص ثلثمائة ألف دينار وبلغ من مال الزبير ابن العوام خمسين ألف دينار وترك ألف فرس وألف مملوك وغنى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أشهر من أن يذكر وكانت الدنيا فى اكفهم لافى قلوبهم صبروا عنها حين فقدت وشكروا الله حين وجدت وانما ابتلاهم الله بالفاقة فى أول امرهم حتى تكملت أنوارهم وتطهرت أسرارهم فبذلها لهم حينئذ لانهم لو أعطوا منها قبل ذلك لعلها كانت تأخذ منهم فلما أعطوها بعد التمكين والرسوخ فى اليقين تصرفوا فيها تصرف الخازن الامين وامتثلوا فيها قول رب العالمين وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فكانت الدنيا فى أيدي الصحابة لا فى قلوبهم ويكفيك فى ذلك خروج عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن نصف ماله وخروج أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن ماله كله وخروج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن سبعمائة بعير موقورة بالاحمال

وجهة واحدة فان زالت زالت طاعته وانفصلت موافقته ولو فهم عنا لعبدنا على كل حالة وفى كل وجهة كما انه ربك تعالى فى كل حال كذلك فكن له عبدا فى جميع الاحوال فقوله سبحانه وتعالى فان أصابه خير اطمأن به أي ان أصابه خير مما يلائم نفسه هو فى نظره خير وقد يكون شرا فى نفس الامر وان أصابته فتنة انقلب أي فقد ذلك الخير الذى كان به مطمئنا وسماه فتنة لان الفقد اختبار ايمان المؤمن وفى الفقد يظهر أحوال الرجال فكم من ظان أن غناه بالله وانما غناه بوجود أسبابه وتعددات اكتسابه وكم من ظان أن أنسه بربه وانما أنسه بحاله دليل ذلك فقدانه لانسه عند فقدان حاله فلو كان أنسه بربه لدام أنسه بدوامه ولبقى ببقائه وقوله تعالى خسر الدنيا والآخرة خسر الدنيا بفقدان ما أراد منها وخسر الآخرة لانه لم يعمل لها فقدفاته ماطلبه وهو ماطلبنا حتى نكون له فافهم

(فصل) تذكر فيه أمثلة التدبير مع الله تعالى والمدبرين معه وامثلة الرزق وضمان الحق تعالى له فان بالمثال يتبين الحال مثل المدبر مع الله كمن بنى بناءه على شاطىء البحر كلما اجتهد فى بنائه كثرت عليه الامواج فتداعى جميع أنحائه كذلك المدبر مع الله تعالى يبنى مباني التدبير وتهدمها واردات المقادير لاجل ذلك قيل يدبر المدبر والقضاء يضحك وقال الشاعر

متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

(مثال آخر) مثل المدبر مع الله تعالى كرجل جاء الى رمال متراكمة فوضع عليها بناءه فجاءت العواصف فنسفت الرمال فنهدم مابناه كما قيل

وعهودهم بالرمل قد درست * وكذاك ما يبنى على الرمل

(مثال آخر) مثل المدبر مع الله تعالى كمثل ولد سافر مع والده فسارا ليلا والاب لاشفاقه على الولد يراقبه من حيث لا يراه الولد والولد لا يرى الوالد للظلمة الحائلة بينهما فالولد مهموم بامر نفسه كيف يفعل فى شأنه فاذا طلع القمر ورأى قرب الاب منه سكن جاشه وهدأ روعه لانه رأى قرب أبيه منه فاغتنى بتدبيره له عن تدبيره لنفسه كذلك المدبر مع الله تعالى لنفسه انما دبر لانه فى ليل القطيعة فلم يشهد قرب الله تعالى منه فلو طلع قمر التوحيد أو شمس المعرفة لرأى قرب الحق تعالى منه فاستحى أن يدبر معه واغتنى بتدبير الله تعالى له عن تدبيره لنفسه *(مثال آخر)* التدبير شجرة تسقى بماء سوء الظن وثمرتها القطيعة عن الله تعالى اذ لو حسن العبد ظنه بربه لماتت شجرة التدبير من قلبه لانقطاع غذائها وانما كان ثمرتها القطيعة عن الله تعالى لان من دبر لنفسه فقد اكتفى بعقله ورضي بتدبيره واحتال على وجوده فعقوبته أن يحال عليه وان يمنع واردات المنن أن تصل اليه *(مثال آخر)* مثل المدبر مع الله كعبد أرسله سيده الى بلد له ليضع له فيها قماشا فدخل العبد تلك البلدة فقال أين أسكن ومن أتزوج فاشتغل بذلك وصرف همته لما هنالك وعطل ما أمره به السيد حيث دعاه سيده اليه فجزاؤه من سيده أن جازاه بالقطيعة ووجود الحجبة لاشتغاله بامر نفسه عن حق سيده كذلك أنت أيها المؤمن أخرجك الحق الى هذه الدار وأمرك فيها بخدمته وقام لك بوجود التدبير لك منه فان اشتغلت بتدبير نفسك عن حق سيدك فقد عدلت عن سبيل الهدى وسلكت مسلك الردى *(مثال آخر)* مثل المدبر مع الله تعالى والذي لا يدبر كعبدين للملك اما أحدهما فمشتغل باوامر سيده ولا يلتفت الي ملبس ولا

ما كل بل انها تهمه خدمة السيد فاشغله ذلك عن التفرغ لحظوظ نفسه ومهماتها وعبد آخر كيفما طلبه السيد وجده فى غسل ثيابه وسياسة مركوبه وتحسين زيه فالعبد الاول أولى باقبال السيد من العبد الثاني المشتغل بحظوظ نفسه ومهماتها عن حقوق سيده والعبد انما اشترى للسيد لا لنفسه كذلك العبد البصير لا تراه الا مشغولا بحقوق الله تعالى ومراقبة أوامره عن محاب نفسه ومهماتها فلما كان كذلك قام له الحق تعالى بكل أمره وتوجه له بجزيل عطائه لصدقه فى توكله ومن يتوكل على الله تعالى فهو حسبه والغافل ليس كذلك لا تجده الا فى تحصيل أسباب دنياه وفى الاشياء التي توصله الى هواه قائما بوجود التدبير من نفسه لنفسه محالا عليها مقطوعا به عن وجود حسن الثقة وصدق التوكل * (مثال آخر) * مثل المدبر مع الله تعالى كالظل المنبسط فى عدم استواء الشمس فاذا استوت الشمس فنى ذلك الظل حتى لا يبقى منه الا بقية رسم لا تمحوه المقابلة كذلك شمس المعرفة اذا قابلت القلوب محت منها وجود التدبير الا بقاء رسم من تدبير المبدأ بقى فيه ليجرى عليه التكليف * (مثال آخر) * مثل المدبر مع الله تعالى لنفسه كرجل باع دارا أو عبدا ثم بعد المبايعة واتمامها جاء البائع الى المشتري فقال له لا تبن فيها شيأ أو أهدم منها بيت كذا أو افعل فيها كذا أوجاء البائع ليفعل ذلك فيقال له أنت قد بعت وليس لك بعد البيع تصرف فيما بعته اذ ليس بعد المبايعة منازعة وقد قال سبحانه وتعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة فعلى المؤمن أن يسلم نفسه لله وما ينسب اليها لانه أنشأها ولانه اشتراها ومن لازم التسليم ترك التدبير لما أنت له مسلم كما بيناه وأما الرزق فمثال رزق العبد فى هذه الدار كمثل سيد قال لعبده الزم هذه الدار قائما فيها بخدمة كذا فلم يكن السيد ليأمره بذلك الا وهو يطعمه ويسقيه ويكسيه ويقوم له بوجود الكفاية ولا تهمله من الرعاية كذلك العبد أمره الله تعالى فى الدنيا بالطاعة والموافقة وضمن له وجود القسمة فليقم العبد بخدمته فان السيد قائم عليه بمنته قال الله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقد تقدم بيانه (مثال آخر) مثل العبد مع الله تعالى فى هذه الدنيا كالطفل مع أمه ولم تكن الام لتدع ولدها من كفالتها ولا أن تخرجه من رعايتها وكذلك المؤمن مع الله تعالى قائم له الحق تعالى بحسن الكفالة فهو سائق اليه المنن ودافع عنه المحن رأى رسول الله عليه السلام امرأة معها ولدها فقال أترون أن هذه طارحة ولدها فى النار فقالوا لا يا رسول الله فقال عليه السلام الله أرحم بعبده المؤمن من هذه بولدها (مثال آخر) مثل العبد فى الدنيا كمثل عبد قال له سيده اذهب الى أرض كذا وكذا واحكم أمرك لان تسافر من تلك الارض فى برية كذا وخذ أهبتك وعدتك فاذا أذن له السيد فى ذلك فمعلوم انه قد أباح له أن يأكل ما يستعين به على اقامة بنيته ليسعى فى طلب العدة وليقوم بوجود الاهبة كذلك العبد أوجده الحق فى هذه الدار وأمره أن يتزود منها لمعاده فقال الحق تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى فمعلوم أنه اذا أمره بالزاد للآخرة فقد أباح له أن يأخذ من الدنيا ما يستعين به على تزوده واستعداده وتأهبه لميعاده (مثال آخر) مثل العبد مع الله تعالى كمثل سيد له بستان أمر عبده أن يكون فيه غارسا وزارعا وقائما بمصلحته فان كان ذلك العبد حين أمره بذلك قام بما طلبه السيد منه لا يخرج عنه فليس السيد بلائم له ولا مانع اياه من أكله من ذلك البستان فانه اذا أكل منه عمل فيه لكن على العبد أن يأكل ما يستعين به على الخدمة وأن لا يأكل أكل التمتع والتشهي (مثال آخر) مثل العبد مع الله كمثل

وتجهيز عثمان بن عفان رضي الله عنه جيش العسرة الى غير ذلك من حسن أفعالهم وسنى أحوالهم رضي الله عنهم أجمعين رضاء دائما أبدا فتضمنت الآيات الزكية لظواهرهم وسرائرهم واثبات محامدهم ومفاخرهم فقد تبين من هذا ان التدبير على قسمين تدبير الدنيا للدنيا كما هو حال أهل القطيعة اللئام الغافلين وتدبير الدنيا للآخرة كحال الصحابة الأكرمين والسلف الصالح (٦٣) رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وجعلنا ممن اقتدى بهم آمين بل ألف ألف آمين

(فصل) نذكر فيه مناجاة الحق سبحانه وتعالى لعبده على لسان هواتف الحقائق فى شأن التدبير والرزق أيها العبد ألق سمعك وأنت شهيد يأتك مني المزيد واصغ بسمعك فانا لست عنك ببعيد كنت بتدبيري لك قبل أن تكون لنفسك فكن لنفسك بان لا تكون لها وتوليت رعايتها قبل ظهورك وأنا الآن على الرعاية لها أنا المنفرد بالخلق والتصوير وأنا المنفرد بالحكم والتدبير لم تشاركني فى خلقي وتصويري فلا تشاركني فى حكمتي وحكمي وتدبيري أنا المدبر لملكي وليس لي فيه ظهير وأنا المنفرد بحكمي فلا أحتاج الى وزير أيها العبد من كان لك بتدبيره قبل الايجاد فلا تشاركه فى المراد ومن عودك حسن النظر منه اليك فلا تقابله بالعناد عودتك حسن النظر مني لك فعودني اسقاط التدبير منك معي أشكا بعد وجود التجربة وحيرة بعد وجود البيان وضلالا بعد وضوح الهدى وقد سلمت لي قيامي بمملكتي وأنت من مملكتي فلا تنازع ربوبيتي ولا تضادد بتدبيرك مع وجود الوهيتي متى أحوجتك اليك حتى تحتال عليك متى وكلت شيأ من مملكتي لغيري حتى أكل ذلك اليك متى خاب من كنت له مدبرا ومتى خذل من كنت له ناصرا أيها العبد لتشغلك خدمتي عن طلب قسمتي وليمنعك تحقيق

الظن بي عن اتهام ربوبيتي لا ينبغي ان يتهم محسن ولا أن ينازع مقتدر والا أن يضاد قهار ولا ان يعترض على حكيم ولا ان يعال هم مع لطيف لقد فاز بالنجح من خرج عن الارادة معي ولقد دل على تسيير الامور من احتال علي ولقد استوجب النصر مني عبد اذا تحرك يحرك بي ولقد استمسك باقوي (٦٤) الاسباب من استمسك بسببي أيها العبد نريد منك ان تريدنا ولا تريد معنا و نريد منك ان تختارنا ولا تختار معنا ونرضي لك ان ترضانا ولا ترضي سوانا وكما سلمت لي تدبيري فى أرضي وسمائي وانفرادي فيهما بحكمي وقضائي سلم وجودك لى فانك لى ولا تدبر معي فانك معي واتخذني وكيلا وثق بي كفيلا أعطك عطاء جزيلا وأهبك فخرا جليلا ويحك انا أجللنا قدرك أن نشغلك بامر نفسك فلا تصغر قدرك يامن رفعناه لاتذكر بحوالتك على غيري يامن أعززناه ويحك أنت عندنا أجل من أن نشغلك بغيرنا لحضرتي خلقتك واليها خطبتك وبجواذب عنايتي اليها جذبتك فان اشتغلت بنفسك حجبتك وان اتبعك اهواها طردتك وان خرجت عنها قربتك وان توددت الى باعراضك عماسواى أحببتك أيها العبد ما آمن بي من نازعني ولا وحدني من دبر معي ولا رضي بي من شكى ما أنزلت به الى غيري ولا اختارني من اختار معي ولا امتثل أمر من لم يستسلم لقهري لو طلبت التدبير لنفسك لجهلت فكيف اذا دبرت لها ولو اخترت معي ما انصفت فكيف اذا لك اخترت علي أيها العبد يكفيك من جهل ان تسكن لما فى يدك ولا تسكن لما فى يدي انا اختارلك ان تختارني أفتختار علي يامهموما بنفسه لو ألقيتها الينا لاسترجت ويحك اعباء التدبير لا يحملها الا الربوبية وليس يقوى عليها ضعيف البشرية ويحك انت محمول فلاتك حاملا

والدغرس غرسا كثيرا وبنى ربعا كبيرا فقيل له لمن فعلت هذا فقال لولد عساه أن يحدث لى فهيأ للولد مايحتاج اليه قبل وجوده حبا منه له افترى اذا أعد له الاب قبل وجوده أ يمنعه اياه بعد وجوده كذلك العبد مع الله تعالى هيأ له الحق المنة من قبل أن يخلقه فى هذه الدار لان المنة سابقة لوجودك ان فهمت ألا تري أنه سبق عطاؤه اياك وجودك ومنته عليك ظهورك اذ هو أعطى فى الازل قبل أن يكون العبد ويكون منه له عمل فما قسمه لك فى الازل وادخره ليس بمانعه عنك أهو هيأ لك قبل الوجود ويمنعك لما وجدت (مثال آخر) مثل العبد مع الله تعالى كمثل أجير أتي به ملك الى داره وامره بان يعمل له عملا فما كان الملك ليأتي بالاجير فيستخدمه فى هذه الدار ويتركه من غير تغذية اذ هو أكرم من ذلك كذلك العبد مع الله تعالى فالدنيا دار الله والاجير هو أنت والعمل هو الطاعة والاجرة هى الجنة ولم يكن الله ليأمرك بالعمل ثم لا يسوق لك ما به تستعين عليه (مثال آخر) مثل العبد مع الله تعالي كمثل ضيف نزل على ملك كريم فى داره فحق على ذلك الضيف ان لا يهتم بمأكل ولا مشرب لانه اذا فعل ذلك كان تهمة للملك وسوء ظن منه به وقد تقدم ذلك من قول الشيخ أبى مدين رحمه الله كذلك الدنيا دار الله والعباد فيها ضيوفه ولم يكن الله تعالى ليأمر بالضيافة على لسان رسوله عليه السلام ويكون لها تاركا فالمهتم فيها بمأكل ومشرب ممقوت فى نظر الملك اذ لولا شكه فى الله لما كان يهتم بشأنه (مثال آخر) مثل العبد مع الله تعالى كمثل عبد أمره الملك ان يقيم فى أرض كذا يحارب العدو الذى هنالك وان يبذل عزمه فى مجاهدته وأن يدوم على محاربته فمعلوم انه اذا أمره بذلك انه يبيح له ان يأكل من اهداء تلك البلدة ومخازنها بالامانة ليستعين بذلك على محاربة العدو الذى أمره الملك بمحاربته كذلك العباد أمرهم الحق بمحاربة الشيطان بقوله وجاهدوا فى الله حق جهاده وقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فلما أمرهم بمحاربته أذن لهم أن يتناولوا من منته ما يستعينون به على محاربة الشيطان اذ لو تركت المأكل والمشرب لم يمكنك أن تقوم لطاعته ولا أن تنهض بخدمته فقد تضمن أمر الملك بالمجاهدة اباحة تناول ماهو منسوب للمالك مما هو معد لك لكن على طريق الامانة محفوفا بالصيانة (مثال آخر) مثل العبد مع الله تعالى كشجرة غرسها غارس طالبا نموها ونتاجها فقد علمت الشجرة ان يكن لها علم أو علمنا ذلك فيها أنه ما كان ليغرسها ويمنعها السقي كيف وهو حريص على نتاجها مريد لنمائها كذلك أنت أيها العبد شجرة الله غارسك وهو ساقيك فى كل وقت قائم لك بوجود التغذية فلا تتهمه أن يغرس شجرة وجودك ثم يمنعك من السقيا بعد الغرس فانه ليس بغافل (مثال آخر) مثل العبد مع الله تعالى كمثل ملك له عبيد بنى دارا وأحسنها وبهجها وتولى غراسها وكمل المشتهيات فيها فى غير الموطن الذى العبد فيه وهو يريد أن ينقلهم اليها أترى اذا كان هذا غايته بهم فيما ادخره لهم عنده وهياه لهم بعد الرحلة أيمنعهم ههنا أن يتناولوا من منته وفضلات طعامه وهو قد هيأ لهم الامر العظيم والفضل الجسيم كذلك العباد مع الله جعلهم فى الدنيا وهيأ لهم الجنة كما هيأ لهم الآخرة وهو يريد أن يمنعهم من الدنيا مايقوم به وجودهم ولذلك قال تعالي كلوا واشربوا من رزق الله وقال تعالي كلوا من رزق ربكم واشكروا له وقال ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم فاذا ادخر لك الباقي ومن به عليك لا يمنعك الفاني فان منعك منه فانما منعك مالم يقسمه لك ومالم يقسمه

أردناراحتك فلا تكن لنفسك متعبا أيها العبد أمرتك بخدمتي وضمنت لك بقسمتي فاهملت ما أمرت وشككت فيما ضمنت ولم أكتف بقسمتي لك بالضمان حتى اقسمت ولم أكتف بالقسم حتى مثلت خاطبت عبادا يفهمون فقلت وفي السماء رزقكم وما توعدن فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون وقد رزقت من غفل عني وعصاني فكيف لا أرزق من أطاعني ودعاني ويحك الغارس للشجرة ساقيها والممد للخلقية هو باريها منى كان الايجاد وعلى دوام الامداد منى كان الخلق وعلى دوام الرزق أأدخلك داري وأمنعك ابراري أأبرك لكوني وأمنعك وجود عوني أأخرجك الى وجودي وأمنعك جودي لك هيات منى وفيك أظهرت رحمتي وما قنعت بالدنيا حتى ادخرت لك جنتي وما اكتفيت لك بذلك حتى أتحفتك برؤيتي فاذا كانت هذه أفعالي فكيف تشك في أفضالي فاخترني ولا تختر علي ووجه قلبك بالصدق الى فان فعلت أريتك غرائب لطفي وبدائع جودي وامتع سرك بشهودي لقد ظهرت الطريق لاهل التحقيق وبينت معالم الهدي لذوى التوفيق فبحق سلم الى الموقنون وبيان توكل على المؤمنون علموا انى خيرلهم من أنفسهم لا نفسهم وان تدبيري لهم احرى من تدبيرهم لها فاذعنوا الربوبيتي مستسلمين وطرحوا أنفسهم بين يدي مفوضين فعوضتهم عوض ذلك راحة في نفوسهم ونورا في عقولهم ومعرفة في قلوبهم وتحقيقا بقربي في أسرارهم هذا في هذه الدار ولهم عندي اذا قدموا على أن أجل منصبهم واعلي علمهم ولهم اذا أدخلتهم داري مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ايها العبد الوقت الذي أنت تستقبله لم أطالبك

لك فليس لك فكان ذلك المنع لك منه عطاء ونظرا علم ان فيه مصلحة وجودك ونظام أمرك كما يقطع توالى الماء عن الشجرة لئلا يجتلفها دوام السقيا (مثال آخر) مثل المتهمم بامر دنياه الغافل عن التزود لآخرته كمثل انسان هاجمه سبع وقد كاد أن يفترسه ووقع عليه ذباب فاشتغل بذب ذلك الذباب ودفعه عن التحرز من الاسد فهذا عبد أحمق فاقد وجود العقل ولو كان بالعقل متصفا لشغله أمر الاسد وصولته وهجومه عليه عن الفكرة في أمر الذباب والاشتغال به كذلك المتهمم بامر دنياه الغافل عن التزود لاخراه دل ذلك منه على وجود حمقه اذ لو كان فاهما عاقلا لتأهب للدار الآخرة التي هو مسؤل عنها وموقوف فيها ولا يشتغل بالاهتمام بأمر الرزق فان الاهتمام به بالنسبة الى الآخرة كنسبة الذباب الى مفاجأ الاسد وهجومه (مثال آخر) مثل العبد مع الله تعالى كمثل الطفل مع أبيه لا يعول مع الاب هما ولا يخشى عدما لعلمه ان الاب قائم له بوجود الكفالة فطيبت الثقة به عيشة وأزال الاعتماد على أبيه غمه كذلك العبد المؤمن مع الله تعالى لا يعول الهموم ولا ترد بساحة قلبه الغموم من شان الرزق لعلمه بان الحق لا يدعه وعن فضله لا يقطعه ومن جوده واحسانه لا يمنعه (مثال آخر) مثل العبد مع الله تعالى كعبد له سيد غنى متصف بالثروة والاحسان الى عبيده وغير معروف بالمنع موصوف بالجود والعطاء والعبد بفضله واثق ولاحسانه رامق علم من سيده الغنى فاخرجه ذلك عن وجود الفناء وهذا بعينه كان سبب توبة شقيق البلخي رحمه الله قال عبرت في زمن مجاعة فوجدت غلاما منبسطا منشرحا ليس عنده علم ما الناس فيه فقلت له يافتي أما تعلم ما الناس فيه فقال وما أبالي ولمولاي قرية خالصة يدخل الينا كل يوم ما نحتاج اليه فقلت في نفسي ان كان لسيده هذا قرية خالصة فمولاي له خزائن السموات والارض فانا أولى بالثقة من هذا بسيده وهو كان سببا لتناهي (مثال آخر) مثل العبد المتسبب المرزوق في وجود السبب كمثل عبد قال له السيد اعمل وكل من عملك ومثال المتجرد كمثل عبد قال له السيد الزم أنت خدمتي وأنا أسوق اليك منتي (مثال آخر) مثل العبد النافذ الى الله تعالى في الاسباب بمثابة الرجل يقعد تحت الميزاب اذا أمطرت السماء فهو يشكر الله تعالى وحده ولا يلزم من قعوده تحت الميزاب أن يضيف المطر له بل علم أنه ان لم يكن فيه لم يجد شيئا كذلك الاسباب ما يازيب المنن فمن دخل في الاسباب وهمته متعلقة بالله تعالى لا بها لم يضره ذلك ولم يخش عليه القطيعة فيها هنالك ومثل الواقف مع الاسباب الغافل عن وليها كمثل البهيمة يعبر عليها مالكها فلا تلتفت اليه وهو المالك لها والمعطي لسائسها ما ينفق عليها فاذا عبر سائسها بصبصبت بينها وتشوقت اليه لاعتيادها منه أنه يتولى طعمتها فالعبد كذلك لانه اذا أجرى عليه الاحسان أيدي الخلق يشهد ذلك منهم ولم يخرجه عنهم فهو كالبهيمة بل البهيمة أحسن حالا منه أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون (مثال آخر) مثل الواقف مع الاسباب والنافذ الى الله فيها كمثل رجلين دخلا حماما أحدهما وافر العقل والآخر غالب عليه البلاهة أتوقف الماء فاما العاقل فيعلم ان له مصرفا من ورائه يصرفه ويجريه فيرجع اليه ليرسل له منه ما كان قطعه ويفعل ما يشاء وما الاخر فيأتي الى الانبوب فيقول أيها الانبوب اسكب لنا ماءا مالك قطعته ماء فيقال له انك لاحمق وهل الانبوب يسمع شيئا أو يفعل شيئا انما هي محل ومجرى يظهر فيها ما أجرى فيها (مثال العبد المدخر كعبد للملك جعله في بستانه ليقوم باصلاح شأنه فللعبد أن يأكل من ثمرات ذلك البستان ما يتقوى به على الغراس

فيه بالخدمة فلا تطالبني فيه بالقسمة فاذا كلفتك تكفلت لك واذا استخدمتك اطعمتك واعلم باني لا أنساك ولو نسيتني واني ذكرتك من قبل ان تذكرني وان رزقي عليك دائم وان عصيتني فاذا كنت لك كذلك في اعراضك عني فكيف ترى ان أكون في اقبالك على ماقدرتني حق قدري ان لم تستسلم لقهري ولا رعيت حق بري ان لم تمتثل أمري فلا تعرض عني فانك لا تجد من تستبد له مني ولا تفتقر بغيري فلا احد يغنيك عني انا الخالق لك بقدرتي وأنا الباسط لك مني فكما انه لا خالق غيري فكذلك لا رازق غيري أأخلق وأحيل على غيري فانا المتفضل وامنع العباد وجود خيري وانا المنعم فثق أيها العبد وأنا رب العباد واخرج من مرادك الى أبلغك عين المراد واذكر سوابق لطفي ولا تنس حق الوداد (مناجاته رضي الله تعالى عنه الهي أنا الفقير في غناي فكيف لا أكون فقيرا في فقري وانا الجهول في علمي فكيف لا اكون جهولا في جهلي الهي مني مايليق بلؤمي ومنك مايليق بكرمك ان ظهرت المحاسن مني فبفضلك ولك المنة على وان ظهرت المساوي مني فبعدلك ولك الحجة على الهي كيف تكلني وقد توكلت لي وكيف أضام وانت الناصر لي أم كيف أخيب وأنت الحفي بي ها أنا أتوسل اليك بفقري وكيف أتوسل بما هو محال أن يصل اليك أم كيف بكنز أشكو اليك حالي وهو لا يخفى عليك أم كيف أترجم بمقالي وهو معك يزور اليك أم كيف تخيب آمالي وهي قد وفدت عليك أم كيف لاتحسن أحوالي وبك قامت واليك الهي ما الطفك بي مع جهلي وما ارحمك بي مع قبيح فعلي وما أقربك مني وما ابعدني عنك وما أرافك

والزراعة فيه وليس له أن يدخر لان ثمرة ذلك البستان دائمة وسنده غني قادر فان ادخر بغير اذن سيده امساكا على نفسه وتهمة لسيده فقد خان * ومثال العبد الذي لا يدخر كعبد هو في بستان السيد أو في داره علم انه لا ينساه سيده ولا يهمله بل أبيذل له خيره ويوصل اليه بره فاغتنى بسيده عن الادخار معه وبغناه عن أن يحتاج وأن يعتمد على شيء دونه فهذا العبد جرى على أن يواجه بالاقبال وأن يسعف بالنوال ﴿مثال آخر﴾ المدخر بالامانة كعبد للملك لا يرى أن له مع سيده شيأ الا يعتمد ادخار مافي يده ولا بذله بل لا يختار الا ما اختاره السيد له فاذا فهم هذا العبد أن الامساك مراد سيده أمسك لسيده لا لنفسه حتى يتخير موضع صرفه فيكون له صارفا حين يفهم عن سيده ارادة صرفه فهذا باعساكه غير ملوم الا انه أمسك لسيده لا لنفسه كذلك أهل المعرفة بالله تعالى ان بذلوا فالله وان أمسكوا فله يبتغون مافيه رضاه ولا يريدون ببذلهم وامساكهم الا اياه فهم خزان أمناء وعبيد كبراء واحرار كرماء قد حررهم الحق تعالى من رق الآثار فلم يميلوا اليها بحب ولا أقبلوا عليها بود منعهم من ذلك ماأسكن في قلوبهم من حب الله ووده وما امتلأت به صدورهم من عظمته ومجده وليس الممسك لله بدون الباذل له فصارت الاشياء في أيديهم كهي في خزائن الله من قبل أن تصل اليهم علما منهم ان الله تعالى يملكهم ويملك ماملكهم ومن لم يحسن الامساك لله لم يحسن البذل له فافهم ﴿فصل﴾ نذكر فيه مناجاة الحق سبحانه وتعالى لعبده على ألسنة هواتف الحقائق في شأن التدبير والرزق ﴿أيها العبد﴾ الق سمعك وأنت شهيد يأتك مني المزيد واصغ يسمع قلبك فانا عنك لست ببعيد * (أيها العبد) * كنت لك بتدبيري لك من قبل أن تكون لنفسك فكن انفسك بان لا تكون لها وتوليت رعايتها قبل ظهورك وأنا الآن في الرعاية لها (أيها العبد) أنا المنفرد بالخلق والتصوير وأنا المنفرد بالحكم والتدبير لم تشركني في خلقي وتصويري فلا تشاركني في حكمي وتدبيري أنا المدبر الملكي وليس لي فيه ظهير وأنا المنفرد بحكمي فلا أحتاج فيه الى وزير (أيها العبد) من كان لك بتدبيره قبل الايجاد فلا تنازعه في المراد ومن عودك حسن النظر منه لك فلا تقابله بالعناد (أيها العبد) عودتك حسن النظر مني لك فكن على أسقاط التدبير منك معي (أيها العبد) أشكا بعد وجود التجربة وحيرة بعد وجود البيان وضلالا بعد وضوح الهدي أما يحيلك على علمك بانه لا مدبر لك غيري أما يجنبك من المنازعة لي ماسبق من وجود خيري (أيها العبد) أنظر نسبة وجودك من أكواني ترى انك متلاش في الفاني فما ظنك بما ليس بفاني وقد سلمت الى قيامي بمملكتي وأنت من مملكتي فلا تنازع ربوبيتي ولا تضاد بتدبيرك معي وجود الاهيتي (أيها العبد) أما يكفيك أني أكفيك أما يوجب سكونك في سوابق عوائدي فيك (أيها العبد) متى أحوجتك اليك حتى تحتال عليك ومتى وكلت شيأ من مملكتي لغيري حتى أكل ذلك اليك (أيها العبد) أعددت لك جودي من قبل أن أظهرك لوجودي وظهرت بقدرتي في كل شيء فكيف يمكنك جحودي (أيها العبد) متى خاب من كنت له مدبرا ومتى خذل من كنت له منتصرا (أيها العبد) لتشغلك خدمتي عن طلب قسمتي ولتمنعك حسن الظن بي عن اتهام ربوبيتي (أيها العبد) لاينبغي أن يتهم محسن ولا أن ينازع مقتدر ولا أن يضاد قهار ولا أن يعترض على حكم حكيم ولا أن يعالم مع لطيف (أيها العبد) لقد فاز بالنجح من خرج عن الارادة معي ولقد دل على يسر الامر من احتال على ولقد ظفر

بي لما الذي يحجبني عنك الهي كلما أخرسني لؤمي انطقني كرمك وكلما أياستني أوصافي أطمعتني منتك الهي من كانت محاسنه مساوي فكيف لاتكون مساويه مساوي ومن كانت حقائقه دعاوي فكيف لاتكون دعاويه دعاوى الهي كيف أعزم وأنت القاهر وكيف لاأعزم وأنت الآمر ترددي في الآثار يوجب بعد المزار (٦٧) فاجمعني عليك بخدمة توصلني اليك كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك أيكون لغيرك من الظهور ماليس لك حتي يكون هو المظهر لك متي غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل اليك الهي عميت عين لاتراك عليها رقيبا وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا الهي هذا ذلي ظاهر بين يديك وهذا حالي لايخفى عليك منك اطلب الوصول وبك استدل عليك فاهدني بنورك اليك واقمني بصدق العبودية بين يديك الهي علمني من علمك المخزون وصني بسر اسمك المصون وحققني بحقائق أهل القرب وأسلك بي في مسالك أهل الجذب وأغنني بتدبيرك عن تدبيري وباختيارك عن اختياري ووقفني على مراكز اضطراري وأخرجني من ذل نفسي وطهرني من شكي وشركي قبل حلول رمسي بك استنصر فانصرني وعليك أتوكل فلا تكلني واليك أسأل فلا تحرمني وفي فضلك أرغب فلا تخيبني ولجنابك انتسب فلا تبعدني وببابك أقف فلا تطردني الهي أن القضاء والقدر غلبني وان الهوى بوثائق الشهوة أسرني فكن أنت الناصر لي حتي تنصرني وتبصرني وأغنني بفضلك حتى أستغني بفضلك عن طلبي أنت الذي أشرقت الانوار في قلوب أوليائك وانت الذي أزلت الاغيار من اسرار احبائك أنت المؤنس

بكنز الغنى من صدق في الفاقة الي و لقد استوجب النصر مني عبد اذا تحرك تحرك بي ولقد استمسك باقوي الاسباب من استمسك بسببي ني آليت على نفسي أن أجازى أهل التدبير بوجود التكدير وأن أهدم ماشيدوا او أحل ماعقدوا او أن أكلهم اليهم وأن أحيلهم عليهم ممنوعين من روح الرضا ونعيم التفويض فلو مافهموا عني لاقتنعوا بتدبيري لهم عن تدبيرهم لانفسهم وبرعايتي لهم عن رعايتهم اياها فاذا كنت أسلك بهم سبيل الرضا وأنهج بهم منهج أهل الهدى وأسعى بهم في طريق بيضا واجعل عنايتي بهم واقية لهم من كل مايخافون وجالبة لهم جميع مايرجون وذلك على يسير (أيها العبد) نريد منك أن تريدنا ولا تريد معنا ونختار لك ان تختارنا ولا تختار معنا ونرضى لك أن ترضانا ولا نرضي لك أن ترضي سوانا (أيها العبد) ان قضيت لك فلا رادني ظهور فضلي عليك وان قضيت عليك فلاني أريد أن أورد في قضائي اسرار لطفي اليك (أيها العبد) لاتجعل جزاء ماأظهرت فيك من نعمتي وجود منازعتي ولا تجعل عوض ماأحسنت لك بالعقل الذي ميزتك به وجود معضاددتي (أيها العبد) كما سلمت لي تدبير ارضي وسمائي وانفرادى فيهما بحكمي وقضائي سلم وجودك لي فانك لي ولا تدبر معي فانك مغي واتخذني وكيلا وثق بي كفيلا أعطيك عطاء جزيلا واهبك فخرا جليلا (أيها العبد) اني حكمت في ازلي انه لايجتمع في قلب عبدي ضياء التسليم لي وظلمة المنازعة معي فمتى كان واحد منهما لم يكن الآخر معه فاختر لنفسك ويحك انا أجللنا قدرك أن تشتغل بامر نفسك فلا تصغر قدرك يامن رفعناه ولا تذلن بحوالتك على غيرى يامن اعززناه ويحك أنك أجل عندنا من أن تشتغل بغيرنا لحضرتي خلقتك واليها خطبتك وبجواذب عنايتي لها جذبتك فان اشتغلت بنفسك حجبتك وان اتبعت هواها طردتك وان خرجت عنها قربتك وان توددت لي باعراضك عما سواى أجبتك (ايها العبد) اما كفاك لو اكتفيت وهداك لو اهتديت أني انا الذى خلقت فسويت وتصدقت فاعطيك اما يمنعك ذلك من منازعتي فيما قضيت ومعارضتي فيما اتيت (ايها العبد) ماآمن بي من نازعني ولا وحدني من دبر معي ولا رضي بي من شكا ما نزلت به الى غيري ولا اختارني من اختار معي وما امتثل امري من لم يستسلم لقهري ولا عرفني من لم يفوض بأمره الي ولقد جهلني من لم يتوكل على (ايها العبد) يكفيك من الجهل ان تسكن لما في يدك ولا تسكن لما في يدي وان أختار لك ان تختارني فتختار على ويحك لا تجتمع عبودية واختيار ولا ظلم وانوار ولا توجهك لي وتوجهك للآثار فاما انا لك أو أنت لنفسك فاختر على بيان ولا تستبدل الهدي بالخسران (ايها العبد) لو طلبت مني التدبير لنفسك جهلت فكيف اذا دبرت لها ولو اخترت معي ما انصفت فكيف اذا اخترت على (ايها العبد) لو اذنت لك ان تدبر كان يجب ان تستحي من ان تدبر وكيف وقد امرتك ان لا تدبر رياهم موما بنفسه لو القيتها الينا لاسترحت ويحك اعباء التدبير لا تحملها الا الربوبية ولا تقوي عليها البشرية ويحك انت محمول فلا تكن حاملا اردنا راحتك فلا تكن متعبا لنفسك من دبرك في ظلمات الاحشاء واعطاك بعد الوجود ما تشاء لا ينبغي لك ان تنازعه فيما يشاء (أيها العبد) امرتك بخدمتي وضمنت لك قسمتي فاهملت ما امرت وشككت فيما ضمنت ولم أكيف لك بالضمان حتى أقسمت ولم أكتف بالقسم حتى مثلت وخاطبت عبادا يفهمون فقلت وفي السماء رزقكم وماتوعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم

لهم حيث أوحشتهم العوالم وأنت الذي هديتهم حتى استبانت المعالم ماذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجدك ولقد خاب من رضي دونك بدلا ولقد خسر من بغى دونك متحولا كيف يرجى سواك وأنت ما قطعت الاحسان وكيف يطلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الامتنان يامن اذاق احباءه حلاوة (٦٨) مؤانسته فقاموا بين يديه متملقين ويامن ألبس أولياءه ملابس هيبته فقاموا بعزته مستعزين أنت الذاكر من قبل الذاكرين وأنت البادى بالاحسان من قبل توجه العابدين وأنت الجواد بالاعطاء من قبل طلب الطالبين وأنت الوهاب لنا ثم أنت لما وهبتنا من المستقرضين فاطلبني برحمتك حتى أصل اليك واجذبني بمنتك حتى أقبل عليك الهى أن رجائي لاينقطع عنك وان عصيتك كما أن خوفى لا يزايلنى وان اطعتك قد دفعتنى العوالم اليك وأوقفنى علمى بكرمك عليك فكيف أخيب وأنت أملى أم كيف أهان وعليك متكلى كيف استعز وفى الذلة أركزتنى أم كيف لا أستعز واليك قد نسبتنى كيف لا أفتقر وأنت الذى فى الفقر أقمتنى أم كيف أفتقر وأنت الذى بجودك أغنيتنى أنت الذى لا إله غيرك تعرفت لكل شيء فما جهلك شيء وأنت تعرفت لى فى كل شيء فرأيتك ظاهرا فى كل شيء فأنت الظاهر لكل شيء يامن استوى برحمانيته على عرشه فصار العرش غيبا فى رحمانيته كما صارت العوالم غيبا فى عرشه محقت الآثار بالآثار ومحوت الاغيار بمحيطات أفلاك الانوار يامن احتجب فى سرادقات عزه عن أن تدركه الابصار يامن تجلى بكمال بهائه فتحققت عظمته الاسرار كيف تخفى وأنت الظاهر ام كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر

أتنطقون ولقد اكتفى بوصفى العارفون واحتال على كرمى الموقنون فلو لم يكن وعدي لعلموا أني لا أقطع عنهم واردات رفدى ولو لم يكن ضمانى لوثقوا بوجود احساني وقد رزقت من غفل عنى وعصاني فكيف لا أرزق من أعطاني وراعاني ويحك الغارس للشجرة هو ساقيها والممد للخليقة هو باريها ويكفيها انه كافيها ومكافيها متى كان الايجاد وعلى دوام الامداد متى كان الخلق وعلى دوام الرزق ويحك هل تدعو لدارك الا من تريد أن تطعمه وهل تنسب لنفسك الا من تحب أن تكرمه ﴿أيها العبد﴾ اجعل همك فى مكان همك برزقك فان ما حملته عنك فلا تتعين به وما حملته أنت فكن ندخلك به داري ونمتعك ابراري أبرزك لكوني ونمنك وجود عونى أخرجك الى وجودي ونمتعك جودى أطالبك بحق وأمنعك وجود رزق أقتضي منك خدمتي ولا أقضى لك بقسمتى ويحك عندى لك هبات شتى وفيك أظهرت رحمتى وما قنعت لك بالدنيا حتى أدخرت لك جنتي وما اكتفيت لك بذلك حتى اتحفتك برأيتى فاذا كانت هكذا فمالى فكيف تشك فى افضالى ﴿ أيها العبد ﴾ لابد لنعمتى من آخذ ولتفضلى من قابل وأنا الغنى عن الانتفاع بالمنافع لما دل عليه الدليل القاطع فلو سألتنى أن أمنعك رزقى ما أجبتك ولو سألتنى أن أحرمك من فضلى ما أحرمتك فكيف وأنت دائما تسألنى وكثيرا ما تطلب منى فاستح منى ان كنت تستحى منى وأفهم عنى ولقد أعطى كل العطاء من فهم عنى ﴿ أيها العبد ﴾ تخيرني ولا تتخير على ووجه قلبك بالصدق الى فانك ان تفعل أريك غرائب لطفى وبدائع جودى وأمتع سرك بشهودي ولقد أظهرت الطريق لاهل التحقيق وبينت معالم الهدي لذوى التوفيق فبحق سلم الى الموفقون وببيان توكل على المؤمنون علموا انى لهم خير من أنفسهم لانفسهم وان تدبيري لهم اجدى عليهم من تدبيرهم لها فاذ عنو الربوبيتى مستسلمين وطرحوا أنفسهم بين يدى مفوضين فعوضتهم عوض ذلك راحة فى نفوسهم ونورا فى عقولهم ومعرفة فى قلوبهم وتحققا بقربى فى أسرارهم هذا فى هذه الدار ولهم عندى اذا قدموا على أن أجل منصبهم وأعلى محلهم وانشر ألوية المجد عليهم ولهم اذا أدخلتهم داري ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿أيها العبد﴾ الوقت الذى أنت تستقبله لم أطالبك فيه بالخدمة فكيف تطالبنى فيه بالقسمة فاذا كلفتك تكلفت لك واذا استخدمتك أطعمتك واعلم بانى لا أنساك وان نسيتنى وانى ذكرتك قبل ان ذكرتني وان رزقى عليك دائم وان عصيتنى فاذا كنت كذلك لك فى اعراضك عنى فكيف ترى أكون لك فى اقبالك على ما قدرتنى حق قدرى ان لم تستسلم لقهرى ولا رعيت حق بري ان لم تمتثل امرى فلا تعرض عنى فانك لا تجد من تستبدل منى ولا تفتتن بغيري فان أحد الا يغنيك عنى انا الخالق لك بقدرتي وانا الباسط لك منتي فكما انه لا خالق غيرى كذلك لا رازق غيري أأخلقك وأحيل على غيرى وأنا المتفضل وأمنع العباد ٧ وجود غيري فثق أيها العبد بي فانا رب العباد واخرج عن مرادك مبى ابلغك عين المراد واذكر سوابق لطفى ولا تنس حق الوداد * أردنا ان نختم هذا الكتاب بدعاء مناسب لما الكتاب موضوع له وهو (اللهم) انا نسالك ان تصلى على سيدنا محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد اللهم اجعلنا من المتستسلمين اليك ومن

القائمين بين يديك واخرجنا من التدبير معك أو عليك واجعلنا من المفوضين اليك اللهم انك قد كنت لنا من قبل ان نكون لا نفسنا فكن لنا بعد وجودنا كما كنت بعد وجودنا والبسنا ملابس لطفك وأقبل علينا بجانبك وعطفك وأخرج ظلمات التدبير من قلوبنا وأشرق نور التفويض فى أسرارنا وأشهدنا حسن اختيارك لنا حتى يكون ماتقتضيه فينا وتختاره لنا أحب الينا من مختارنا لانفسنا اللهم لا تشغلنا بما ضمنت لنا عما أمرتنا ولا بشيء انت ضامنه لنا عن شيء أنت طالبه منا اللهم انك دعوتنا الى الانقياد اليك والدوام بين يديك وانا عن ذلك عاجزون الا أن تقدرنا وضعفاء الا ان تقوينا ومن أين لنا ان نكون فى شيء الا ان كونتنا وكيف لنا ان نصل لشيء الا ان وصلتنا وانى لنا ان نقوى على شيء الا ان أعنتنا فوفقنا لما به أمرتنا وأعنا على الانكفاف عما عنه زجرتنا اللهم ادخلنا رياض التفويض وجنات التسليم ونعمنا بها وفيها واجعل اسرارنا معك لامع نعيمها ولذتها ولذ ذنابك لا بزينتها وبهجتها اللهم أشرق علينا من انوار الاستسلام اليك والاقبال عليك ماتبتهج به أسرارنا وتتكمل به أنوارنا اللهم انك قد دبرت كل شيء قبل وجود كل شيء وقد علمنا انه لن يكون الا ماتريد وليس هذا العلم نافعا لنا الا ان تريد فردنا بخيرك وارفع شأننا بفضلك واقصدنا بعنايتك وحفظنا برعايتك واكسنا من ملابس أهل ولايتك وأدخلنا فى وجود حمايتك انك على كل شيء قدير اللهم انا علمنا ان حكمك لا يماندو قضاءك لا يضادد وقد عجزنا عن ردنا ماقضيت ودفع ماامضيت فنسألك لطفا فيما قضيت وتأييدا فيما أمضيت واجعلنا فى ذلك ممن رعيت يارب العالمين اللهم انك قد قسمت لنا قسمة أنت موصلها لنا فوصلنا اليها بالهناء والسلامة من العناء مصانين فيها من الحجبة محفوفين فيها بانوار الوصلة نشهدها منك فنكون لك من الشاكرين ونضيفها لك ولا نضيفها لاحد من العالمين اللهم ان الرزق بيدك رزق الدنيا ورزق الآخرة فارزقنا منها ماعلمت فيه المصلحة لنا والعود بالجدوى علينا اللهم اجعلنا من المختارين لك ولا تجعلنا من المختارين عليك ومن المفوضين لك لا من المعترضين عليك

اللهم انا اليك محتاجون فاعطنا وعن الطاعة عاجزون فاقدرنا وهب لنا قدرة على طاعتك وعجزا عن معصيتك واستسلاما لربوبيتك وصبرا على أحكام الهيتك وعزا بالانتساب اليك وراحة فى قلوبنا بالتوكل عليك واجعلنا ممن دخل ميادين الرضا وكرع من تسنيم التسليم وجنى من ثمار المعارف وألبس خلع التخصيص وأتحف تحفة القرب وفوتح من حضرة الحب دائمين على خدمتك محققين لمعرفتك متبعين لرسولك وارثين عنه وآخذين منه ومحققين به وقائمين بالنيابة عنه واختم لنا منك بخير يارب العالمين صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامى الطاهر الذكى وعلى آله صلاة تحل بها العقد وتفرج بها الكروب ويزول بها الضرر وتهون بها الامور الصعاب صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يارب العالمين

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على خير خلق الله وعلى آله وصحبه وجميع النبيين والمرسلين . وبعد فقد وفقنا الله وهو الموفق والمعين الى اتمام طبع كتاب (التنوير في اسقاط التدبير للامام احمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندرى) وليتم نفعه حلينا هامشه بكتاب آخر من درر المؤلف طيب الله ثراه هو (تاج العروس . الحاوي لتهذيب النفوس) نرجو أن ينفع الله بهما النفع الذى رجوناه ، ويجعلهما خالصين لوجهه الكريم . وذلك بمطبعة محمد على صبيح بميدان الازهر الشريف يوم الجمعه المبارك ٦ رجب الخير سنة ١٣٤٦ من هجرة الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم السلام


Bibliotheca Alexandrina
0562007